المركز القومى للترجمة

أخترلو

كوميديا من فصلين

الجزء الثانى

تأليف: فريدريش دورينمات

ترجمة وتقديم: محمد عبد السلام يوسف



2846

روائع الدراما العالمية

أختـرلـو

(الجزء الثانى)

المركز القومى للترجمة
تأسس فى أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور
مدير المركز: أنور مغيث

سلسلة روائع الدراما العالمية
المشرف على السلسلة: أحمد سخسوخ

- العدد: 2846
- أخترلو (الجزء الثانى)
- فريدريش دورينمات
- محمد عبد السلام يوسف
- اللغة: الألمانية
- الطبعة الأولى 2016

هذه ترجمة مسرحية:
Achterloo I
Rollenspiele
Achterloo IV
Von: Friedrich Dürrenmatt

شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: nctegypt@nctegypt.org Tel: 27354524 Fax: 27354554

أختــرلــو

(الجزء الثانى)

تــأليف : فريــدريش دورينمــات

ترجمـة : محمد عبد السلام يوسف

2016

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

دورينمات، فريدريش، ١٩٢١ - ١٩٩٠
أخترلوا (٢) / تأليف: فريدريش دورينمات؛ ترجمة: محمد عبد السلام يوسف،
ط ١ - القاهرة : المركز القومى للترجمة ، ٢٠١٦
٤٧٢ ص ، ٢٠ سم
١- المسرحيات الالمانية
(أ) يوسف ، محمد عبد السلام (مترجم)
(ب) العنوان ٨٣٢

رقم الإيداع ٢٢٣٢٩ / ٢٠١٥
الترقيم الدولى : I.S.B.N - 978 -977 -92 -0437 -6
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

المحتويات

أخترلو ٣ – تقمص الشخصيات	7
الفصل الأول	9
الفصل الثانى	121
أخترلو ٤ مسرحية كوميدية	215
الفصل الأول	219
الفصل الثانى	321
توديع المسرح	405
تعقيب على أخترلو ٤	407
توديع المسرح	439
ملحق	461
توثيق	463
توديع المسرح	466

أخترلو (٣)

تقمص الشخصيات

الفصل الأول

(مسرح خال، فقط فرقة موسيقية فى أقصى اليسار، فى مكان بحيث لا يمكن للمرء أن يرى العازفين).

(يأتى من اليمين البروفيسور يمشى نائمًا، يرتدى بيجامة نوم سوداء أنيقة وشبشبًا أسود)

البروفيسور: لقد كان هدفى دبلوماسيًا أن أجعل تحقيق السلام بين هذين الشعبين فى الشرق الأوسط ممكنا. إن كلا الشعبين قديم جدًا وحديث فى نفس الوقت. فالأول صنع إحدى أقدم الحضارات التى ما زالت آثارها العظيمة تثير فينا الفخر والاعتزاز علىَ الرغم من أنها لم يكن تفكيرها فى الحياة الدنيا وإنما الحياة الآخرة، فلقد سيطرت علىّ تفكير هؤلاء الناس فكرة الحياة بعد الموت أكثر من التفكير فى الحياة التى تنتهى بموت الإنسان. والشعب الآخر الأقل حجمًا يحاول الانسلاخ من

القوى العظمى التى كانت تحيط به، فلم يكن تفكيره فى الآخرة وإنما فى الحياة الدنيا وتحمل تحقيق هذه الفكرة من جيل إلى جيل، فلقد كان هذا همه، ولذلك خضع لأمر إلهه عندما طرد من بلده تارة للتمسك بدينه وتارة أخرى لتغييره إلى صور أكثر تجريدًا وتجليًا حتى عاد بعد قرون من المطاردة والإذلال إلى بلده، الذى كان قد أصبح وطنًا لآخرين منذ زمن طويل، ونشأ لذلك حق فى مواجهة حق آخر، ولكن لأنه أصبح جارًا للشعب الآخر من جديد فرأيت أن السلام بين الشعبين يكون دفعة مثمرة لكيان جديد، وأن الشعب المطرود سينجح فى غرس جذور جديدة بالقوة، وأن الشعب الآخر الذى ظل غارقًا تحت وطأة الأديان والأيديولوجيات سيشارك الشعب العائد تجربته. إننى أقمت السلام ولكننى تسببت فى نشأة عنف لم أكن أتصوره، حرب أكثر شراسة وضراوة، أنا أعترف بذنبى.

(يسقط على الأرض ويبقى مستلقيًا)

(يأتى من اليمين لويس[1] وبلون بلــون فى معطف الأطباء ومعهما سماعة وأشياء أخرى يجــران سرير مرضى إلى الداخل.لويس قوى البنية وبلــون بلون ضعيف عليل، يتركان السرير ويقتربان مــن نابليون ويتفحصانه)

لـــــــويس: ها هو البروفيسور يرقد من جديد.

بلـــون بلـــون: ألقى كلمته الشهيرة أمام مجلس الأمن.

لـــــــويس: أمر لا يصدق أنه كان ذات مرة وزيرًا للخارجية .

بلـــون بلـــون: عندما يستيقظ سيعتقد أنه هولوفرنس.

لـــــــويس: لقد جن.

بلـــون بلـــون: إننا فى مصحة للأمراض العقلية.

لـــــــويس: دعنا نوقظه.

بلـــون بلـــون: لنجهز المسرح أولاً.

(يطرقع لويس بإصبعيه الإبهام والوسطى ويترل من أعلى حائط، مدهون بالطلاء الأبيض حالته سيئة. فى الوسط يوجد أعلى قبة سرير يتدلى منها ستاران من

---

(١) راعينا عدم تكرار هوامش الأسماء والكلمات والتعبيرات التى وردت فى أخترلو ١.

القماش الثقيل الممزق على شكل خيمة. في اليسار على الحائط صور لقواد جيوش عظماء مثل هولوفرنس، الإسكندر الأكبر[1]، يوليوس قيصر[2]،

جنكيز خان[3]، محمد الفاتح[4]، الأمير يوجين،

---

(١) الإسكندر الأكبر (٣٥٦-٣٢٣ ق.م) ملك مقدونيا، واشتهر أيضا باسم الإسكندر المقدوني، أحد أكبر القادة العسكريين في التاريخ. وكان قد فتح كثيرًا من بلاد العالم المتمدن في ذلك الوقت. ونقل إليها الأفكار الإغريقية، والطرق التي كان الإغريق يتخذونها لصنع الأشياء. واستطاع هذا الفاتح أن ينشر الثقافة الإغريقية التي عرفت في ذلك الوقت بشكل واسع في البلاد التي فتحها.

(٢) يوليوس قيصر (٤٠ - ١٠٠ ق. م.) كان أحد كبار مشاهير روما القديمة وسياسييها. وقد أصبح قائدًا عسكريًا فذا وعمل على جعل روما مركزًا لإمبراطورية امتدت عبر أوربا، كما اشتهر قيصر خطيبًا وسياسيًا وكاتبًا.

(٣) جنكيز خان: كان أول من وحد المغول وجعل منهم قبائل محاربة ذات شأن، واستطاع بهم أن يبدأ فترة فتوحات متميزة استمرت حتى موته في عام ١٢٢٧م، كذلك أجاد جنكيزخان وجيشه الجديد أن يجيدوا فن الحصار الذي كان السبب المباشر في كثير الغزوات .تركزت فتوحات جنكيزخان الأولى في جنوبي الصين وشماليها. ثم تحول إلى أواسط آسيا، وشرقي أوربا حيث زحفت جنوده على سهول روسيا، واقتربت من فارس ثم القسطنطينية، فأشاع الكثير من الدمار والخراب في كل تلك الأراضي، فكان مثلاً يستأصل سكان المدن التي قاومته قتلاً، فيفنيهم عن آخرهم، كما أنه ترك منطقة شمالي الصين خرابًا، حيث كان الراكب يسير لمسافات طويلة دون رؤية أثر للحياة.

(٤) محمد الفاتح (١٤٢٩ - ١٤٨١) السلطان محمد بن السلطان مراد الثاني أشهر سلاطين الدولة العثمانية. خلف والده في السلطة عام١٤٥١. تكلم بالفارسية والعربية واليونانية والسلافية، وناصر العلوم الإسلامية، وقرب إليه العلماء والأدباء والشعراء وأجزل لهم العطاء. أوصاه والده بفتح =

فريدريش العظيم[1]، نابليون، مولتكه[2] يمين قبة السرير يرسم بلون بلون على الحائط نافذة شفافة)

بلون بلون: غباء منى أن أشارك فى عملية العلاج بتقمص الشخصيات.

لويس: والأطباء فى أحد المؤتمرات مرة أخرى.

بلون بلون: والموظفون مضربون عن العمل.

=القسطنطينية، فاجتهد ونجح فى فتحها عام ١٤٥٣، ولذا عرف بـ الفاتح لأهمية فتح هذه المدينة، عاصمة الدولة البيزنطية. وأطلق عليها اسم **إسلامبول** الذى يعنى بالتركية: عاصمة الإسلام. وحول كاتدرائية القديسة أيا صوفيا إلى مسجد. أدت فتوحاته فى أوربا، وبخاصة فى بلاد البلقان إلى جعل بلاد الصرب ولاية عثمانية سنة ١٤٥٩ وخضع له إقليم البوسنة سنة ١٤٦٤، ثم إقليم الهرسك سنة ١٤٦٧. وانضمت إليه طائفة البوجوميل النصرانية عندما دخل البوسنة، لقرب مبادئهم من مبادئ الإسلام. واحتل دوقية أثينا. ودانت له معظم بلاد المورة سنة ١٤٦٠، وأقام قلعة حصينة فى قلب ألبانيا بعد سقوط كرواتيا فى يده عام ١٤٧٨م.

(١) فريدريش العظيم كان ملكا فى الفترة (١٧٤٠ – ١٧٨٦) وهو ابن الملك فيلهلم الأول. ولد فى ١٧١٢/١/٢٤ فى برلين ومات ١٧٨٦/٨/١٧ فى بوتسدام. ضم شلسين وزاكسن إلى بروسيا وجعلها أعظم قوة فى أوربا وأصبح بجيشه الجرار شخصية أسطورية.

(٢) الكونت هيلموت مولتكه (ولد فى ١٨٠٠/١/٢٦ فى برشيم وتوفى ١٨٩١/٤/٢٤ فى برلين) . جنرال بمملكة بروسيا. انتقل من الخدمة فى الجيش الدنماركى إلى جيش بروسيا، وعمل فى ١٨٥٨ القيادة العليا لأركان الجيش. وفى الحرب بين ألمانيا وفرنسا (١٨٧٠–١٨٧١) كان يتولى إصدار جميع التوجيهات لقيادة الجيش.

لـــــــــويس: الاشتراكية اللعينة.

بلـــون بلـــون: إن الأفكار الجديدة ستكون سببًا فى انهيار الطـــب النفسى.

(يظهر بوشنر ف زى عصره وف يده جزء من معجم قديم)

بوشـــــــــنر: أخى فيلهلم بوشنر أصغر منى بثلاث سنوات، اخترع فى مصنعه ما يسمى بـــ"الأزرق الفيلهي لمى" اللون اللازوردى الرائع، وشغل من عام ١٨٧٧ حتى عام ١٨٨٤ منصب نائب برلمان فى الـــرايخ الألمـــانى. ولأختى لويزا أصغر منى بثمـــانى ســـنوات كاتبـــة أصدرت ديوان شعر بعنوان "قلـــب المـــرأة" الـــذى أوصى به لجمهور النساء، أما لودفيج الذى يصغرنى بأحد عشر عامًا فقد ألف كتاب " القوة والمادة" وهـــو كتاب مناسب للشباب الناضج، حسنا هذه أشياء قديمة عفا عليها الزمن. أما مقال أخى الكـــسندر، والـــذى يصغرنى بأربعة عشر عامًا، عـــن تقويـــة وتغييـــر الحروف اللغويـــة ربمـــا يكـــون مهمًـــا للمهتمـــين باللغويات. أما بالنسبة لى فإن موسوعة ماير للمحادثة

فى الجزء الذى يبدأ مـــن Biot إلـــى Chemikalien تطلق علىّ اسم شاعر موهوب، لقد ولدت فى السابع عشر من أكتوبر عام ١٨١٣ فى جولداو ليست بعيدة عن دارمشتات وتوفيت فى التاسع عشر من فبرايـــر عام ١٨٣٧ فى زيورخ بمرض التهاب الأعـــصاب كما ورد فى موسوعة ماير.

(يفتح الموسوعة ويشير لموضع النص)(يحضر لويس منضدة من الخلف ويضعها على يمين المسرح)

بوشـــــــنر: ذكرت الموسوعة من أعمالى الأدبية "رسول مـــن هيسن" و"موت دانتـــون" و"ليـــونس ولينـــا" فقـــط وتجاهلت القصة غير المكتملـــة "ليـــنس" والعمـــل الأكثر أهمية "فويتسك".

(يحضر بلون بلون من الخلف كرسيًا مكدسًا بكمية ضخمة من ورق وأدوات الكتابة ويـــضعه خلـــف المنضدة الموجودة على اليمين، ويضع ورق وأدوات الكتابة علىّ المنضدة)

بوشـــــــنر: أنا أكتب مسرحية جديدة اسمها "أخترلـــو" تـــدور أحداثها يومى ١٢ و١٣ ديسمبر عام ١٩٨١ ، وأنا أمثل فيها شخصية بنجامين فرانكلين.

(يبدأ فى الكتابة بقوة ويسند قدمه على الموسوعة)

بوشنر: وهى كذلك تكملة لمسرحية "فويتسك" الذى يلعب دورًا أيضًا فى هذه المسرحية.

(يواصل لويس وبلون بلون تجهيز المسرح حيث يضعان سلة الغسيل المربعة على اليمين وبعيدًا عنها فى المقدمة على اليسار كرسى الفوتيه الوثير وإلخ ثم يلتفتان ناحية البروفيسور ويجثيان أمامه)

بلون بلون: إذا ناديته ببروفيسور فلن يرد. ناده بـ"هولوفرنس".

لويس: هولوفرنس! هولوفرنس! يهز البروفيسور

البروفيسور: يوديت ستقتلنى.

بلون بلون: الحافز للقتل! الحافز للقتل!

بلون بلون: كفى اسكت عن كلامك السخيف عن الحافز للقتل.

بلون بلون: الدافع للقتل! الدفع للقتل!

لـــــــــــويس: مثّل الدور يا هولوفرنس. مثل الدور.

البروفيـــــسور: الدور؟

لـــــــــــويس: دور العلاج عــن طريــق تقمــص الشخــصيات يا هولوفرنس.

بلــون بلــون: إننا نريد أن نشفى يا هولوفرنس.

البروفيـــــسور: نشفى؟

(يتردد ثم يقول غاضبًا)

البروفيـــــسور: أنا بصحة جيدة.

(تنتابه نوبة جنون ويقفز إلى أعلى)

لـــــــــــويس: طبعًا أنت بصحة جيدة يا هولوفرنس. إن أعصابك متعبة بعض الشيء. ولهذا الـسبب هـذا العــلاج بتقمص الشخصيات يا هولوفرنس.

بلــون بلــون: لاتزان الشخصية. للتوازن الروحى. فــإن عمليــة قصيرة فى اللا شعور تحدث تــأثيرًا كــالمعجزة. وهذا سيسعد بختنصر (ينهضان).

لـــــــــــويس: إنك وعدت بذلك.

البروفيســـور: أنا وعدت؟

بلـــون بلـــون: وعدت (يلتفت البروفيسور حوله)

البروفيســـور: أين الأطباء؟

لــــــــويس: فى مؤتمر.

البروفيســـور: هم دائمًا فى مؤتمرات.

بلـــون بلـــون: والموظفون مضربون عن العمل.

البروفيســـور: الرأسمالية اللعينة.

بلـــون بلـــون: على الرغم من ذلك عليك تمثيل الدور يا هولوفرنس.

البروفيســـور: حسنًا. لنمثل الدور.

(يأخذ بلون بلون جريدة من سلة الغســـيل، ويحرك لويس السرير إلى المكان تحت القبة)

(يأتى بوشنر مسرعًا إلى البروفيسور ويـــدس فى يديه صفحات مكتوبة بطريقة عشوائية ويعود إلى المنضدة ويستمر فى الكتابة. يرمـــى البروفيـــسور

الصفحات ويبحث فى سلة الغسيل ويضع قبعة لنابليون على رأسه وعليها نظارة شمس، ويخرج موسوعة من السلة أصغر حجمًا من "ماير" ويقلب فيها. ويتقمص دور نابليون)

نابليون: أنا، أيها المشاهدون المحترمون، أنتم تعرفون من أنا.

(يقرأ)

نابليون: ولدت فى الخامس عشر من أغسطس فى أجاكيو فى جزيرة كورسيكا، وأنا الابن الثانى للأرستقراطى الكورسيكى الوطنى كارلو بونابرت وللسيدة لتيا رامولينو التى توفيت فى الخامس من مايو عام ١٨٢١ فى الساعة السادسة مساء أثناء هياج فظيع لسرطان المعدة فى مستشفى القديسة هيلينا.

أنا أستشهد بالموسوعة العالمية الشاملة، الأحداث والشخصيات التاريخية لكل الأزمنة والشعوب وتاريخ جميع الممالك مع اهتمام خاص بالعصر الحديث، ليبسيج، دار نشر مؤسسة المعرفة ١٨٨٢.

يغلق الموسوعة ويشير إلى كلا الطبيبين لويس وبونابرت

نـــــــابليون: أبنا أخى. شارلز لويس نابليون الابــن الأصــغر لأخى لويس الذى جعلته ملكًا لهولندا ولهورتنزيــه بوهارنس ابنتى من زوجتى. ولد عام ١٨٠٨، لقد أصبح لويس مواطنا من إقليم تورجــا، وضــابطًا نقيبًا فى سلاح المدفعية فى بــرن بعــد أن تلقــى تعليمه فى معاهد مدينة تون السويــسرية، أصــبح عام ١٨٥٢ نابليون الثالث إمبراطور فرنسا.

(لويس يلوّح للجمهور بيده)

نـــــــابليون: نابليون جوزيف شارلز، يدعى بلون بلون من قبيل المزحة، فارس من كتيبة الفرسان، وسياسى مسالم لا ضرر منه ابن ملك وستفاليا وأصــغر إخــوتى جيروم، وأمه كاترينا أميرة فورتمبرج. إننى أحب الدم الألمانى.

(يلوِّح بلون بلون بيديه للجمهور)

نـــــــابليون: أنا أستخدم هذين العجوزين كخادمين. لقد أصبحت إنسانا عاطفيا، كما أصبحت كثير التسامح.

(يلقى الموسوعة فى سلة الغسيل)

بلـــون بلـــون: العدد الجديد من جريدة نقابة العمال الحرة.

نـــــــابليون: كم نسخة يطبعون منها؟

بلـــون بلـــون: ثمانية ملايين. **بلون بلون يعطي الجريدة لنابليون)**

نـــــــابليون: هل فيها صورة جين؟

بلـــون بلـــون: وبها صورة عارية الجسد لجين.

(تظهر فى الشباك جين دارك وهى مـــسلحة بالكامل، بالخوذة والسيف)

جـــــــــين: بصورة جسدى العارى. أنا جـــين دارك: أحرقـــت بتهمة السحر والهرطقة فى الثلاثين من مـــايو عـــام ١٤٣١ فى رون، وأصبحت قديسة بواســطة البابـــا بنديكت الخامس عشر فى ٣٠ مـــايو عـــام ١٩٢٠. وشكسبير يجعلنى فى مسرحية "هينـــريش الرابـــع عشر" بطلة قومية ويسمينى شيللر عذراء أورليـــانز وجورج برنارد شو القديسة يوهانا والآن أنا عاهرة.

(تختفى مرة أخرى)

(يدخل من اليمين شخص فى زى جنرال تابع لجيش نابليون ويصيح)

كـــــــامبرون: مى – مى – مى!

(ينصرف جهة اليمين)

نـــــــابليون: كامبرون.

(يجلس على الكرسى الوثير علـــى اليـــسار ويتصفح الجريدة)

نـــــــابليون: إنه يحاول أن يتذكر كلمته المشهورة. لقـــد رقيتـــه قبل معركة واترلو إلى رتبة عميد ومنحتـــه لقـــب كونت، وجعلته واحدًا من السادة النبلاء. لقد كنـــت دائمًا كريمًا.

(يأتى فويتسك من الـــيمين فى زى عـــصره ومعه أدوات الحلاق يتنحنح).

فويتـــــــسك: الحلاقة يا سيادة الجنرال.

نـــــــابليون: فويتسك. جئت مبكرًا ساعة قبل الموعد المعتاد.

فويتسك: القبعة يا سيادة الجنرال ونظارة الشمس.

(يخلع نابليون القبعة والنظارة ويضعهما علىّ الفراش)

فويتسك: عفوا يا سيادة الجنرال. الصباح معتم. الطقس بارد. إن الشتاء قادم.

(يلف فوطة الحلاقة حول رقبة نابليون)

فويتسك: والماسونيون.

نابليون: مهلا فويتسك - مهلا.

فويتسك: هذا ما كان النقيب ...

نابليون: يردده دائما. هذا ما يعلمه كل إنسان - يا فويتسك - كل إنسان يعلم ذلك.

(يقلب رغاوى الصابون)

نابليون: الجمهور المحترم، ما يحدث هنا في الأعلى، يرهق مخيلتكم أكثر من توالى الأحداث التى توافق الأوضاع الواقعية والسياسية اليوم، التى تدور أحداثها فى مكان ما بين تيارات سيبيريا المتجمدة

فى البحر المتجمد والمناطق الطبيعية فــى غــرب أوربا، التى تزدحم بطوابير السيارات. وينجــامين فرانكلين ويان هوس وثلاثــة بــابوات وريــشيليو وروبسبيير وجين دارك التى قدمت نفـسها للتــو واللورد تونى والإمبراطور زيجيموند[1]، وحتــى كارل ماركس سيجسدون أدوارًا، التى على الرغم من أنها تتطابق مع تلك الأدوار التى مثلوهــا ذات مرة وسيمثلونها ولكنها - ونحن نعترف بصراحة - أحيانا مختلفة بطريقة غريبة، وهــذا كلــه فــى الزمن الذى نعيش فيه- لكم جمهور المشاهدين فى الصالة ولنا على خشبة المسرح- كما لو كانت آلة موسيقية حديثة تعيد عزف مواد قديمة بإيقاعــات جديدة وأنغام مختلفة.

فويتــــــــسك: سأضع صابون الحلاقة، يا سيدى الجنرال.

---

(١) الإمبراطور زيجيموند: ملك ألمانيا فى الفترة من ١٤١٠-١٤٣٧. تم تتويجه إمبراطور عام ١٤٣٣. وهو ابن الإمبراطور كارل الرابع. ولد فى نوينبرج فى ١٣٨٦/٢/١٥ ومات فى زنيم فى ١٤٣٧/١٢/٩. تولى بالوراثة دوق براندنبورج، واكتسب عن طريق زواجه بماريا ابنة ملك المجر وبولندة لودفيج الأول حق وراثة العرش فى البلدين وتوج عام ١٣٨٧ ملكا للمجر.

(يضع الصابون على ذقن نابليون)

نـــــــابليون: بالتأكيد يمكننى أهدئكم، أيها المشاهدين المحترمين من هذه الناحية بأن تشاهدوا مسرحية كعلاج نفسى يتقمص الأدوار التى خطط لهـا أطبـاء مـصحة أخترلو المتحمسون للتجارب، وتمت مناقشتها معنا نحن المرضي ومنحت لنفسها الحرية كما لو كـان صاحبها مؤلفا مسرحيًا وقام الممثلـون بتقـديمها، ولكن لا يضطر أحد أن يقبلهـا وهـو ممـتعض. ولكننا سنبدأ بالتمثيـل علـى الفـور. مـدفوعين بالطموح المهنى وغير ملتزمين بنص محدد وأيضا غير مرتبطين بالذى يولفـه باسـتمرار المؤلـف الوحيد الذى يعتقد أنه جيورج بوشـنر، وبالنـسبة للواقع فإنه لا يوجد على خشبة المسرح واقع آخر غير الذى نمثله.

فويتـــــــسك: لقد انتهيت من وضع صابون الحلاقة يـا سـيدى الجنرال.

(يبدأ بسن شفرة الحلاقة)

نـــــــابليون: ولكن ماذا عن واقعكم أنتم إذا كنتم تشككون فى الواقع الذى نمثله، الذى – وأنا أعترف – يدور فيه

الزمن ويختلط بفظاعة؟ عندما تصل كلماتى إليكم أو يصل إلى إعجابكم أو احتجاجكم سيكون قد تأخر كل شيء، فرنين الصوت يحتاج وقتًا معينًا حتى يصل إليكم أو يصل إلى أو حتى ولو كان واحدًا على ألف من الثانية، إنه يتسلل إلينا من الماضى، ولكنه يكون قد تغير مكاننا فى هذا الواحد من الثانية، وتكون الأرض دارت بعض مئات الأمتار حول الشمس. وتكون الشمس فى تلك الأثناء قد اندفعت مسرعة نحو كوكبة هرقل بعض مئات الأمتار، وفى نفس الوقت تدور درب اللبانة بعض الكيلومترات فى اتجاه البجعة، وأيضا درب اللبانة ينطلق فى مواجهة مجرة الأندروميدا.

(تأتى من الخلف سيدة محترمة ترتدى قميص نوم خياليًا قديمًا به رقع لا يمكن حصرها. يلوّح نابليون لها بيديه)

نابليون: السيدة فون سيمزن. من النبلاء القدامى وآخر أفراد أسرتها. أما أنا فأول أفراد أسرتى.

(تبحث السيدة فون سيمزن فى سلة الغسيل عن ملابس ريشيليو وتذهب بها إلى الخلف حيث

يحضر لها لويس وبلون منضدة للمكياج،
وتشرع فى تغيير ملابسها ووضع المكياج)

فويتسك: الحلاقة يا سيدى الجنرال.

(يحلق ونابليون يسحب منه شفرة الحلاقة)

نابليون: نحن نتحدث عن حقيقة واقعة ولا نعرف فى أى زمان ومكان نتحرك. والأحداث المسرحية التى نمثلها هى حقيقة مستحيلة تمامًا كتلك التى تمثلونها كمشاهدين. فكلتاهما ماض، فإذا اعتبرناها كذلك سقطنا فى هوة اللا وجود

(فويتسك يريد أن يستمر فى الحلاقة ونابليون يسحب منه الشفرة من جديد)

نابليون: إننى أفزع يا فويتسك عندما أفكر فى أن الأرض تدور فى كل يوم دورة. يا له من تبديد فى الوقت! لقد أصابنى دوار قوى.

فويتسك: هذا ما كان النقيب يقوله دائمًا.

نابليون: شىء آخر، لويس وبلون أطباء، أطباء نفسانيون يشاركون فى التمثيل بكل ود وحب. أريد

أن أقدم لك: بروفيسور هانس لوفل.

(يلوح لويس بيديه للجمهور)

(يذهب لويس لمقدمة المسرح)

لـــــــويس: سيداتى وســـادتى، زملائـــى الأعــزاء، أعزائـــى المرضى، أصدقائى الأحباء. أنا وحدى الطبيــب. زيجيموند فرويد خياط ســيدات يمنعنـــى واجبـــى كطبيب أن أفصح عن اسمه. وليس هناك أسوأ من ذلك، سيداتى وسادتى. لقد روعى تأمين ســـلامتكم وفى حالة الضرورة يمكـــنكم اســـتخدام مخـــارج الطوارئ. استمر فى التمثيل يا بروفيسور. استمر فى الحلاقة يا فويتسك.

(يخرج مع بلون بلون من جهة اليمين)

فويتـــــــسك: سمعًا وطاعة يا دكتور.

(يستمر فى الحلاقة)

نـــــــابليون: لقد كانت رقبة النقيب يا فويتسك ، رقبـــة النقيـــب ورقبة الرائد عازف الطبول تحت يـــدك، وفيهـــا الشفرة، وكلاهما كان على علاقة مشينة بمـــارى. كلاهما. هل ذبحتهما؟ وعندما أقول أنـــت فـــإننى

أعنيك أنت.

فويتسك: أنا أحلق يا سيدى الجنرال.

يحلق

نابليون: أنت قطعت رقبة مارى بالشفرة - يا فويتسك - رقبة مارى.

فويتسك: ليس بشفرتى يا سيدى الجنرال.

نابليون: بشفرة اشتريتها من يهودى.

فويتسك: إن شفرتى شيء مقدس بالنسبة لى.

نابليون: لا تمزح. استمر فى الحلاقة.

فويتسك: سمعًا وطاعة يا سيادة الجنرال.

يحلق.

نابليون: ليس هناك أى شيء مقدس بالنسبة لك يا فويتسك، أى شيء. منذ عشرين سنة وفى منتصف الليل أصدرت عليك حكما بالإعدام، وفى منتصف الليلة نفسها، وفى الخامسة صباحا عفوت عنك وأصدرت قرارًا بتعيينك جلادا، وماذا أقول وفى

الساعة السادسة قطعت رقبة رئيس الحزب بشفرة الحلاقة التى تعتز بها. هل عندك شىء مقدس؟

فويتسك: أنا أحلق لك ذقنك أيضا بشفرتى يا سيادة الجنرال.

نابليون: ومنذ ذلك الوقت قطعت رقاب خمسة رؤساء. رؤساء الحزب يا فويتسك خمس مرات، وهذا يعنى أنك قطعت رقبة خمسة رؤساء تتابعوا على رئاسة الحزب، وهذا شىء هائل يا فويتسك.

فويتسك: والآن أنت رئيس الحزب يا سيادة الجنرال.

(يحلق ويغنى)

فويتسك: هذا الذى يقطع الرقاب، هذا الذى اسمه الموت.

(يظهر كامبرون مرة أخرى من جهة اليسار ويصيح)

كامبرون: مى – مى – مى.

(ينصرف مرة أخرى جهة اليمين)

نابليون: أنت إنسان طيب ولكنك عديم الأخلاق.

فويتسك: أمثالنا ليسوا فى الحزب يا سيدى الجنرال.

(يحلق)

نـــــــــابليون: هل رأيت جريدة نقابة العمال الحرة يا فويتــسك، وعليها صورة ابنتك؟

(يشير إلى الجريدة)

فويتـــــــــــسك: أمثالنا لا يشاهدون شيئًا كهــذا أبــدًا يــا ســيدى الجنرال. أمثالنا لم تعد لهم قوة الرجال.

نـــــــــابليون: جين امرأة جميلة يمكنك أن تفخر بابنتك.

نـــــــــابليون: ربما تكون ابنتى يا سيدى الجنرال. وربما تكــون ابنة الرائد عازف الطبول أو ابنة النقيب أو تكــون ابنة من شخص آخر. إن أمها مارى كانت فــاجرة ولكن جين قديسة. ولأنها ابنة الــشعب يمكنهــا أن تدع الآخرين يصوّرونها عارية وستبقى قديــسة. ويمكنها أن تصاحب مسئولى الحزب والــسياسيين فى الفراش وستظل قديسة. أمثالنا فقط هم الــذين يرتكبو الذنوب يا سيدى الجنرال. إننى أعتقد أننــا لو أتينا إلى السماء فسينطلق الرعد.

(يغنى)

فويتـــــــــــسك: لتكن الآلام كل ما أظفر به،

لتكن آلامي فى صلاتى،

ربى! دع قلبى دائمًا كجسدك بالجروح داميا.

(يحلق)

فويتسك: لقد وصل روبسبيير.

(يظهر روبسبيير فى الشباك)

روبسبيير: لقد وصلت. أنا مكسميليان مارى إزيدور دى روبسبيير. ولدت فى السادس من مايو عام ١٧٥٨ فى آراس، وأعدمت على المقصلة فى الثامن والعشرين من يوليو عام ١٧٩٤ فى ميدان الكونكورد فى باريس.

(يختفى)

نابليون: الأيديولوجى الأول.

فويتسك: هل أضع لك لوسيون بعد الحلاقة يا سيدى الجنرال؟

نابليون: هل كان عند فوشيه؟

فويتسك: كان عند جين يا سيدى الجنرال. فى فراشها.

نـــــــابليون: كيف أخبروك أنت ولم يخبرونى أنا؟

فويتـــــــسك: لقد علمت الآن يا سيدى الجنرال.

نـــــــابليون: منك أنت، وليس عن طريق جهـــاز مخـــابراتى. أعطنى لوسيون دانهيل.

(يمسح علىّ رقبته باللوسيون)

نـــــــابليون: هل أمرك فوشيه يا فويتسك أن ...؟

فويتـــــــسك: نعم يا سيدى الجنرال،

(يدلك ذقن نابليون باللوسيون)

نـــــــابليون: لماذا لم تفعل ذلك؟

فويتـــــــسك: لو لم تكن وطنيًا لكنت.. كنت..، يا سيادة الجنرال، كنت فعلتها. ولكنك يا وطنى. سيادة الجنرال.

فويتـــــــسك: هل أنت متأكد؟

فويتـــــــسك: لقد قالت جين ذلك لى.

نـــــــابليون: حسنًا

(يتناول مقصًا صغيرًا)

فويتسك: نقص شعر فتحتى الأنف.

(ينظف فتحتى الأنف)

فويتسك: عندما أقص الشعر فى فتحتى أنفك أتخيل عش الطيور.

(يرجع إلى الوراء)

فويتسك: انتهيت يا سيدى الجنرال.

نابليون: اذهب الآن إلى فوشيه.

(يفزع فويتسك)

فويتسك: أذهب إلى السكرتير الأول للحزب، يا سيادة الجنرال؟

نابليون: أنت تفكر أكثر من اللازم، وهذا يضنيك، فأنت دائمًا كمن يلهث من فرط المطاردة.

(فويتسك فى يأس)

(يحزم أدوات الحلاقة)

فويتســـــــسك: لقد أتيت لتوى من عند فوشيه يا سيدى الجنرال.

نـــــــابليون: لا يهم يا فويتسك، احلق له ذقنه.

فويتســـــــسك: لقد حلق هو ذقنه يا سيدى الجنرال بماكينة الحلاقة الكهربية.

نـــــــابليون: ولكن ليس بالدقة الكافية، ليس بالإتقان الواجـــب، ليست هى الحلاقة الأبدية يا فويتسك.

فويتســـــــسك: أنا لا أعرف، يا سيادة الجنرال.

نـــــــابليون: إن فوشيه ليس وطنيًا.

فويتســـــــسك: سمعًا وطاعة يا سيادة الجنرال.

(يظهر لويس من اليمين)

لـــــــــويس: بنجامين فرانكلين.

نـــــــابليون: أدخله.

(لويس يذهب إلى بوشنر. نابليون ينـــهض ويتمطى)

نـــــــابليون: أنا مريض يا فويتسك، مريض. طوال الليل مقابلة

بعد الأخرى، والآن السفير الأمريكى. اذهب الآن يا فويتسك للحلاقة وامش فى الشارع ببطء وهدوء.

(يجلس من جديد)

فويتسك: يا له من نور وهاج. نور كالنار يغطى المدينة كلها. نار تحيط بالسماء. وصخب كنفير الأبواق.

(يخرج جهة اليمين)

فوشيه يظهر فى الشباك فى زى راقصة باليه، وحول رقبته فوطة بها دم)

فوشيه: أنا جوزيف فوشيه، ولدت عام ١٧٥٩ وتوفيت عام ١٨٢٠، وافقت على إعدام لودفيج السادس عشر وغيرت انتمائى لليعاقبة إلى ملاحقتهم من دون ضمير وأصبحت وزير البوليس فى حكم نابليون ولودفيج الثامن عشر، وذلك لاستغلال كل مواهبى من قوة ذكائى وداهية فكرى ومعرفتى الممتازة بالناس والأحزاب. وقد حلق لى فويتسك فى صباح الثانى عشر من ديسمبر عام ١٩٨١.

(يختفى مرة أخرى)

(تأتى من الخلف من ناحية اليمين السيدة سيمزن متقمصة شخصية ريشيليو)

ريشيليو: الجنرال بونابرت.

(بلون بلون يأخذ ريشيليو إلى الوراء)

بلون بلون: لم يحن الوقت بعد يا سيدة سيمزن، لم يحن الوقت بعد.

ريشيليو: آه.

(يجلس مرة أخرى على منضدة المكياج)

(لويس يهز كتف بوشنر)

لويس: ادخل يا بوشنر.

بوشنر: آه.

(يفتش فى الأوراق)

بوشنر: أين نصى، أنا لا أجد النص.

لويس: لا يهم. قل أى شىء.

بوشـــــــنر: وجدته.

(يقرأ)

بوشـــــــنر: أنا مندهش. فى حالة ذهول تام.

(يتقدم على أنه فرانكلين، مندهش، فى حالة ذهول تام)

نـــــــابليون: أهلاً يا بنجامين.

(فرانكين يحدق ببصره فى نابليون وهـــو فى حالة ذهول)

نـــــــابليون: ماذا بك؟

فـــــــرانكلين: أنا - أنا.

(يتلعثم).

فـــــــرانكلين: أنا فى ذهول تام. النص الخاص بك.

(يعطيه حزمة أوراق)

نـــــــابليون: شكرًا.

(يلقى بالأوراق فى الركن)

فـــــــرانكلين: أنا أتيت لأشاهد جثتك.

نــــــــابليون: يؤسفنى هذا.

فـــــــرانكلين: وماذا عن فوشيه؟

نــــــــابليون: سيحلق له الآن.

فـــــــرانكلين: هذا ليس فى النص.

نــــــــابليون: قريبًا، سيمكنك أن تشاهد جثته.

فـــــــرانكلين: هل ستدعهم يحملونه على نعش؟

نــــــــابليون: إن فوشيه يستحق جنازة رسمية.

فـــــــرانكلين: يا اللـــه. يا عظيم.

نــــــــابليون: هدِّئ من روْعك، إن المعلومات التى لـــديك فـــى مجملها صحيحة. من أى مصدر هذه المعلومـــات؟ هل هى من جين؟

فـــــــرانكلين: منها، ولكنها أخفت علىّ أنه من المفترض إنقاذك. معذرة.

(يتقدم للمنصة)

فـــــرانكلين: أنا لم أقدم نفسي بالنسبة لدوري الذي أمثلـــه. أنـــا ينجامين فرانكلين، ولدت في السابع عشر من يناير عام ١٧٠٦ ابن صانع صـــابون، وعملـــت أديبًـــا وباحثًا في الطبيعة وسياسيًا، وكنت سفير أمريكـــا في الفترة من ١٧٧٦ إلى ١٧٨٥ في بلاط الملـــك لودفيج السادس عشر.

نـــــابليون: لقد أخبرني لويس بحضورك.

فـــــرانكلين: الطبيب النصاب؟

(يلتفت مرة أخرى إلى الجمهور)

فـــــرانكلين: عاشت أمثلتي على وجه الخصوص من بعدي: إن ذبلت الوردة تبقى محتفظة برائحتهـــا، وإن خـــرج السر بره اثنين ما يبقاش سر، كله زائـــل، الوقـــت من ذهب، ويد بمفردها ...

(يظهر لويس من اليمين).

لـــــــويس: هل أعد المائدة؟

فـــــــرانكلين: الجوال الفارغ لا يقف معتدلاً. وتوفيت فى الـسابع عشر من أبريل عام ١٧٩٠.

نـــــــابليون: هل تأكل معى يا بنجامين؟

فـــــــرانكلين: بكل سرور يا نابليون فالإفطار الجيد ...

نـــــــابليون: دعك من الأمثال أرجوك يا بنجامين.

(يجلس على الكرسى الوثير على اليسار)

فـــــــرانكلين: إننى لم أقل مثلا واحدا حتى الآن.

نـــــــابليون: على الرغم من ذلك لا تقل شيئا.

فـــــــرانكلين: حسناً.

(يأخذ الكرسى الذى يحتاجه فى دور بوشنر ويضعه وسط المسرح)

(بلون بلون يدفع عربة طعام وعليها أطباق من الصاج وبراد شاى قديم وسكرية وكؤوس زجاج، وزجاجات عرق وأدوات طعام خاصة بالمصحة تتناقض حالتها المزرية مع كمية الأطعمة الضخمة)

بلـــون بلـــون: طعام الإفطار.

(ينصرف)

نـــــــابليون: ما الحيلة اللئيمة التى يدبرها رئيسك؟

فـــــــرانكلين: ينبغى ألا تستهين بالقدرة السياسية لرئيسنا

نـــــــابليون: لنتناول الطعام.

(يتناولان طعام الإفطار، ويدفعان العربة إلى بعضيهما)

فـــــــرانكلين: إنهم فى الناحية الأخرى من المحيط فى قلق شديد.

(فرانكلين يدفع العربة إلى نابليون)

فـــــــرانكلين: لو لم نكن فى قلق شديد على بلدكم، لاحتلت منذ وقت طويل.

نـــــــابليون: إن خوفى من هذا الخطر أقل من خوفى من أعصابكم المتوترة. إننى أخاف من المواجهة بين المرضى المصابين بتصلب الشرايين، والمرضى المصابين بالهستيريا.

(نابليون يدفع العربة إلى فرانكلين).

فرانكلين: لقد أراد رئيسنا أن يعرض على فوشيه مساعدة عسكرية.

(صمت، يتناولان الطعام)

فرانكلين: لقد أخبرته بأنك لم تعد على قيد الحياة.

(يدفع العربة إلى نابليون).

نابليون: إنكم تعجلتم.

فرانكلين: بحق الشيطان. إن فوشيه كان سيستخدم عرض الرئيس بالمساعدة العسكرية للحماية، فى التحالف مع نقابة العمال الحرة. لقد تفاوض هوس معه على ذلك عند جين.

نابليون: هذه الوضيعة تضاجع كل الرجال.

(يان هوس يأتى من اليمين يرتدى بنطلونًا جينزًا أزرق وحذاء تريض وبلوفرًا ومعطفًا قصيرًا يبدو عليه البؤس ويتقدم إلى العربة)

(نابليون وفرانكلين يتجمدان فى مكانهما وكأن الزمن قد توقف)

هـــــوس: أنا يان هوس. معذرة إن دخلت فجأة فـــى وســط المشهد. فمن المفترض أن أظهر خلــف الــشباك، على شكل شبح.

(يتقدم إلى الأمام)

هـــــوس: أهالى البلدة الأعزاء – حسنًا، هذا غير صـــحيح – الجمهور العزيز، أنا بالطبع لست يان هوس الــذى ولد فى عام ١٣٦٩ فى هوسينيتس والحاصل على درجة الماجستير فى الفنون الحرة ورئيس جامعـــة براغ، وواعظ دينى فى كنيسة بيت لحم بها، بـــل أقوم فقط بتمثيل دور يان هـــوس، ولكننـــى فـــى اخترلو قسيسا، أو قسيس فى أخترلو، على أننى لا أجرؤ على أن أقرر أى الخيارين يناسبنى. وعندما ألتفت إليكم بشخصى أيها المتفرجون الكرام فهـــذا ليس بسبب إهدار طموحى للتمثيل، ولكن لأنه أسند إلىَّ تمثيل يان هوس هذا، وبهذا، أعنى ذلك الدور ليان هوس الذى كتب وصمم لك المسرح. وبالتأكيد فأنا شخصيًا أفهم أنه تم تقريب شخصية يان هوس لى، فلقد كان يان هوس واعظًا جبارًا لدرجـــة أن كنيسة بيت لحم فى براج تعتبر صـــغيرة بالنـــسبة

لرجل مثله يدعو إلى كلام اللـــه بينما أنا، قبل أن أعين فى أخترلو أو ربما أحال إلى التقاعد فيهـــا، أعظ فى كنيسة الزهاد الصغيرة عند ناصية شارع أويجن موزرو وحارة فيتسنر، وحولى على الأكثر خمس عشرة سيدة عجوزًا، يجلسن القرفصاء على المقاعد، ولقد أتين فقط لأنهن كن يغزلن، وكنت أنا عندما يغفلن أعزف على الناى بدلاً من أن أشـــغل العزف الآلى للأورج.

(يخرج نايا)

هـــــــــوس: سأعزف باخ. مقطوعة للناى عزف منفـــرد. مـــن الأفضل أن أعزف السربندة[١].

(يعزف الناى)

هـــــــــوس: للأسف لم أنجح فى ضم اثنين من كمساريى الترام المتقدمين فى السن إلىّ، ولقد شوش شخيرهما على عزفى للناى بدرجة أيقظت السيدات. ووضـــعانى أمام اختيار: إما هم أو الاثنان. ولكن هذه الخلافات كانت تحدث أيضا بين المسيحيين الأوائل.

---

(١) السربندة رقصة قديمة.

(عزف الناى)

هـــــــــوس: وكان من الممكن إلغاء دور يان هوس لو لم يقـدم مشاهدى الوحيد، وأنا أدرس الإنجيل فى الكنيـسة الصغيرة فى أخترلو، وهو متشرد تم تعيينـه مـن قبل مصلحة البطالة، صورة عظيمـة لفويتـسك، حيث تم البحث عن دور أدبى يتناسب مـع هـذا الدور الثانوى. دور ثانوى للدور الثانوى، أنا.

(ينادى)

هـــــــــوس: فويتسك!

(يأتى فويتسك من جهة اليسار)

فويتـــــــسك: الحلاقة، يا سيدى القس.

هـــــــــوس: اركع يا فويتسك.

فويتـــــــسك: سمعًا وطاعة، يا سيدى القس.

(يركع)

هـــــــــوس: ماذا غنيت فى السابع والعشرين من أغسطس ١٨٢٤ الساعة الحادية عشرة قبل الظهر على سقالة الإعـدام

فى ليبسيج، قبل أن يرفع القاضى رقبتك بمنتهى البراعة، بحيث أخذت موضعها من السيف العريض حتى أعمل القاضى السيف وسقط الرأس؟ وعندما أقول أنت، فإننى أقصدك أنت، أنت.

(فويتسك يغنى، بينما يعزف هوس على الناى)

فويتسك: اغفر لى يا أبى خطاياى

اغفر لى ما لم أفعله صحيحًا

اقبلنى فيمن عفوت عنهم

من أجل رسولك

أدعوك باسمه

هو عانى ومات من أجلى[١].

هوس: بينما كنت أنا فى السادس من يوليو عام ١٤١٥ أغنى فى محرقة الإعدام فى كونستانس: يا يسوع يا ابن الإله الحى، ارحمنى. وعندما أقول أنا، فإننى أقصدنى أنا، أنا، هوس. يمكنك الذهاب للحلاقة من جديد، يا فويتسك.

---

(١) انظر الكتاب المقدس.

فويتســــك: كل إنسان هوة عميقة يصاب بالدوار كل من يطل عليها.

(يخرج فويتسك من جهة اليمين)

هـــــوس: بالتأكيد، فأنا أيضًا متشرد، قس حر، تحرر برغبته من أى ارتباط مع الدولـــة، مـــن ذلـــك التحـــالف المشىءوم الذى أفسد الكنيسة فى وقت مبكر جدًا.

(يصرخ)

هـــــوس: من فى هذه البلاد يعتبر نفسه ليس مسيحيًا تمامًا.

(يصمت)

هـــــوس: إننى أفضل أن أعزف الناى.

(يعزف الناى)

هـــــوس: إن دائرة الكنيسة الخاصة بى كانت عبـــارة عـــن هؤلاء الخمس عشرة سيدة. كن يعتنين بى، شـــغلن لى هذا البلوفر. والـــسترة كانـــت لخـــادم كنيـــسة الزهاد. كان أشرم الشفة العليا. مات. كلهم مـــاتوا. لقد كنت أعتبرهم رمز المسيحية المزدهرة. هنا فى بلادنا. ولا أعرف لماذا.

(يعزف الناى)

هـــــــــوس: والمسيح أيضا ما كان إلا متجولاً.

(يعزف الناى، يتوقف فجأة، يذهب إلى سلة الغسيل، يبحث فيها ويجد قبعة زنادقة العصر الوسيط، من الورق ومرسومًا عليها الشياطين ومكتوبًا عليها هيريسيارشا[1] ويضعها على رأسه)

هـــــــــوس: وعلى الرغم من ذلك. إن اختياري للقيام بهذا الدور خطأ، فإن دور البطل يناسبني أكثر عندما أحرك الأزمة العالمية التي يشير إليها بالحدث السابق. أننا أيها الجمهور المحترم، كلنا نقوم بأدوار خاطئة. وللأسف لم يعد يوجد أيضًا في أخترلو فنانون مسرحيون، ويا لها من فرصة لو قمت بدور بوشنر الحقيقي، فإنني مكلف بشغل دورين في نفس الوقت، يان هوس التاريخي ويان هوس اليوم. فإذا كان هوس التاريخي يريد أن تنشأ

---

(١) كلمة قديمة يتصل معناها بعلم الزندقة والزنادقة، جماعة ضد العقائد المسيحية المتشددة، ولذلك اتهموا وسموا بالزنادقة. ويعتبر كل من يشك أو يرفض الاقتناع بالعقيدة المسيحية ضمن هؤلاء الزنادقة.

كنيسة عظمى بطريقـــة ديمقراطيـــة مـــن دون أن يشكك فى مبرراتها الميتافيزيقية، كان هدف هوس اليوم إنشاء حزب قوى ذى سلطة عظمى بطريقـــة ديمقراطية دون أن يمس المبررات الميتافيزيقيـــة لسلطته. هذا وذاك يحاول تحقيق شىء مـــستحيل، كلاهما متعاظم مثير للـــسخرية، متعـــاظم ومثيـــر للسخرية مثل دون كيشوت[1]. وهـــذه الشخـــصية القوية المؤثرة فى التاريخ العالمى مثلى ينبغى عليه أن يقوم بدور ثانوى.

(يخرج جهة اليسار وهو يعزف الناى)

نـــــــابليون: هل كان هذا النص الذى كتبته؟

بوشـــــــــنر: هذا النص ألفه هو.

نـــــــابليون: هل تسمح بهذا؟

---

(١) بطل رواية للكاتب الإسبانى ميغل دى سرفانتس، وقد نشر سرفانتس روايته في جزءين عامي1605 م و١٦١٥م، وظلت رواية دون كيشوت رواية هزلية تعبّر عن مغامرات رجل مجنون حتى القرن التاسع عشر الميلادى، ثم أصبحت نمطًا لنوع جديد من القصص الأسطورية ذات أبطال لا يتواءمون مع زمانهم.

بوشـــــــنر: أنت أيضًا لا تستخدم النص الذى كتبته.

نـــــابليون: أنا ألعب دور البطولة. وبالمناسبة أنت لم تكتب أى نص لى حتى الآن.

بوشـــــــنر: أنا ما زلت فى مونولوج البداية الخاص بك.

نـــــابليون: إنك فى دور جيورج بوشنر بطىء جدًا.

بوشـــــــنر: أنا لست بالفعل جيورج بوشنر، أنا وريث ســلالة خنازير رضيعة.

نـــــابليون: يا إلهى، هل أضعت جنونك؟

بوشـــــــنر: عندما أريد أن أقول شعرًا فإننى أكــون جيــورج بوشنر، وعندما أشــعر فــإننى أعــرف الحقيقــة الفظيعة.

نـــــابليون: لا بد أن هذا يعتبر جهنم بالنسبة لك.

بوشـــــــنر: إن قول الشعر ليس شيئًا مسليًا.

نـــــابليون: هل نواصل التمثيل؟

بوشـــــــنر: لنواصل التمثيل.

نابليون: الوقت الآن فى أمريكا فى الجهة الأخرى ليل دامس.

فرانكلين: الساعة الآن هناك الواحدة والنصف.

نابليون: معنى هذا أن الصحف الصباحية والتليفزيون ستعلن سقوطى، وكذلك العرض الذى قدمه رئيسكم إلى فوشيه.

فرانكلين: إن الرئيس سيتقدم بعرضه إليك أيضا.

(نابليون يدفع العربة إلى فرانكلين)

نابليون: وأنا كنت أريد هذا اليوم بالذات أن أتناول الإفطار فى هدوء.

فرانكلين: إننى لا أفهم سبب هذا الغضب يا نابليون إنك تتلقى ورقة رابحة جدًا عن طريق العرض الذى يقدمه لك الرئيس.

(فرانكلين يدفع العربة إلى نابليون)

نابليون: هذه الورقة الرابحة الضخمة ليست من نصيبى، وإنما من نصيب شخص آخر، لأننا سنحتل فى اليوم التالى لإعلان الرئيسى لهذا العرض، فليس هناك محيط يفصل بيننا وبين جارتانا.

فرانكلين: يا للمصيبة، يا نابليون. إننى أحتاج إلى كأس براندى.

نابليون: أننى أفهم لماذا جعلتك جين تعتقد أن فوشيه تخلص منى.

(يصب لفرانكلين كأسًا من البراندى)

نابليون: إن القديسة تريد حربًا.

(يدفع العربة إلى فرانكلين)

فرانكلين: سأتصل بوزير خارجيتنا.

(فرانكلين يسقط البراندى إلى أسفل وينهض واقفًا)

فرانكلين: لقد أساءوا فهم نيّات رئيسنا.

(يدفع العربة إلى نابليون)

نابليون: السياسيون فقط هم من يعتبرون الحجج الواهية مقنعة.

(يظهر من جهة اليمين موللر الأول بلحية ويرتدى بيجامة نوم صفراء، وموللر الثانى فى بيجامة

نوم خضراء. كلاهما يضع قلنسوة على رأسه ويمسك بعصا البابوية)

مولر الأول: أنا أنجلو كورر، البابا جريجور الثانى عشر[1].

مولر الثانى: أنا بيتر دى لونا، البابا بنديكت الثالث عشر[2].

مولر الأول: نحن اثنان من الثلاثة بابوات.

مولر الثانى: الذين كانوا عندما كان هوس ينشر علومه فى الهرطقة .

الاثنان: كنا معا فى نفس الوقت.

مولر الأول: نحكم المسيحيين.

نابليون: تم حذف النص.

---

(١) جريجور الثانى عشر: المقصود البابا جريجور الثالث عشر(١٥٧٢-٨٥) ولد فى ١٥٠٢/١/١ وتوفى فى ١٥٨٥/٤/١٠، ويعد من كبار باباوات الإصلاح فى الكنيسة الكاثوليكية. وأدخل التقويم الجريجورى عام ١٥٨٢.

(٢) بنديكت الثالث عشر: المقصود البابا بنديكت الثانى عشر. (١٣٣٤-٤٢) ولد فى ١٢٤٠ ومات فى ١٣٤٢/٤/٢٥) وهو تقليدى متشدد واسع الثقافة عمل إصلاحات فى الوظائف الكنسية ورفع الضرائب ونظام القساوسة، وبدأ بناء قلعة البابا فى أفيجون.

مـــوللر الأول: حذف؟

موللر الثــانى: حذف؟

نـــــابليون: حذف.

بوشــــــنر: حذف.

(بوشنر وقد جلس مرة أخرى على المكتب، يشطب على الأوراق. بينما ينصرف مــوللر الأول والثانى جهة اليمين، يأتى من اليــسار كــامبرون، يرتدى زيًا وكأنه قرصان من العصر الوسيط بساق خشبية وعين واحدة ورباط أسود على العين، ولكنه يرتدى أيضًا قلنسوة ويمسك بعصا البابوية)

كـــــامبرون: أنا البابا الثالث. بلداسار كوســا، يوحنــا الثالــث والعشرون[1]. فى عام ١٩١١ طردت هوس مــن

---

(١) يوحنا الثالث والعشرون (١٨٨١ - ١٩٦٣) بابا إيطالى، انتخب لمنصب البابا عام ١٩٥٨ خلفا لبيوس الثانى عشر. اعتقد كثير من الناس أن عهده سيكون قصيرًا وخاليًا من الأحداث نظرًا لأن عمره كان يقارب الـ ٧٧ عامًا. فاجأ الكنيسة الرومانية الكاثوليكية والعالم في بداية عام ١٩٥٩ بدعوته إلى مجمع عام. تبقى مكانة يوحنا محفوظة فى التاريخ نظرًا لشجاعته وبُعد نظره بدعوة مجمع الفاتيكان الثانى الذى اجتمع عام ١٩٦٢. لم يتدخل فى نشاطات=

الكنيسة، وفى الخامس من نوفمبر ١٤١٤ افتتحت المجلس الكنسى فى كونستانس، وفى التاسع والعشرين من مايو تم عزلى من منصب البابوية وسجنى فى جوتليبين فى قصر بقرية أفضل وسيلة لوصولك إليها بالمواصلات العامة، ميعاد المغادرة من كونستانس الساعة التاسعة والربع وميعاد الوصول التاسعة وخمس وثلاثون دقيقة. كنت فى شبابى جنديًا وقرصانًا بحريًا، وموسوعة الحقائق لعلم اللاهوت البروتستانتى تصفنى بأننى قوة طبيعية فاسدة ماكر وجرىء ويستطيع فعل أى جريمة، وهى صفة يقال إنها مكنتنى من قتل البابا الذى سبقنى الإسكندر الخامس بالسم. وبعفو البابا مارتن الخامس عنى، مت فى فلورنس كأسقف كردلى توسكولوم عام ١٤١٩.

نابليون: تم حذف النص.

كامبرون: حذف؟

= المجمع إلا نادرًا، واحتفظ لنفسه بالحق فى الموافقة على قراراته النهائية. مات عندما كان المجمع منعقدًا. جعل البابا بولس السادس المجمع يستمر، ووافق على مراسيمه بعد انتهائها عام ١٩٦٥.

نــــــابليون: لويس!

(يأتى لــويس مــن الــيمين، ويــذهب إلى كامبرون)

كـــــامبرون: إن دور كامبرون ليست له أهمية تذكر، أمـــا دور يوحنا الثالث والعشرين فهو دور عظيم.

نـــــابليون: هذا الدور لا يليق مع نصك المضطرب. بدلاً منك ستقوم السيدة سيمزن بتمثيــل الكنيــسة فـــى دور الكاردينال ريشيليو.

(يصطحب لويس كامبرون جهة الــيمين إلى الخارج. يأتى من اليسار بلون بلون)

بوشـــــــنر: أنا أحتج. لقد كتبت بالفعل نص دور يوحنا الثالــث والعشرين. هذا الدور لشخص بمثــل هــذه القــوة الطبيعية يناسبنى. مثل دانتون، مثل أريتين. السيدة سيمزن فى دور ريشيليو؟ لا أقبل ذلك.

(يشرع فى شطب أوراق النص)

(بلون بلون يذهب إلى مقدمة المسرح)

نـــــابليون: الآن يتكلم أيضًا خياط السيدات. لا أحد يستطيع أن يوقفه. سأكمل نومى.

(يذهب إلى الفراش، يرتدى نظارة الـشمس والقبعة، يرقد للنوم ويشد الغطاء على جسده)

بلـون بلـون: أنا زيجميوند فرويد، ولدت فى السادس من مـايو عام ١٨٥٦ فى فريدبرج بميرين، وتوفيـت فـى الثالث والعشرين من سبتمبر عام ١٩٣٩ فى لندن. ولكنى لست نفس زيجيموند فرويد المولـود فـى السادس من مايو ١٨٥٦ فى فريـدبرج بميـرين والمتوفى فى الثالث والعشرين من سبتمبر ١٩٣٩ فى لندن. أنا صورة منه، اخترعت التحليل النفسى ونشرت كل ما نشره زيجموند فرويد المولود فـى السادس من مايو غام ١٨٥٦ فى فريدبرج بميرين والمولود فى الثالث والعشرين من سبتمبر ١٩٣٩، الذى أصبح من أجله أستاذًا فى فيينا عـام ١٩٠٢ ونال جائزة جوته عام ١٩٣٩ وأصـبح عـضوًا أجنبيًا للجمعية الملكية عـام ١٩٣٦، لقـد قلـدنى وانتحل شخصيتى أنا زيجموند فرويد الذى ولد فى السادس من مايو ١٨٥٦ فى فريـدبرج بميـرين وتوفى فى الثالث والعشرين من سبتمبر فى لندن، بمنتهى البساطة، غير أننى لا أريد أن أثقل علـيكم

بهذا التاريخ المعروف للعالم كله. إننى أريد فقط أن أسجل شكوكى فى طريقة العلاج هذه بتقمص الأدوار التى تتم فوق خشبة المسرح بناء على اقتراحات ليس آخرها اقتراح زميلى لوفل. هناك طريقان: طريقى وطريق لوفل، طريقى يؤدى إلى نور معرفة الذات، وطريقه يؤدى إلى ظلام العته العقلى. ويكفى أن ألفت انتباهكم إلى بروفيسور التاريخ الحديث الذى يستحق الشفقة الذى يتخيل أنه هولوفرنس) ويرغمونه، أو ترغمونه علىّ تمثيل دور نابليون بونابرت. والآن يخلد إلى النوم من جديد.

(أثناء الخطبة التالية إلى الجمهور يتعامل مع نابليون النائم وبوشنر الذى يكتب بطريقة غير منظمة كشخصين يخضعان للعلاج الطبى ويقيس نبضهما ويفحص عيونهما .. وإلخ، دون أن يلاحظ نابليون وبوشنر شيء)

بلون بلون: مفهوم. النوم وسيلته للهرب. فإذا كان سبب ميله الجنونى ليكون هولوفرنس هو رغبته فى التكفير عن فشله فى إنجاز مهمته للسلام باعتباره وزيرًا للخارجية وموته بالسيف الذى تحمله يوديت فى

يدها ومزاوجته فجأة بين رغبته فى التحــرر مــن شهوته الجنسية وبين شهوته للموت، مثل ما تشتاق ورقة شجرة البلوط بين لوحى كتف زيجفريد إلــى رمح هاجن، فإن هذا الميل الجنونى للخلاص مــن خلال مهمة تمثيل دور نابليون قد تغيرت فى اتجاه سلبى ورست فى - قدر حرمان القديــسة هيلينــا. النوم، ســيداتى وســادتى. إن صــاحب مطعمنــا المسكين ومالك سلالة الخنازير التى ورثهــا عــن أبيه هو أول من يعتقد أنه يؤلــف مثــل جيــورج بوشنر. ولا عجب أنه فى دوره الذى أقنعــوه بــه لبنجامين فرانكلين ارتكب الخطأ الذى ينسب إلــى عندما ينسى ذكر اختراع فرانكلين لمانع الصواعق الذى أنقذ حياة عدد لا يحصى من البشر، وعلــى عكس نص رسول هيسن الذى ألفه بوشنر تحــت شعار "السلام على الأكواخ والحرب على القصور" الذى جعل حياة العديد من الناس صــعبة للغايــة، حيث أضرم النار فى إحساسهم بالظلم الاجتماعى، فإنه يريد كمدرس جامعى لعلم التشريح المقارن أن يكون أيضًا باحثًا مهمًا فــى الطبيعــة. إن تمثيــل الدور يعتبر هدية له، سيداتى وسادتى. ولكن لماذا

يعتبر نفسه جيورج بوشنر؟ الإجابة واضحة: لأن بوشنر كتب "فويتسك" الذى يأتى لسوء الحظ أيضًا فى هذا العمل الأدبى. وهكذا يكون هناك طلب قوى على هذا العمل من ناحية ويكون صفقة بالملايين من ناحية أخرى. الأدب من ناحية والمذبحة الجماعية للخنازير الصغيرة البريئة: وهذا سيؤدى بالتأكيد إلى الكارثة النفسية. إن الخنزير الصغير مخلوق وفويتسك مخلوق. البروفيسور والطباخ مكانهما كنبة الفوتيه الخاصة بى ولا يمكن شفاؤهم إلا بتحليل نفسى جذرى.

(تأتى من الخلف السيدة سيمزن كأنها ريشيليو. تمشى على عكاز وتلمسها نابليون النائم)

ريشيليو: انزل من السرير ومثّل دور نابليون. بسرعة.

(نابليون يترل من السرير. بلون بلون ينصرف جهة اليمين)

ريشيليو: ما مظهرك هذا؟ أنا أرتدى الملابس الرسمية. أرتدى معطف التتويج الإمبراطورى.

نـــــــابليون: آه. عفوًا.

(يحضر معطف التتويج من ســـلة الغـــسيل ويرتديه)

ريــــــــشيليو: وإكليل الغار.

نـــــــابليون: أليس فوق رأسى؟

نـــــــابليون: لا.

نـــــــابليون: آه.

(يرمى القبعة فى سلة الغسيل ويلتقط منها أكليـــل الغار ويضعه فوق رأسه)

نـــــــابليون: هل وضعه سليم؟

(يتحرك ريشيليو للوراء ويتأمـــل نـــابليون ويقترب منه مرة أخرى ويحرك الإكليل)

ريــــــــشيليو: الآن.

(نابليون يقف فى المكـــان فـــى ملابـــسه التاريخية فى عظمة وجلال)

ريـــــــشيليو: الجريدة.

نـــــــابليون: ماذا أفعل؟ كيف حدث هذا؟

ريـــــــشيليو: لقد ناقشنا ذلك.

نـــــــابليون: إننى ما زلت غارقًا فى نومى.

(يتناول الجريدة من نهاية السرير)

ريـــــــشيليو: هل يمكننا أن نبدأ؟

نـــــــابليون: يمكننا.

(يتصفح الجريدة)

ريـــــــشيليو: الجنرال بونابرت.

نـــــــابليون: أرماند جان دى بليسى، الدوق فون ريشيليو، ولد فى التاسع من سبتمبر عام ١٥٨٥، ورقى إلى وظيفة الكاردينال عام ١٦٢٢ ؛ وتوفى فى الرابع من ديسمبر ١٦٤٢.

ريـــــــشيليو: دعك من هذا الكلام الفارغ، يا بونابرت. أنا لا أموت. هنا لا تمثل التواريخ أى أهمية.

(نابليون شاحب الوجه)

ريشيليو: هل أصبت بالحمى مرة أخرى؟ يبدو عليك أنك بصحة جيدة.

(يدخل كامبرون من اليسار)

نابليون: هل فوجئت؟ لقد أصبحت أنا بدينًا وعجوزًا، وتوليت منذ شهرين رئاسة الدولة وهذه أول مرة تزورني فيها.

(كامبرون يقف فجأة أمام ريشيليو ويصيح)

كامبرون: سمعًا وطاعة. سمعًا وطاعة.

(يختفي)

ريشيليو: ألم يكن هذا كامبرون؟

نابليون: بلى. لقد كان هو.

ريشيليو: ولكنه لم يكن يقول "سمعًا وطاعة" بل "مصيبة قذرة".

نابليون: لم يحفظ النص جيدًا.

(ريشيليو يلتفت حوله)

ريـــــــشيليو: إنك لم تنتقل لقصر الرئاسة بعد يا نابليون.

نـــــــابليون: إننى تعودت على هذا الكشك.

ريـــــــشيليو: تقشف.

نـــــــابليون: كان يستخدم قديما كسجن للضباط.

يشير إلى العربة.

نـــــــابليون: شاى؟ براندى؟ زبدة؟ سلمون؟ كافيار؟

(يعود ويقلب فى صفحات المجلة)

ريـــــــشيليو: إن الشعب يتضور جوعًا.

نـــــــابليون: إننا نقترب من الفوضى الكاملـــة.رائعـــة. ألـــيس كذلك؟

(يشير إلى صورة عارية لجين فى المجلة ويعطيها لريشيليو) .

ريـــــــشيليو: إنها معجزة صنعتها الطبيعة.

نـــــــابليون: لقد ضمت إلى قائمة القديسين.

ريــــــشيليو: هذا أحمق تصرف خاطئ للكنيسة المعصومة مــن الأخطاء. لو أننا وضعناها فى الثلاثين من مــايو ١٤٣١ فى بيت الدعارة بدلاً من حرقها لــم يكــن ليحدث هذا لنا. إننى أتصبب عرقًا مــن الخــوف. هوس سيستخدم صورها العارية فى نشر أهدافــه السياسية. لقد أصبحت نقابة العمال الحــرة أكثــر الحركات العمالية شهرة.

نـــــــابليون: جين تخدم الوطن، فى المعركة وفى الفراش.

ريــــــشيليو: إنها لا تخدم الوطن، إنما تخدم هوس. إنه مصلح. فإذا كان يطالب فى القرن الخامس عشر بإصـــلاح الكنيسة، فإنه يريد اليوم أن يصلح الحزب. إننـــى أعرف ذلك الزنديق. وقد حاولت قبل ذلــك فـــى كونستانس أن أحطم هذا الفرع الفاسد المتعفن، وأن أحرقه حتى لا يصيب كل الجذوع، ولكــن النـــار توهجت دون أن تحقق الغــرض. لقــد أصـــابت العدوى الجذع. إن الكنيسة تعيسة بهذا الجمع مــن الفاشلين. وإذا طردت جين من الكنيـــسة وطالبـــت هوس بالاعتدال فسينتهى عملى السياسى.

(يلقى الجريدة على الأرض)

ريشيليو: إنه يطالب فى المقالة الافتتاحية بانتخابات حرة.

نابليون: إننى لا أقرأ أبدًا مقالاته الافتتاحية، إنها رديئة الأسلوب.

ريشيليو: إن المادة المتفجرة لا تحتاج لأسلوب منمق. إننى أعرفك يا بونابرت، ولكننى لا أعرف حقيقة نيَّاتك. إنك تلعب دور اللا مبالى بالأمور، وأنت مسئول عن موت روبسبيير. إن محامى أراس سيصل اليوم بعد الظهر.

نابليون: وصوله سر من أسرار الدولة.

ريشيليو: وماذا تريد أن تقول؟

نابليون: أنت تعرف يا ريشيليو.

ريشيليو: هل كنت تعرف ذلك؟

نابليون: أنا رئيس الحزب ورئيس الدولة.

ريشيليو: إلى متى ستظل فى هذا المنصب؟

نـــــــابليون: من الذى نقل إليك هذا الخبر؟

ريـــــــشيليو: لا يهم.

نـــــــابليون: لنجلس.

(يجلس نابليون على الكرسى الــوثير علــى اليسار)

ريـــــــشيليو: أنا أشك يا نابليون أنك تــستطيع اليــوم أن تنجــو ثانية. مطالب نقابة العمال الحرة التى تزداد تشددًا يومًا بعد يوم، وصول روبسبيير ...

(ريشيليو يمد يده فى سلة الغسيل ويرمى إلى نابليون حذاءه الطويل)

ريـــــــشيليو: البس حذاءك الطويل. نابليون يموت وهــو مرتــد الحذاء الطويل.

نـــــــابليون: ادخل فى الموضوع يا ريشيليو.

ريـــــــشيليو: إننى لم أستسلم مثلك يا نابليون.

نـــــــابليون: لقد بقيت وظيفتك كما هى.

ريـــــــشيليو: أنا لم أتخل عن هدفى. بل إنــه اكتــسب أبعــادًا عالمية.

نــــــــابليون: يوما ما كان لى مثل هذا الهدف.

(يرتدى نابليون فردة الحذاء اليمنى)

ريـــــــشيليو: هدف يفتقر إلى الكمال. إنك أردت أن توحد أوربا معتمدًا على مجموعة من المواطنين الرعاع مــن أسرتك الإيطالية الإسباجيتى، وزينتهــا بالــشعار "الحرية والمساواة والأخوة". يا لك من أحمق! لقد أشعلت نارين مرة واحدة. الديمقراطيــة والحكــم الاستبدادى، وما النتيجة؟ كانت رد الفعل بالنــسبة للحركتين حروبًا تحررية ومعها كثير من الآمال، ثم إعادة النظام الملكى، وما واكبــه مــن خيبــة الرجاء، وأخيرًا القومية التى مزقت أوربــا شــر ممزق.

(نابليون يعرج فى الحذاء اليمنى ويــدور فى الحجرة)

نــــــــابليون: أتقصد أننى أيضا قد تسببت فــى قيــام الحــربين العالميتين؟

ريـــــــشيليو: لم - لا؟

نـــــــابليون: أنت تحملنى هذه المسئولية؟

ريـــــــشيليو: وأنا متأكد من ذلك تمامًا.

نـــــــابليون: معروف تاريخيًا أنك كرجل دولـــة فـــشلت فـــشلاً ذريعًا.

ريـــــــشيليو: ولكن فشلى بأسلوب أشد تميزًا منك. إننى طبعـــت عصرًا كاملا بطابعى، بينما أنت جزء من عصر. أنا صنعت الدولة ذات السلطة المطلقة، يتربع علىّ عرشها ملك واحد، فى يده كل السلطة وفيها كنيسة واحدة، لكى أقيم دولة حضارية، أما أنت فتوجْـت نفسك إمبراطورا كى تتفوق علىّ. إننى لم أحكـــم، ولكننى جعلت الملك يحكم. أما أنـــت فـــأردت أن تكون الحاكم وريشيليو معـــا. إنـــك لا تتعـــدى أن تكون نسخة منى تتسم بمبالغة مفرطة لا حد لهـــا. يا لوفل، يا زيجموند فرويد، ساعدانى أطلع هنا!

(تدق بالعصا على سلة الغسيل)(يأتى لويس وبلون بلون)

ريشيليو: المفروض أنكم كأطباء أن تعرفوا أين مكانى.

(لويس وبلون بلون يساعدونها لتطلع فوق سلة الغسيل)

ريشيليو: بصراحة، لقد أصابنا الوهن أنت وأنا. والناس يحتاجون لقفص من حديد يحبسون فيه، وإلا سيصبحون خطرين على نطاق واسع. لا شيء يضر البشرية أكثر من الإنسانية. لقد كانت الأقفاص التى شيدناها أضعف مما ينبغى.

(نابليون يلقى من خلف الساتر بالقميص، والبنطلون، والملابس الداخلية إلى الحجرة)

ريشيليو: كلانا مذنب، ولكن جين وهوس أكثر ذنبًا منا. عندما خلق الله العالم خلق الأفعى أيضًا، وبعد الأفعى جاء قابيل، وهكذا لم تتقطع هذه السلسلة. أراد هوس أن يتجرع الجميع كأس الألم. كل فلاح فظ كان لا بد أن يشرب دم المسيح. جين ادعت أنها تتلقى أوامر من الرب من دون وساطة الكنيسة. والاثنان أصبحا بطلين قوميين: إن هذا أشد الكفر.

نـــــــابليون: أنت تقول ذلك.

ريـــــــشيليو: أنا أقول ذلك

نـــــــابليون: مؤسس دعائم السلطة المطلقة.

ريـــــــشيليو: من يدرس أفكارى للنهاية يصل للدولة المطلقة.

نـــــــابليون: كنت فى جزيرة سانت هيلينا.

ريـــــــشيليو: وبعد؟ إننى لا أستطيع أن أسمح لنفسى بالحنين إلى الماضى على طريقتك. لقد أصبح فى مقدورنا فى هذه الأيام أن نبنى القفص، الذى لا يستطيع الناس الخروج منه. فهذه هى الكنيسة شىء مطلق، والحزب شىء مطلق، كلاهما يفكر على نحو شامل للعالم.

(ريشيليو يجلس على راحته فوق سلة الغسيل)

ريـــــــشيليو: لا بد أن تندمج الكنيسة والحزب معًا، وأن يتحد الفاتيكان والكرملين، وأن تتضم وظيفة البابا الأسقفية، ووظيفة السكرتير الأول للحزب

الشيوعي في شخص احد، ولا بد للحزب أن يتخلى عن اللا دينيـــة، وأن ينـــضم لكنيـــسة أصـــبحت ماركسية، فلا الكنيسة وحدها ولا الحزب بمفـــرده يستطيع في هذه الأيام أن يبنـــي الدولـــة العالميـــة الكبرى المطلقة، ولكن الذي يقدر عليّ ذلك كنيسة جديدة تتحد فيها الروح الكاثوليكية والشيوعية معًا تستأثر بإسعاد الناس. هذا هو هدفي. ولن أعـــيش حتى أراه متحققًا. ولكنني أعـــد لـــذلك اليـــوم. إن الإنسان يحتاج للعدالة في الحياة الدنيا، وللمنة فـــي الآخرة، ولن تتحقق العدالة على الأرض إلا مـــن دون الحرية، ولن تتحقق المنـــة فـــي الآخـــرة إلا بالحرية الربانية. وسيشملنا الرب بالمنـــة أيـــضا، والهراطقة فقط هم الملعونون للأبد. من يبغِ الحرية في الدنيا تلاحقه العدالة في الآخرة، وهي جهـــنم. سأقابل روبسبيير مساء اليوم.

نـــــــــابليون: هذا إذا قبل أن يتكلم معك.

ريـــــــــشيليو: لقد تم الاتفاق على هذا الموعد منذ أســـبوع، بـــين الأسقف زاباريلا والسفير مولوتوف.

نـــــــابليون: في أي مكان إذن تقابلا وتعرّفا؟

ريـــــــشيليو: عند جين. إن هذه المعجــزة الجميلــة ذات نفــع للكنيسة أيضا. لقد اتفقت مع فوشيه فــي الــرأى، وهو يوافق على حياد الكنيسة.

(مضطرب)

ريـــــــشيليو: زيجموند فرويد، لوفل!

(لويس وبلون بلون يتخذان وضع الانتباه)

بلـــون بلـــون: يا سيادة الكاردينال.

لـــــــــويس: السيدة فون ...

ريـــــــشيليو: لا بد أن أجعل روبسبيير يوافق على ذلــك. إنهـــا عملية صعبة. سوف أذكره بماضيه، فلقد اعتـــرف من قبل بوجود الذات العليا.

(ثورة غضب)

ريـــــــشيليو: والذات العليا موجودة. موجودة.

بلـــون بلـــون: السيدة فون –

لـــــــــــويس: يا سيادة الكاردينال.

(ريشيليو يهدأ فجأة)

ريـــــــــشيليو: ساعدونى لأنزل.

(لويس وبلون بلون يساعدان ريشيليو ليتزل من فوق سلة الغسيل)

(لويس وبلون بلون يتراجعان إلى الوراء مرة أخرى)

(ريشيليو يخرج كتاب الصلوات ويتجــه فى شكل احتفالية إلى نابليون)

ريـــــــــشيليو: لم تعد هناك إمكانية النفى إلى جزيرة سانت هيلينا بالنسبة لك. لقد انفصلت عن هوس وفوشيه انتزع منك السلطة. فويتسك فى الطريق إليك. هل تسمح بـــ الاعتراف الأخير.

(يدخل هوس من الــيمين فى زى قــسيس محروق من الجنب كأنه قادم من كوم زبالة ويرتدى فوق رأسه قبعة الزنديق)

هـــــــــــوس: نابليون، أنا ...

(يتردد وتصيبه الدهشة)

هـــــــــوس: ريشيليو! شيء عجيب يا للعذراء مريم!

ريـــــــشيليو: إنك تعطل عملاً مقدسًا يا يان هوس.

(يتردد)

ريـــــــشيليو: ما هذه القبعة المضحكة التى تضعها فوق رأسك؟

هـــــــــوس: قبعة الزنديق. كنت أرتـــديها وأنـــا فـــى محرقـــة الإعدام.

نــــــــابليون: أتأكل معى يا هوس؟ شنبس؟ توست؟ زبدة؟

هـــــــــوس: إن الشعب يتضور جوعًا.

نــــــــابليون: قرر ريشيليو ذلك من قبل.

(يعيد كتاب الصلوات إلى جيبه حانقًا)

ريـــــــشيليو: إننا أمام الكارثة الكبرى.

هـــــــــوس: سمك مدخن، وسلمون، وكافيار، وبيض روسى.

(ينحنى فوق عربة الطعام)

نـــــابليون: تفضل.

هـــــــوس: لا بد أن آكل. عندما أرى كل هذه الأطعمة، لا بد أن آكل. ولكنى أحتاج إلى كرسى.

(يذهب إلى بوشنر المنشغل بالكتابة)

هـــــــوس: من فضلك.

(يأخذ منه الكرسى)

بوشـــــــــنر: ماذا دهاك؟

هـــــــوس: أنا أحتاج كرسيًا.

بوشـــــــــنر: أنت هوس.

هـــــــوس: وبعد!

بوشـــــــــنر: أنت ستظهر فى وقت لاحق. إننى ما زلـــت أنقـــح أسلوب نص ريشيليو.

هـــــــوس: إنه ظهر منذ وقت طويل.

بوشـــــــــنر: أنا أغير دائمًا فى النص. وكذلك الجزء الخـــاص بك.

هـــــوس: لقد فات الأوان. إننى انتهيت من حفظه.

(يجلس ويمد يده لتنـاول الأطعمـة ويبـدأ الأكل. نابليون عاد وجلس علىّ الكرسى الـوثير علىّ اليسار)

(بوشنر يستمر فى الكتابة بطريقة غير منظمة وهو راكع على ركبتيه)

نـــابليون: إنه يلتهم كل طعامى.

هـــــوس: ولو.

(يستمر فى تناول الطعام)

ريـــشيليو: للأسف لم أكن حاضرًا عند إعـدامك حرقًـا فـى كونستانس.

هـــــوس: ولذلك كان سكرتيرك أول من ألقى بالـشعلة فـى كوم الحطب لإحراقى.

ريـــشيليو: ألم يحدث أن تقابلنا من قبل فى مكان ما

هـــــوس: ألا تتذكر؟

ريشيليو: لا.

هوس: إذن لم يحدث أن تقابلنا من قبل.

(يأكل)

(يعود فيجلس)

هوس: لقد وصل روبسبيير - المفكر الأيديولوجى للحزب.

نابليون: نحن نعلم ذلك أيضًا.

هوس: سيتولى فوشيه رئاسة الحكومة.

ريشيليو: وهذا أيضًا نعرفه.

هوس: الكل يعلم كل شيء.

نابليون: هذا أكثر الأمور بدهية فى دولة كل شىء فيها سرى.

هوس: اختف

(يستمر فى الأكل، وأخيرًا يقول وهو يمضغ)

هوس: سأعطيك عنوانا.

(يعطى نابليون ورقة)

هـــــــوس: ستكون هناك فى مأمن.

نـــــــابليون: هنا سأكون فى مأمن.

(يضع الورقة فى جيبه)

هـــــــوس: أنت تجـلس هنا فى مصيدة يا نـــابليون، وتهمـــل حراسة معسكرك بدرجة كبيرة، حتى إن المكـــان هنا يشبه صالة محطة السكة الحديد.

(يأكل)

نـــــــابليون: لقد اتضح لى ذلك.

هـــــــوس: سيأتى فويتسك إليك اليوم.

(يأكل)

نـــــــابليون: إنه يحلق لى كل صباح.

هـــــــوس: اليوم سيحلق لك للمرة الأخيرة.

(يأكل)

هـــــــوس: أرأيت أنك لا تعرف كل شىء.

(يأكل)

ريـــــــشيليو: لقد أعددته بعناية لذلك، وأنت يـا زنـديق تـشغل نابليون بونابرت عن الاعتراف؟

نــــــابليون: لقد جاءنى فويتسك بالفعل.

ريـــــــشيليو: جاءك؟

(صمت)

(يومئ برأسه)

ريـــــــشيليو: إيماءتك هذه لا تنفعنا بشيء يا بونابرت.

نــــــابليون: فى حالتى أنا الإيماءة إجابة.

ريـــــــشيليو: ولكن فوشيه

نــــــابليون: لم يعد يستطيع الإيماءة.

هــــــوس: هل حلق له فويتسك؟

(يسمع فى الخارج صوت المارش الجنـائزى لشوبان)

نــــــابليون: لقد أحضروه.

ريـــــشيليو: سأعود إلى القصر البابوى.

نـــــابليون: هل خاب أملك؟

ريـــــشيليو: كان يجب عليّ فويتسك أن يقوم بواجبه.

(بوشنر يسرع إليه ومعه صفحات مكتوبة)

بوشـــــنر: النص الخاص بك، يا حضرة الكاردينال.

ريـــــشيليو: شكرًا، يا بنى.

(يلقى بالنص فى سلة الغسيل. ينصرف جهة اليسار. هوس يصيح وراءه)

هـــــوس: وداعًا.

(ينصرف الكاردينال جهة اليسار. هوس لا يهتم ويستمر فى الأكل ببطء. بوشنر يبقى واقفًا فى حيرة)

هـــــوس: إنه يعتبرنى نذلاً دنيئًا.

نـــــابليون: ليس هو فقط. أنت تنشر فى جريدة النقابة صـــورًا عارية لقديسة.

هـــــــوس: إن الجريدة تجد عند القسيسين رواجًا كاسحًا.

نــــــابليون: مع أنك تدعى أنك ابن وفى للكنيسة.

هـــــــوس: كابن وفى للكنيسة ينبغى علىّ ألا أنتقد تغير حيـــاة شخص أعلن البابـــا بنـــديكت الخـــامس عـــشر[1] قداسته.

نــــــابليون: لقد كان غضب الحزب، وهو المعـــروف عقائـــديًا بحيائه الكاذب، أقوى بكثير من الكنيسة.

هـــــــوس: إن دول الجوار الاشتراكية منعت الجريدة.

نــــــابليون: إنها تحقق أسعارا لا يملكها إلا كبار رجال الحزب.

(بوشنر ينقر باستحياء على كتف نابليون)

بوشـــــــنر: إننى أريد أخيرًا أن أسمع النص الذى كتبته.

هـــــــوس: أنا على أى حال لا يخطر على بالى أى شىء.

بوشـــــــنر: هل يمكن لى بدلاً منك ..

---

(١) البابا بنديكت الخامس عشر (١٩١٤- ١٩٢٢)، ولد فى جنوا فى ١٨٥٤/١١/٢١ وتوفى فى روما فى ٢٢/١/ ١٩٢٢. محاولاته لإرساء السلام باءت بالفشل.

هـــــــوس: بكل ترحيب. فإنك فى آخر الأمر الذى ألفته.

(يواصل الأكل. بوشنر يقف خلف هـــوس، ويقرأ نصه من مذكرة الأوراق)

(نابليون يلقى بإكليل الغار فى سلة الغسيل)

(المارش الجنائزى مستمر)

بوشـــــــنر: من حسن الحظ أنك استطعت أن تجعـــل فويتـــسك يغير رأيه.

نــــــابليون: جين جعلته يغير رأيه.

نــــــابليون: ماذا قررت نقابة العمال الحرة؟

(يلقى بمعطف الإمبراطور فى سلة الغسيل)

بوشـــــــنر: لقد استمر الاجتماع طوال الليل.

(يلقى نابليون النظارة فى سلة الغسيل. هوس يستمر فى الأكل بشهية قوية)

بوشـــــــنر: لقد اعترفت فى اتفاقية رســمية بــشرعية النقابــة الحرة، عمليات الاعتقال فى زيادة مستمرة.

(نابليون يخلع الحذاء الطويل)

نــــــــابليون: إننى آمر باعتقال الأشخاص الذين يتبعون سياســـة معادية لى.

بوشـــــــــنر: نحن نطالب باقتصاد ناجح، وغذاء كافٍ للــشعب، وأجورا أكثر عدالة.

نــــــــابليون: وانتخابات حرة.

(يلقى بالحذاء الطويــل الأيــسر فى ســلة الغسيل)

بوشـــــــــنر: إن الدستور يكفل ذلك.

نــــــــابليون: إنكم تتقدمون بمطالب سياسية.

هـــــــوس: هذه مطالب بديهية.

نــــــــابليون: إن هذه المطالب البدهية نعتبرها أيضا سياسية.

هـــــــوس: **هل يوجد عندنا شيء واحد ليس له مغــزى سياسي؟ اصطناع الرائحة الكريهة تلميح إلى تعفن الحزب، والتثاؤب حركة تعبر عــن الــسأم مــن الماركسية؛ استخدام الواقى يعنى فقدان الأمــل فى انتصار البروليتاريا وعدم استخدامه معناه التفكير فى**

جيل يتولى الإصلاح.

(هوس يأكل)

بوشـــــــنر: إننا لن نسكت، ونحن نعلم أن الطلبـــة والمنـــشقين يختفون فى السجون.

نــــــابليون: إن من لا يسكت، كمن يشعل غليونه فى منطقة فى مصنع البارود. إن تصرفكم حمق، وكان الـــسبب فى ظهور روبسبيير.

(فى الخارج تتوقف الموسيقى الحزينـــة عـــن العزف)

هـــــــوس: لقد انتهى المارش الجنائزى.

(يشعل الغليون لنفسه)

نــــــابليون: صدحت الموسيقى تكريمًا للسياسى الوغـــد الـــذى تحالفتم معه.

بوشـــــــنر: لقد أخذنا سقوط حكمك فى الاعتبار.

نــــــابليون: كانت حساباتكم خاطئة.

بوشـــــــنر: إن أصدقائى سيدعون إلى الإضراب العام.

نـــــــابليون: لماذا؟

نـــــــابليون: سيحتجون ضدك.

نـــــــابليون: إذن هم سيتدخلون.

بوشـــــــنر: إنهم لا يجرءون عليّ ذلك.

نـــــــابليون: أنت تقف في مواجهة عقائديين.

بوشـــــــنر : ليذهبوا إلى الجحيم بمعتقداتهم.

نـــــــابليون: ولكن المخاطرة كبيرة جدا، إنك تقف في مواجهـــة عقائديين.

هـــــــوس: فليذهبوا إلى الجحيم بمعتقداتهم هذه.

نـــــــابليون: إنك ما زلت متهورًا كما كنت في كونستانس، يـــا يان هوس، يجب أن تتفادوا كل ما يمكن تفاديـــه، وأن تكفوا عن الاستفزازات والتصريحات. يجـــب أن تمنعوا الإضراب العام وأن تكفوا عـــن نـــشر مقالاتكم. لم يعد من الممكن الإمساك بزمام النقابة الحرة.

(هوس ينهض واقفًا)

نـــــــابليون: يجب عليك أن تمسك بزمامها.

بوشـــــــــنر: كيف؟ لقد أصبحت النقابة من خلالى ما كنت ذات يوم من الأيام: هوس. والآن يوجد الكثيرون مـــن هوس، مئات الآلاف من هوس. ولكـــن لـــم يعـــد هنالك ذلك الهوس. لقد فقدت سيطرتى على نقابـــة العمال الحرة. غدًا سيعلن الإضراب العام.

(فى الخارج تعـــزف الموســـيقى المـــارش الجنائزى)

هـــــــوس: المارش الجنائزى مرة أخرى سأذهب للفراش.

(لويس يدخل من اليمين)

لـــــــويس: ماكسميليان مارى إزيدور دى روبسبيير.

(ينصرف)

نـــــــابليون: شيء عجيب. كبير الإيديولوجيين.

بوشـــــــــنر: مرة أخرى تأتى مبكرًا. لم أكتب النص بعد.

هـــــــوس: الأمر لا يهم. روبسبيير سيلقى تقريبًا، كمـــا هـــى

الحال دائمًا، الكلمة التى سـأطالب فيهـا بإعـدام لودفيج السادس عشر. وسيطالب الآن أيضًا بعقوبة الإعدام لى.

نـــابليون: أنا لا أحب أن أتناقش مع هذا الشخص. سـأذهب إلى الفراش.

هـــوس: إذن سيوقظك.

نـــابليون: سأدخل فى سلة الغسيل.

هـــوس: سأدخن الغليون إلى نهايته.

بوشـــنر: سأغير النص الخاص بيان هوس مرة أخرى. إنـه لم يعجبنى.

(بوشنر يكتب. يتسلق نابليون سلة الغسيل، يغلـق الغطاء فوقه. يجلس هوس علی الكرسى الوثير على اليسار ويدخن)

(من اليمين يظهر روبسبيير يحمله لويس ويـضعه فى الوسط أمام مقدمة المسرح. روبسبيير شخص أنيق أشقر يرتدى ملابس روبسبيير ليس بعيد الشبه عن

مارلين ديتريش[1] ذو صوت حاد جامد، فيما يبدو أنه رجل. يلقى كلمته وكأنه أمام الجمعية الوطنية)

روبسبيير: هذه الثورة لم تكتمل بعد، ومن لا ينفذ الثورة إلا إلى نصفها، يحفر قبره بيديه.

(هوس يدخن)

(روبسبير لا يلتفت)

روبسبيير: إن يان هوس ليس متهما بأى حال، كما أننى لست قاضيًا، وإنما أنا ممثل البروليتاريا، وليس لى أن أكون غير ذلك، وليس من شأنى أن أصدر حكمًا لصالح أو ضد أحد، ودورى يقتصر على أننى أنفذ فصلاً من فصول العملية الجدلية المسماة تاريخ العالم.

(لويس يضع روبسبير على سلة الغسيل).

(روبسبير لا يهتم به)

---

(١) اسمها الحقيقى ماريا ماجدلينا وهى ممثلة سينمائية ومغنية ولدت فى برلين فى ١٩٠١/١٢/٢٧ وعملت منذ ١٩٢٢ فى المسرح فى برلين وفى الأفلام الصامتة، وحققت شهرة عالمية بفيلمها "الملاك الأزرق" عام ١٩٣٠.

روبسبيير: إن داعية الإصلاح الذى يظهر علىّ الملأ فى جمهورية اشتراكية، لا يصلح إلا لأمرين: إما أن يعكر صفو الهدوء داخل الجمهورية، ويهز كيان الحرية، أو يثبت أركانهما كليهما. إن يان هوس داعية إصلاح والجمهورية الاشتراكية قد تم تأسيسها.

(هوس يذهب إلى سلة الغسيل التى يقف عليها روبسبيير وهو يتكلم وينظف الغليون من الرماد)

(روبسبيير لا يهتم به)

روبسبيير: وبهذا تكون المسائل قد حسمت. لقد ترك يان هوس الحزب بسبب جرائمه، وجلب جيوشًا من الجواسيس الأجانب لتؤدب الحزب.

(هوس ينصرف. لويس يحمل روبسبيير على ذراعية ويدور به فى المكان. نابليون ينظر بحذر من سلة الغسيل)

(روبسبيير لا يهتم به)

روبـــــــسبيير: ولكن لا يمكن محاكمة هوس، فقد أديـــن بالفعـــل، وإلا لن تكون الجمهورية الاشتراكية قد اكتملـــت. ومن يقترح محاكمة يان هوس، يشكك فى الثـــورة نفسها؛ لأنه إذا أصبح مصير مصلح ما موضـــوع محاكمة، فإنه يمكن أن يـــصدر الحكـــم براءتـــه، وعندما يكون بريئا، يكون الحزب والـــشعب فـــى العاصمة، وكل الوطنيين فى البلاد مذنبين.

(يضع بلون بلون روبسبير على الـــسرير واقفـــا ويخرج جهة اليمين)

(روبسبير لا يهتم ويقف على السرير وقفته علـــىّ المنبر ناطقًا باسم الشعب)

روبـــــــسبيير: والقضية الكبرى التى رفعناها أمام محكمة التاريخ العالمى للفصل بين الإجـــرام والفـــضيلة، تنتهـــى بانتصار الإجرام والفاشية.

(تأتى جين من اليمين ترتدى كامل الدروع)

(يأتي بعدها اللورد تونى يرتدى قناع وزى كازانوفا[1] ويعلق كاميرا على رقبته ويصور باستمرار، وتقوم لاعبة باليه بتمثيل شخصيته)

(روبسبيير لا يلتفت)

روبسبيير: إننى أطالب بأن يعلن الحزب خيانة يان هوس للجمهورية الاشتراكية، وإجرامه فى حق الإنسانية، وأطالب بأن يكون الحكم رادعًا، وأن يقام تمثال لتخليد هذا الحدث الجدير بالذكر، حتى يحفر فى قلوب الشعوب بغض كل دعاة الإصلاح.

(يسقط إلى الخلف على السرير ويبقى دون

---

(١) كازانوفا، جياكومو (١٧٢٥ - ١٧٩٨) مغامر وكاتب إيطالى، كان رجلاً متعدد الاهتمامات، حاد الذكاء. نشر مغامراته في مؤلفاته، ويتمثل أهم عمل له فى سيرته الذاتية بعنوان تاريخ حياتى أو ذكريات، وهو باللغة الفرنسية، ونشر بعد وفاته. ولد كازانوفا في مدينة البندقية ودرس القانون في جامعة بادوا. وبالإضافة إلى تأليف العديد من الكتب كان جاسوسًا ومغامرًا، وسببت له مغامراته المتاعب مع السُّلطات، ولذلك كان كثيرًا ما يضطر إلى الفرار من دولة أوربية إلى أخرى. تم اعتقاله وأودع السجن فى البندقية فى عام ١٧٥٥، ولكنه تمكن من الهرب بطريقة جريئة فى العام التالي، الأمر الذى أدى إلى ازدياد شهرته مغامرًا.

حراك)

(يخرج نابليون مرة أخرى من سلة الغسيل في زي النوم الأسود الأنيق، ينحني ثم يظهر من جديد وقد وضع القبعة فوق رأسه)

نابليون: هل هو نائم؟

(فلاش. في أثناء المنظر التالي يلف اللورد في الحجرة، ينحني فوق روبسبيير، ويجري خلف نابليون أو جين، ويجلس على ركبتيه، ويصور باستمرار بفلاش أو من دون فلاش، ويضع أفلامًا جديدة في الكاميرا)

(نابليون يرمق جين بنظره)

نابليون: عذراء أورليانز!

(ينزل من سلة الغسيل)

نابليون: القديسة يوهانا.

(يذهب إلى الفراش)

نابليون: ماكسميليان!

(فى الخارج تدق الموسيقى الجنائزية)

جـــــــين: لقد كان منذ لحظات فى فراشى.

نـــــابليون: وهو الآن يرقد فى فراشى.

(ينحنى فوق روبسبير)

نـــــابليون: إنه لا يتحرك.

جـــــــين: لقد اعترته هذه الحالة ذات مرة.

نـــــابليون: ولكنه لم يلق خطبة آنذاك.

جـــــــين: كان يفعل ذلك فى مرات سابقة.

نـــــابليون: فى فراشك.

جـــــــين: قبل أن.

نـــــابليون: قبل أن؟

(يحملقان فى روبسبير)

نـــــابليون: عمَّ كان يتحدث إذن؟ فى فراشك قبل أن...

جـــــــين: عن الفضيلة.

نـــــــابليون: إنها موضوعه المفضل.

(يهز روبسبيير)

نـــــــابليون: ماكسميليان؟

(يهزه مرة أخرى)

نـــــــابليون: الرفيق روبسبيير.

(يتركه)

نـــــــابليون: أنا لن أقوم بعملية تنفس صناعى من الفم إلى الفم.

(يحملقان فى روبسبيير)

جـــــــــين: ولا أنا.

(صمت)

جـــــــــين: وأنا ارتديت ملابسى.

(فلاش)

نـــــــابليون: الدروع مرة أخرى؟

(جين تنظر إلى أسفل جسدها)

نـــــــابليون: إن اليوم هو الثانى عشر من ديسمبر عام ١٩٨١.

جـــــــــين: إننى أرتدى ملابس غير ملائمة.

(فلاش)

نـــــــابليون: من هذا الذى يصور باستمرار هنا؟

جـــــــــين: اللورد.

نـــــــابليون: أى لورد؟

جـــــــــين: تونى. إنه يصور للنقابة.

نـــــــابليون: تبدو مثل كازانوفا.

جـــــــــين: هى أيضًا تعتبر نفسها كازانوفا.

نـــــــابليون: هى؟

جـــــــــين: إنها متخنثة.

نـــــــابليون: كانت تنقصنا فى هذا الوقت بالذات هـذه الـشاذة جنسيًا! لتذهب إلى الجحيم.

(اللورد يستمر فى التصوير)

جـــــــــين: الحمد للـــه أن توقف المارش الجنائزى البشع.

نــــــابليون: ولكن سيعود من جديد.

جـــــــــين: أليس المفروض أن نطلب طبيبًا؟

نــــــابليون: لا.

(يحملقان فى روبسبير)

جـــــــــين: إنه يبدو كفتاة.

(صمـــت)

جـــــــــين: فى منتهى الرقة.

(صمـــت)

(يحملقان فى روبسبير)

جـــــــــين: لقد خيل لى وأنا معه، أننى أغتصب طفلا.

(صمـــت)

نــــــابليون: لقد كانوا يرتعشون منه..

جـــــــــين: وأنت أيضا؟

نـــــــابليون: مرة واحدة.

(صمت)

جــــــــين: ساعدنى فى خلع الدروع.

نـــــــابليون: بكل سرور.

(يساعد جين. ويلقيـــان أجـــزاء الـــدروع المختلفة فى سلة الغسيل)

جــــــــين: لقد قال لى إننى كنت أول امرأة فى حياته.

نـــــــابليون: لقد دفعه سعيه إلى نقد آراء يان هوس إلى قــراءة جريدته، وأن يرى صورتك العارية تمامًا بــصفة دائمة. هذه الدروع صعبة.

جــــــــين: غير عملية.

نـــــــابليون: هل ساعدك روبسبيير أيضًا؟

جــــــــين: عند خلع ملابسى.

نـــــــابليون: يا لويس.

(لويس يدخل من اليمين. فلاش)

نـــــــابليون: احمل هذا إلى الفناء.

(يشير إلى روبسبيير)

نـــــــابليون: وضعه فى النعش بجانب فوشيه.

(يصطحب روبسبيير من يده إلى الخارج)

لـــــــويس: مخنث مشهور. يمثل اليوم أول دور لرجل.

(فلاش)

نـــــــابليون: بلون بلون!

(يتقدم بلون بلون – فلاش)

نـــــــابليون: هذه برقية إلى السكرتير العام.

(يلقى قطعة من درع جين محدثًا صوت رنين فى سلة الغسيل)

نـــــــابليون: لقد مات رئيس الحزب الرفيق ماكسميليان مـــارى إزيدور دى روبسبيير، وهو يلقى خطبته الأخيرة، مقتنعًا أن حزبنا قادر على أن يتغلب بقوته علـــى المصاعب الاقتصادية، وكذلك المكائد التى يدبرها الرافضون الاستعماريون.

(يلقى قطعة أخرى من الدرع محدثًا صـــوت

(رنين فى سلة الغسيل)

نـــــــابليون: الرفيق بونابرت.

لـــــــويس: الرفيق بونابرت.

(يخرج بلون بلون. جين خلعـت الـدرع بمساعدة نابليون. ترتدى تحتها حلة جيرًا)

نـــــــابليون: مات فوشيه، ومات روبسبيير.

(يدق المارش الجنائزى فى الخارج)

نـــــــابليون: ها هو ذا المارش الجنائزى من جديد.

(فلاش)

نـــــــابليون: ألا يزال اللورد هنا! اخرج!

(يزحف اللورد تحت المكتب)

(يضع نابليون حذاءه اليمنى علـى اليـسار بجانب كرسى التليفزيون الوثير)

نـــــــابليون: لماذا أتيت؟

جـــــــين: إنهم سيزحفون بقواتهم بعد غد.

نـــــــابليون: لقد تمنيت أنت ذلك. إن فرانكين لم يعد فى إمكانه إلغاء عرضه للمساعدة.

جــــــــــين: لقد اتخذ قرار الهجوم بالفعل.

نـــــــابليون: هل علمت بالخبر من روبسبيير؟

جــــــــــين: لقد أخبرنى بذلك.

نـــــــابليون: متـــى؟

(صمت)

نـــــــابليون: لا بد أن أعرف كل شىء.

جــــــــــين: هل كانت تلك فعلا أول مرة فى حياته؟

نـــــــابليون: فعلا.

جــــــــــين: لقد أغمى عليه بعد ذلك.

نـــــــابليون: مفهوم.

جــــــــــين: لقد ظننت أنه مات.

نـــــــابليون: أكملى.

جـــــــين: هذا شيء خاص بأصحاب القداسة.

نـــــــابليون: ما يحدث فى فراشك أمر خاص بالدولة.

(صمت)

نـــــابليون: فى وضعى هذا يجب أن أعرف كل شيء.

(صمت)

(فلاش)

(نابليون يذهب إلى سلة الغســيل، ويجــر اللورد من رقبته ويقذف به جهة اليمين إلى الخارج)

نـــــــابليون: فيما مضى من أيام كانوا يحملون رجلاً معوقًا، كل يوم فى قفة إلى البوابة الرئيسية للقــصر الملكــى، ولم تكن له ذراعان ولا رجلان، وكانوا يــأمرون بإبعاد هذا المعوق، فلم أره قط.

(يدور فى الحجرة)

نـــــــابليون: عندما سمعت بذلك أمرت بإطعامه، وبقــى- بعــد ذلك ليل نهار أمام البــــوابة الرئيـــسية للقــصر. ولكننى لم أمر عليه قط، وكنت أستخدم بابًا جانبيًا،

وإذا طلب إلى الناس أن يحملوه إلى الباب الجانبى، خرجت أنا من البوابة الرئيسية. كانت رغبتى فـــى تجنب رؤيته، تعادل رغبتك فى تجنب الحديث عن روبسبيير.

جـــــــــين: هل يمكن أن أدخن؟

نابليون: فلتدخنى.

(تأخذ سيجارة من جيب السترة الجيتر التى تنفتح)

نــــــابليون: أعطنى سيجارة.

جـــــــــين: جلواز.

(تلقى إليه بعلبة السجائر)

نــــــابليون: هل هى الأخيرة؟

جـــــــــين: مازال عندى منها.

(تشعل لنفسها السيجارة ثم تلقى الولاعة إليه)

جـــــــــين: خذ الولاعة.

نـــــــابليون: شكرا.

(يشعل السيجارة ثم يلقى إليها بالولاعة)

نـــــــابليون: إن لك صدرًا جميلاً.

جـــــــــين: أعرف ذلك.

نـــــــابليون: وماذا حدث بعد ذلك؟

(يدخن)

جـــــــــين: وبعد ذلك أفاق روبسبيير.

نـــــــابليون: ثم ماذا حدث؟

جـــــــــين: قال لى إنهم قرروا أن يهجموا بعد غـد بـالجيش الثالث والرابع، وبـالجيش الأول مـن الغـرب، والجيش الثانى من الجنوب، وأنه يجـب علـىّ أن أعود معه فى الصباح بالطائرة.

نـــــــابليون: نصف الجيش الأول والثانى تقريبا مرابط عندنا.

(يجلس على كرسى التليفزيون الوثير الموجود علىّ اليسار)

نـــــــابليون: وبعد ذلك؟

جـــــــــين: هذا كل شيء.

نـــــــابليون: كلام فارغ.

جـــــــــين: لا ليس كل شيء.

نـــــــابليون: وبعد؟

جـــــــــين: ثم تضرعت إلى العذراء.

نـــــــابليون: وبعد؟

جـــــــــين: ثم تضرعت إلى العذراء.

نـــــــابليون: من دون تكلف ومبالغة.

جـــــــــين: ثم عرفت ما يجب عليّ أن أفعله.

نـــــــابليون: وبعد؟

جـــــــــين: لقد أغريته أن يطارحني الغرام مرة أخرى. مرات عديدة. لقد كنت أعلم بأنه أصيب ثلاث مرات بالذبحة الصدرية.

نـــــــابليون: لم أكن أعلم ذلك.

جـــــــــين: ولكنني كنت أعلم.

نـــــــابليون: من أين تدعين أنك عرفت ذلك؟

جــــــــــين: من مولوتوف.

نـــــــابليون: المهم أن القديسين يكونون قد علموا بذلك أيضًا.

جــــــــــين: لقد قتلت روبسبيير.

نـــــــابليون: من يعرف ذلك؟

جــــــــــين: تونى فقط.

نـــــــابليون: أتقصدين المصور؟

جــــــــــين: لقد التقط فيلمًا سينمائيًا لروبسبيير ولى أثناء ذلك.

(نابليون يضحك)

نـــــــابليون: وأنا أحكى لك قصتى عن الرجل المعوق.

(ينهض ويذهب إلى السرير)

نـــــــابليون: سأمنع نفسى دائمًا أن أرافقك الفراش.

جــــــــــين: والآن ستقوم الحرب.

نـــــــابليون: لقد فعلتيها أنت.

(يضع جسده على الفراش)

نـــــــابليون: أشكرك علىّ أنك أقنعت فويتسك أن يبقـى علـى حياتى.

جـــــــــين: أنت بطل.

(جين تسقط على ركبتيها، تنظر فى ذهـول إلى أعلى)

جـــــــــين: هناك جنود ومعهم بنـادق آليـة علـى الـسطح المنبسط.

نـــــــابليون: لقد أمروا بذلك.

جـــــــــين: إنهم يسقطون على ركبهم وينظرون إلى السماء.

نـــــــابليون: هذا عصيان للأوامر.

جـــــــــين: السماء تزداد شفافية ونورًا وضياءً.

نـــــــابليون: طقس جميل ببرودة عالية يلوح فى الأفـق: علـى نهاية العام سيكون الطقس شديد البرودة.

جـــــــــين: السماء تنفتح. أيتها القديسة كاتارينا. أيتها القديـسة

مارجريتا.

نـــــــابليون: أرجو ألا يعتقدون أنهم من رجال المظلات.

جـــــــــين: الجنود تؤدى التحية العسكرية.

نـــــــابليون: إنهم لم يعد يتعلموا رفع الخوذة عند الصلاة.

(جين تصرخ)

جـــــــــين: أيها القديس ميخائيل! وأنا أرتـدى الجينـز. رئـيس الملائكة يتحدث إلىّ، يتحدث. أنا أسمع، أنا أسمع –

(همس)

جـــــــــين: مارينجو.

(باهتمام)

جـــــــــين: ينبغى أن تتذكر مارينجو.

(تنهض)

جـــــــــين: تتذكر ينا، فاجرام.

نـــــــابليون: أنا أتذكر هزائمى فقط.

جـــــــــين: تذكر أوسترلتس.

(مضطربة)

نـــــــابليون: هل هذا كل ما تريد القديــسة كاتارينـــا و القديــسة مارجريتا ورئيس الملائكة ميخائيل قوله لى.

جـــــــــين: كله.

نـــــــابليون: هل ترينهم بصفة متكررة.

جـــــــــين: كل يوم.

نـــــــابليون: هل نصحوك أيضًا بأن تتصورى عارية الجسد من أجل يان هوس.

جـــــــــين: لقد أمرتنى القديسة مارجريتا بذلك.

نـــــــابليون: هل أمرتك أن تضاجعى العالم و الشيطان؟

جـــــــــين: لقد أمرت القديسة كاتارينا أن أنقذ وطنى.

نـــــــابليون: وبماذا أمرك رئيس الملائكة ميخائيل؟

جـــــــــين: إنك قلت إن لى صدرًا جميلاً.

نـــــــابليون: هل أمرك رئيس الملائكة ميخائيل أن تضاجعينى؟

جـــــــــين: لقد أمرنى بهذا.

نـــــــابليون: لكى تقتلينى؟ بشفرة الحلاقـــة الخاصـــة بوالـــدك؟ عندما أكون قد غلبنى النوم؟

جـــــــــين: لكى أمنحك القوة لتهزم أعداءنا.

نـــــــابليون: أنت تكذبين.

جـــــــــين: أنا أمثل دور جين دارك.

نـــــــابليون: أنا أمثل دور نابليون.

(صمت)

نـــــــابليون: اذهبى إلى سلة الغسيل!

(جين تذهب إلى سلة الغسيل)

نـــــــابليون: التقطى لى نظارة الشمس من سلة الغسيل.

(جين تبحث وتعثر على نظارة الـــشمس فى ســـلة الغسيل)

نـــــــابليون: البسينى إياها.

(تلبسه نظارة الشمس)

نـــــــابليون: هكذا أستطيع أن أنام وأنا مطمئن. وإلا لن أعرف عندما أستيقظ أنني نابليون. اذهبي!

(يغلبه النوم. يأتي لويس من اليسار ويجلس على الكرسي الوثير على اليسار، يرفع صفحة من المخطوط إلى أعلى، يقرأ)

جـــــــين: "واصل السير بلا مبالاة. لم تكن هناك عقبة في طريقه. تارة إلى أعلى وتارة أخرى إلى أسفل. لم يشعر بالتعب وإنما فقط كان يكره أحيانًا أنه لا يستطيع المشي على رأسه".

(تتوقف بالقرب من بوشنر)

جـــــــين: هل كتبت هذا؟

بوشـــــــنر: أنا كتبت هذا.

جـــــــين: أنا أكره أيضًا أنني لا أستطيع المشي على رأسي.

بوشـــــــنر: وأنا أيضًا.

جـــــــين: هل كتبت المسرحية التي أمثل فيها الآن؟

بوشنر: إننى أكتبها ولكن لا أحد من الممثلين يستخدم نصى.

جين: أنا يوديت.

بوشنر: أعرف.

جين: جدى كان يرتدى زيًا أسود. أطلق على اسم الجعل، جعله. وكان يجلسنى على حجره. كانت جدتى تعزف على البيانو وكان جدى يغنى أغنية "رحلة الشتاء" لشوبرت. كنا نسكن فى بيت خشبى بحديقة مليئة بالزهور، ولم أر بعد ذلك حديقة بمثل هذا الجمال أبدًا. وذات مرة جاء رجل يرتدى زيًا مقلمًا إلينا وغنى أغنية "رحلة الشتاء" أيضًا، ولكن الغناء لم يكن جميلاً مثل غناء جدى، كان يرتعش وكان صوته منخفضا. قال جدى إن الرجل كان مغنيًا بفرقة موسيقية مشهور. كانت المدينة التى يعيش فيها جدى مدينة مصانع، حيث كان بها مصنع واحد فقط وكانت لا توجد بها كنيسة. وكانت تحيط بالمدينة أبراج حراسة عالية، وكانت المنازل تمتد فى صفوف طويلة وتمتلئ بالناس الذين يعملون جميعًا فى المصنع الذى يتصاعد منه

ليلاً ونهارًا دخان، وكان يأتى كل يوم أناس إلى مدينة جدى بالسكك الحديدية ليعملوا فى المصنع الذى كان يتصاعد منه الدخان باستمرار. أنا لم أنس أبدًا الرائحة التى كانت تجيء من المصنع.

بوشنر: كل المصانع رائحتها كريهة. كذلك المجازر التى ورثتها عن أبى رائحتها كريهة.

جين: كانت الحياة فى المدينة صحية علىّ الرغم من أن عدد الناس الذين يأتون إليها كان يزداد باستمرار. كنت أعتقد أن الحياة فى المدينة لا بد أن يقضى عليها ولكن لم يقض عليها أبدًا ولم توجد ولا حالة دفن واحدة. عندما كنت أمشى فى الشارع ممسكًا بيد جدى كان كل الناس يحيوننا. كانوا سعداء لأنهم كانوا يعيشون فى أمان، لأن الطيارين كانوا لا يلقون القنابل عندما كانوا يطيرون فوق مدينتنا. ثم تم ترحيل جدتى وأنا معها إلى إحدى القرى، وبعد الحرب إلى إحدى دور السينما، ورأيت على شاشة السينما أناسًا كثيرين وسقالة وجنودًا كانوا يرافقون جدى فوق السقالة، وكان لا يرتدى الزى الأسود وإنما الملابس المقلمة لمغنى الفرقة الغنائية المشهور. ثم قام الجنود بإعدام جدى شنقًا. كنت

أحب جدى، وبعد ذلك لم أعد أحب أى إنسان آخر.
وإذا كان يوجد إله فسيكون شبيهًا بجدى).

بوشنر: أنا أحب كل الناس، أصحاب الأخلاق وضيقو الأفق والأغبياء أيضًا لأننى أستطيع أن أسخر منهم وكذلك الأقوياء لأننى أستطيع أن أكرههم. الشخص الوحيد الذى أكرهه هو والدى، لأنه أتى إلى هذه الدنيا.

جين: الآن على أن أنقذ رجالاً ونساء وأطفال مدينة بتوليا. إننى لم أضاجع أى رجل حتى الآن. ولكننى سأذهب إلى النقيب هولوفرنس وأضاجعه ثم أقتله.

بوشنر: إذا كنت أنت يوديت فإنك قد قتلتيه من قبل.

جين: ما يجب حدوثه يتكرر دائمًا.

(تضع له سكينًا على المنضدة)

جين: هذه سكين فويتسك. سكين والدى. كان سيكون من الأفضل لى لو كنت أستطيع الآن المشى على رأسى.

(تخرج جهة اليمين. بوشنر يكتب بطريقة غير

منظمة. يدخل لويس من اليمين)

لـــــــويس: هذا الشخص الذى يتخيل أنه بوشنر يكتب، وهـذه التى تتصور أنها يوديت تذهب. إنها تركت ملابس دورها المؤثر لحقبة طويلة من الـزمن، وتركـت قناع الجنون وتعرض نفسها عارية لكى تنـسحب مرتدية القناع مرة أخـرى كمـا هـو التـصرف المناسب فى أخترلو. بالتأكيد نحن نشعر أننا أناس طبيعيون متقاربون فكريًا، أصحاء بقدر الإمكـان، ولكن هل هناك معنى وفائدة للطبيعية وللصحة؟ ألا يتملكنا الفراغ الفظيع للطبيعية؟ ألن ينهـار العـالم بسبب عنفوان صحتنا وعافيتنا؟ ألا ينطلق ببراعـة تدرب عليها الأبطال الرياضيون ويقطع المنحـدر بسرعة هائلة الذى ما هو إلا هـوة عميقـة، لأن الخطأ فقط له معنى وهو الجنون.

(يذهب إلى سلة الغسيل)

لـــــــويس: خياط السيدات الذى يكرر بكل سـعادة كـلام ذلـك الشخص الذى يتخيل أنه سأل عن سبب الجنون الذى وقعنا فيه. ويسأل هل نحن فعلاً مجانين أم أننا نحـن فقط نعتقد أننا لسنا كذلك. وهذا اعتقاد نـشارك فيـه

المجنون. بشكل وبآخر نحن مجانين. ينبغى علينا أن نبحث عن أناس لمعنى الجنون. نحن موجودون منذ ثلاثة ملايين سنة، نمثل بعض اللحظات المضحكة في التاريخ الهائل لتطور الإنسان. ولا يشهد على وجود أسلافنا إلا بعض الرفات وأهمها بعض الأسنان أو أنها بقايا الفك السفلى الذى يسمح بإعادة تصميم أسنان أسلافنا الأوائل.

(يسحب من سلة الغسيل بيده اليمنى أسنانًا ضخمة تستخدم للعرض ويرفعها عاليًا)

لويس: أسنان جيدة. أسنان حقيقية. أسنان جميلة. أسنان إنسان. أسناننا جميعًا.

(يسحب من معطف الأطباء الخاص به بيده اليسرى تركيبة أسنان صناعية، ويمسك بها بجانب أسنان العرض)

لويس: أسنان أفضل. أسنان أكثر حقيقية. أسنان أجمل. أسنان صناعية. كل أملنا. كما تتوق أسنان القرد أن تصبح مثل أسنان الإنسان فإن أسنان الإنسان تتوق بسبب عذاب الآلام إلى أسنان مثالية، أسنان أخرى غير أسنانه، إلى الأسنان الصناعية. والنموذج الأصلى للأسنان هى الأسنان الصناعية،

والأسنان الصناعية هى التى تعطى الأسنان الحقيقية معناها وفائدتها، فمن خلالها تتحقق وتعمل الأسنان الحقيقية.

(يلقى أسنان العرض فى سلة الغسيل ويضع الأسنان الصناعية فى جيب المعطف)

لويس: إذا أردنا البحث عن معنى وجود الإنسان ينبغى علينا أن نبحث عنه خارج الإنسان. الطريق الصحيح صعب والطرق الخاطئة كثيرة. إن أسنان الإنسان القرد تدل على رأسه، وتلك تدلنا على المخ، ونفس الطريقة بالنسبة لأسنان الإنسان القرد البركونسول[1] والنيندرتالر[2]، وكذلك أسناننا تدل علىّ رأس الإنسان ومخنا، أما الأسنان الصناعية، فهى أيضًا تدل على رأسنا ومخنا. ويبدو أننا نتحرك فى دائرة غير مكتملة فى دائرة التطور الخاطئة إذا لم تكن الأسنان الصناعية تدل كذلك أيضا علىّ قدرة العقل البشرى علىّ صناعة

---

(١) البروكنسول: قائد جيش فى روما منذ ٣٢٦ قبل الميلاد. وله صلاحيات القنصل.

(٢) النيندرتالر: الإنسان منذ قديم الزمان أو من كان على شاكلته. ويرجع إلى جزء الهيكل العظمى للإنسان الذى وجد مخبأ فى مغارات إحدى الكنائس فى وادى النيندر وأعطاه أحد العلماء هذا الاسم عام ١٨٥٦. ويرجح العلماء أن النيندرتالر عاشوا فى الزمن الجليدى ما بين ٤٠٠٠٠ – ٧٠٠٠٠ قبل الميلاد.

الأسنان الصناعية، وليس فقط الأسنان الصناعية بل الإنسان الصناعي: الكمبيوتر. إن الشكل الأمثل للإنسان والصورة النموذجية له هو الكمبيوتر الذى تخلص من صانعه، الإنسان، والكمبيوتر يمثل معنى الإنسان وأهميته ومن خلاله يتحقق اكتمال الإنسان. إن الشفق الأحمر عند الغروب الذى يملأ بنى الإنسانية نشوة لتذوب فيه بعد أن أصبح وجودها بغير أهمية، هو فى نفس الوقت شفق الفجر الأحمر التى تنبثق منه الإنسانية الجديدة أى العقول الصناعية، وتشرع فى البحث عن معناها وهدفها: عقول صناعية للعقول صناعية، ما فوق الكمبيوتر الذى سيحل محل الكمبيوتر: كفكرة للفكرة. لا تفزعن أيها السيدات والسادة. إن الشخص الذى يقف أمامكم ليس مجنونا: إن لوفل الطيب، الذى طبقًا للنظريات الحديثة الذى تأثر بها يفترض أن يقوم المرضى بشفاء أنفسهم، قد ترك أخترلو فهى سرية مستغلاً مؤتمر الأطباء وإضراب نقابة المرضين بحيث إننى اضطررت لإدارة المصحة لكونى الوحيد غير المريض. أقدم لكم نفسى لكى أطمئنكم فى نفس الوقت. أنا كارل جوستاف يونج، ولدت فى السادس والعشرين من يوليو عام ١٨٧٥ فى كيسويل، وتوفيت فى السادس من يونيو ١٩٦١ فى كيسنخت. أيها

السيدات والسادة: أخيرًا تستطيعون الآن أن تذهبوا للاستراحة في اطمئنان.

بوشـــــــنر: أى نص مسرح أكتبه فعلاً؟

(يأتي كامبرون من اليمين.)

كـــــامبرون: لقد نسيت النص الخاص بدورى.

الفصل الثانى

(قبل أن ينفتح الستار يبدأ لرقصة الباليه الثنائية علـــى إيقـــاع السى لباخ) (ينفتح الستار)

(شكل المسرح كما فى الفصل الأول. بوشنر يكتب)

(إلا أنه تم استبدال لوحات القواد بصور للزعماء الماركـــسيين لينين، ستالين، تروتسكى، خروتشوف، بريجنيف، ماو، هوشي منـــه، فيديل كاسترو، هونكر... إلخ)

(نابليون ينام فى فراشه مرتديا القبعة ونظارة الشمس)

(السيدة سيمزن تستعد للظهور)

(خشبة المسرح مغطاة بصفحات النص)

(بوشنر ينظر ويعطى إشارة)

(لحن التوكاتا يتوقف)

بوشـــــــــنر: أيها السيدات والسادة إننى باعتبارى مؤلفًا لهذه المسرحية أشعر بسعادة غامرة أنكم أقدمتم على الدخول لمسرحنا بعد الاستراحة على الرغم من أننى ما زلت أغير فى الفصل الأول حتى حذف دور يوهانس الثالث والعشرين. وما يغيظنى أننى ماذا كنت سأجعل من هذا القرصان من الزمن الماضى بالرغم أن بعضكم، كما أعتقد، سوف يفكر فى كيفية خروجه من أخترلو بعد أن دخلها. المسرح تغير بعض الشيء فقط، وقد أصر البروفيسور لوفل وزيجموند فرويد على تغيير الملصقات ولا أعرف لماذا، فإننى لا أقوم بالإخراج. نابليون ما زال نائمًا، وسأحافظ على موس الحلاقة الخاص بفويتسك مثل عينى، أما بالنسبة لعزف عزف التوكاتا لرقصة البالية الثنائية على إيقاع السى الذى سمعته فى البداية كان يمكن أيضًا، أيها السيدات والسادة، أن يحيى المسرحية، حيث إن آلة الأرغن الموجودة على اليسار لا بد أنها شتتت أفكاركم. لقد بذلنا جهدًا وتكلفنا عناء كثيرًا لنجرها بقوانا مجتمعة من الكنيسة إلى خشبة

المسرح، وأثناء ذلك انكسرت ساق كلاوديوس سيزر أوجستوس جيرمانيكوس نيرو الذى أثار فيه ولعه بالتمثيل الرغبة للقيام بدور الرئيس الأمريكي، ولا يستطيع الآن تمثيل الدور. ويستطيع أن يلعب الدور ذلك الشخص الذى يوكل إليه العزف على آلة الأرغن. ومفتاح الغرفة التى جن فيها الموسيقى الأخرس الأطرش من كونجسبرج الذى لديه القدرة أن يستقرأ ويفهم اثنتى عشرة لغة من حركة الشفاه والفائز الثانى بجائزة العزف على الأرغن فى أدليد وأستراليا، الذى يعتقد أنه قائد الأوركسترا يوهانس كرايزلر الذى ابتدع اسمه الشاعر هوفمان. يمكن أن نعثر عليه أثناء الراحة. لا تخشوا أى شىء. إن كرايزلر يكون خطرًا فقط عندما لا يكون جالسًا على آلته.

(يدير وجهه صوب كرايزلر المختفى خلف آلة الأرغن)

بوشنر: ابدأ.

(يبدأ عزف التوكاتا من جديد)

(يدفع لويس وبلون بلـــون مـــوللر الأول والثاني النائمين إلى داخـــل المـــسرح. الـــسريران يصطدمان ببعض)

(يتوقف عزف التوكاتا فجأة)

بوشـــــــــنر: إنه سوء حظ. البروفيسور هانس لوفل وزيجمونـــد فرويد لديهما مشاكل.

لـــــــــويس: موللر الأول نائم.

بلـــون بلـــون: وموللر الثانى أيضًا.

لـــــــــويس: لا يمكن إيقاظ موللر الأول.

بلـــون بلـــون: وموللر الثانى لا يستيقظ بالقرص.

لـــــــــويس: هل تقرص؟

بلـــون بلـــون: لقد قرصته من خده مرة أخرى.

(لويس يقرص موللر الأول)

بلـــون بلـــون: والآن؟

لـــــــــويس: يستمر فى نومه.

بلـــون بلـــون: اقرصه.

(لويس يقرص موللر الأول)

بلـــون بلـــون: هل هناك تأثير؟

لــــــــويس: لا تأثير.

بلـــون بلـــون: إنك حقنت موللر بالترانكسيليوم[١].

لــــــــويس: بسومنيفين[٢] - كيف فكرت في الترانكسيليوم؟

(يتردد)

لــــــــويس: أنت حقنت موللر بالترانكسيليوم؟

بلـــون بلـــون: والآن ينام كلاهما.

لــــــــويس: الآن لا يستطيع كلاهما أن يمثل دور كارل ماركس.

(بلون بلون يشير إلى الحائط)

---

(١) ترانكسيليوم: اسم مادة مهدئة.

(٢) سومنيفين: اسم مادة منومة.

بلــون بلــون: لقد ألصقت صورتك على الحائط فــى شخــصية كارل ماركس.

لـــــــويس: وأنت أيضًا.

بلــون بلــون: سأمثل دور كارل ماركس.

(يمد يده إلى موللر الشـانى ويأخــذ لحيتــه ويضعها حول ذقنه)

لـــــــويس: أنا سأمثل دوره.

(يمد يده إلى موللر الأول، اللحية لا تتحرك)

بلــون بلــون: حاول مرة أخرى.

بلــون بلــون: إن موللر خاصتك لديه لحية حقيقية.

(يلقى لويس وهو مستاء الغطاء على موللر الأول)

بلــون بلــون: كنت أعرف أنك ستحقن مــوللر خاصــتى بمــادة منومة.

لـــــــويس: وأنا كنت أعرف أنك ستحقن موللر خاصتى بمادة

منومة. ولذلك أعطيت أيضًا حقنة لموللر خاصتك.

بلــــون بلــــون: كلاهما كان يريد أن يمثل دور كارل ماركس.

لـــــــــــويس: هذا كلام فارغ. لا يوجد إلا كارل ماركس واحـــد فقط.

بلــــون بلــــون: أنا سأمثل دوره.

لـــــــــــويس: لنرى ما –

(يذهب إلى سلة الغسيل، يبحث، يجد لحية، يعلقها حول ذقنه)

لـــــــــــويس: سأمثل دور كارل ماركس.

(بلون بلون مضطرب)

بلــــون بلــــون: كيف جاءت لحية إلى سلة الغسيل؟

لـــــــــــويس: إن تفكيرى الشامل لم يتركنى فى مأزق. مع هؤلاء المجانين لا بد للمرء أن يتخيل أنه إله الرحمة.

(تظهر يد كرايزلر وهى تضع زجاجة نبيـــذ على آلة الأرغن)

بلــون بلــون: والآن تريد أن تمثل دور كارل ماركس؟

لـــــــويس: أنا كخادم أؤدى دور أقل أهمية.

بلــون بلــون: وبعد؟ دور عظيم.

لـــــــويس: ألا تعلم فعلاً من أنا؟

بلــون بلــون: هل أنت مستعد لألقى بالحقيقة فى وجهك؟

لـــــــويس: ألق.

(يأخذ وضعه)

بلــون بلــون: أنت لست مدير مصحة أخترلو البروفيسور هانس لوفل كما تريد أن توهمنا.

لـــــــويس: وبعد؟

بلــون بلــون: وأنت لست أيضًا كارل جوستاف يــونج[1] مثلمــا تريد أن توهم الجمهور.

---

(١) يونج، كارل جوستاف (١٨٧٥ - ١٩٦١) عالم سويسرى مختص فى علم النفس والطبّ النفسى، قام بتطوير مجال علم النفس التحليلى. وقد تخطت دراساته علم النفس، أثّرت على مجالات أخرى شملت علم الأجناس، والفلسفة، واللاهوت. عارض كثيرًا من النظريات لعالم النفس النمساوي =

لـــــــــويس: أكمل!

بلـــون بلـــون: أنت فنى الأسنان الصناعية جان بيير لـــويلى مـــن معهد زيمباخ لطب الأسنان.

لـــــــــويس: وإلى جانب ذلك القىَ إلى دور كـــارل جوســـتاف يونج.

بلـــون بلـــون: إن دور كارل ماركس خلق لى.

لـــــــــويس: أنت فى دور كارل ماركس تعتبر خطأ القرن فـــى تمثيل الأدوار.

بلـــون بلـــون: لا بد أن أسألك من تعتبرنى؟

لـــــــــويس: هل أنت مستعد أن أقذف الحقيقة فى وجهك؟

بلـــون بلـــون: اقذف.

(يأخذ وضعًا)

لـــــــــويس: أنت لست زيجموند فرويد كما تريد أن توهمنا.

=الشهير زيجموند فرويد، الذى طور أسلوب العلاج المسمى بالتحليل النفسى ولكنهما أكدا تأثير الوعى واللا وعى على سلوك الإنسان.

بلـــون بلـــون: أكمل.

لــــــــــويس: ولست أيضًا صورة من زيجموند فرويد كما تريـد أن توهم الجمهور.

بلـــون بلـــون: وبعد؟

لــــــــــويس: أنت خياط السيدات إيجناس شفنتسل من أوبرهوفن المطلة على بحيرة التون[1].

بلـــون بلـــون: وإلى جانب ذلك ألقى - إلى دور الشبيه لزيجموند فرويد.

(يسمع فجأة قطعة مـــن التوكاتـــا تغطـــى على الشجار)

بلـــون بلـــون: أنا وحدى لـــدى القـــدرة علـــى أداء دور كـــارل ماركس.

لــــــــــويس: إن أعظم ما تستطيع عمله هو أن تخـــيط فـــستان حمل للينشن ديموت التى ضحت بنفسها فـــى إدارة منزل ماركس.

---

(١) تون مدينة فى وسط سويسرا تطل على بحيرة التون يبلغ طولها ٤٨ كيلومترًا وعمقها يصل إلى ٢١٧ مترًا وتشتهر بصناعة المعادن والكارتون والأوانى والآلات.

بلــون بلــون: إن قفقفة أسنانك لم تزعجنى أبدًا، ولكن فى حالــة تأديتك لدور كارل ماركس لا أعرف. لم يكن عنده طقم أسنان، أما أنت فلك طقم أسنان كوربوســييه أنت.

لـــــــــويس: لقد كان عنده طقم أسنان. كان يضع طقمًــا مثــل البورسلين الخاص بى.

بلــون بلــون: لم يكن لديه طقم أسنان صناعية.

لـــــــــويس: ألم يكن ينبغى على أن أسحبك إلى كنبة الفوتيه إذا كنت تريد أن تمثل دور كارل ماركس؟

بلــون بلــون: لو أن ماركس مكث على أريكتى لما كان قد نشر نظرياته الاقتصادية الأوديبية.

(عزف قصير للتوكاتا مــن جديــد يغطــى على الشجار)

لـــــــــويس: موللر ١ يستيقظ.

بلـــــــــون: أين السومنيفين؟

لـــــــــويس: أين الترانكسيليوم؟

بلــون بلــون: ما زال لدىّ منه.

لـــــــويس: ما زال عندى منه.

بلــون بلــون: لنحقن.

لـــــــويس: لنحقن.

(يخرج لويس ومعه موللر ٢ من اليسار بلون بلون ومعه موللر ١ من اليمين)

مـــــوللر ١: أنا كارل ماركس.

مـــــوللر ٢: أنا كارل ماركس.

(يسحبون إلى الخارج)

(بوشنر يواصل الكتابة باستمرار فى تلك الأثناء)

(يبدأ عزف التوكاتا مرة أخرى)

(نابليون يفزع وكذلك بوشنر)

(نابليون يترل من الســرير ويجلــس علــى الكرسى الوثير الموجود على اليسار)

نـــــــابليون: إننى أعلن أنه تم فى هذه الليلـــة تـــشكيل مجلـــس عسكرى للإنقاذ الوطنى. وقد أعلن مجلس الدولـــة طبقا لمقررات الدستور حالة الطوارئ فـــى جميـــع أنحاء البلاد منذ منتصف ليله أمس، وأنا أرجـــو أن يتفهم الجميع الدوافع والأهداف لتصرفنا هذا.ونحـــن لا نهدف إلى انقلاب عسكرى، ولا إلى ديكتاتوريـــة عسكرية. إن الشعب لديه من القوة والحكمة، قـــدر كاف يمكنه من إقامة نظام ديمقراطى فاعـــل قـــائم على الاشتراكية. فى ظل هذا النظام ستبقى القـــوات العسكرية فى الأماكن التى خصصت لها، أى فـــى الثكنات. لا يمكن حل أى مشكلة من مشاكلنا علـــى المدى البعيد بالقوة والعنف. يا لويس، يا بلون بلون!

(يندفع لويس وبلون بلون من اليـــسار إلى الداخل ويستمران فى إلقاء الحقن، ولديهما لحية)

نـــــــابليون: ماذا عن الشعب يا لويس؟

(بينما يقف نابليون فى المقدمة يأخذ لـــويس وبلون بلون ملابس تغيير الدور من سلة الغـــسيل الملابس)

لـــــــــويس: معارك فى الشوارع.

نــــــابليون: وماذا عن نقابة العمال الحرة؟

بلــون بلــون: إضراب عام.

نــــــابليون: وماذا عنا؟

لـــــــــويس: معارك فى الشوارع.

بلــون بلــون: الجيش يتقدم بالعربات المصفحة وخراطيم المياه.

لـــــــــويس: المعسكر محصن ضد أى هجوم.

نــــــابليون: إننى أمارس مهام الحكم من داخل مقبرة.

لـــــــــويس: طبعة خاصة.

بلــون بلــون: صورة لجين وروبسبيير فى الفراش.

(يعطى نابليون نسخة من الجريدة)

لـــــــــويس: سيكون وقعها كقنبلة.

نــــــابليون: المصور؟

بلــون بلــون: اللورد تونى علىّ متن طائرة الخطوط البريطانيـــة

المتجهة إلى لندن.

(بلون بلون ولويس يغيران ملابسهما)(يأتى فويتسك من اليمين، وهو يعرج ومعه أدوات الحلاقة)

فويتسك: حيوانات الإسفنج يا سيادة الجنرال. فيها السر. هل رأيت الأشكال التى يتخذها هذا الإسفنج عندما ينمو على الأرض؟ من يستطيع أن يكتشف سرها؟

نابليون: يا فويتسك لقد تأخرت هذه المرة عن ميعادك المعتاد.

فويتسك: لقد تعدوا علىّ يا سيدى الجنرال.

نابليون: من؟

فويتسك: الشعب.

نابليون: لماذا؟

فويتسك: أنت تعرف يا سيادة الجنرال.

نابليون: لأنك لم ...؟

فويتسك: القبعة والنظارة.

(يخلع نابليون القبعة والنظارة ويضعهما على الفراش)

نـــــــابليون: الواحدة تلو الأخرى.

فويتــــــــسك: سمعًا وطاعة، يا سيدى الجنرال.

(يربط فوطة الحلاقة حول رقبة نابليون)

فويتــــــــسك: أنك بذلت أمس جهدا كبيرًا يـــا فويتــسك. ســتقام لفوشيه جنازة رسمية ، اذهب إلى سلة الغسيل.

(فويتسك ينفذ الأمر، لويس وبلون بلـــون فى دور ماركبس ينصرفان)

نـــــــابليون: هل ما زلت تضع وسام الوفـــاء الأحمـــر وعليـــه المنجل والمطرقة.

(فويتسك ينفذ الأمر)

نـــــــابليون: ضعه على سترتك.

(يضع فويتسك الوسام على سترته)

فويتــــــــسك: سمعًا وطاعة يا سيادة الجنرال.

نـــــابليون: ضع الصابون على ذقنى.

فويتـــــسك: فى الحال يا سيادة الجنرال.

(يقلب رغاوى صابون الحلاقة)

فويتـــــسك: شكرًا علىّ الوسام يا سيدى الجنرال.

نـــــابليون: إنه من أجل الإعدام، وليس من أجل الحلاقة.

فويتـــــسك: سأضع ذلك فى اعتبارى، يا سيدى الجنرال.

نـــــابليون: أنت تتقلد الوسام الذى تقلده فوشيه من قبل.

فويتـــــسك: لم يكن أمام فوشيه إلا أن يجلس إلىّ، ولم يكن فى وسعى إلا أن أذبحه يا سيادة الجنرال. وأنــت الآن جلست إلىّ أيضًا يا سيادة الجنرال.

(يضع صابون الحلاقة، لويس يحضر الـنص من بوشنر)

نـــــابليون: أنت تتفلسف من جديد يا فويتسك.

فويتـــــسك: لقد كان هذا مسلكًا خاطئًا يا سيادة الجنرال.

نـــــابليون: من علمك هذا؟

فويتسك: الدكتور يا سيادة الجنرال، كذلك كان مسلكى مع ماري مسلكًا خاطئًا، منذ عشرين عاما، كان ينبغى عليّ أن أقطع رقبتى النقيب والرائد عازف الطبول كما قلت أنت بنفسك يا سيادة الجنرال. كان عليّ أن أقطع رقبتيهما، لا رقبة فوشيه المسكين. لقد فرغت من وضع صابون الحلاقة يا سيدى الجنرال.

نابليون: هل ما زلت تخدم الدكتور في تجاربه؟ يا فويتسك.هل تأكل البسلة ولا شيء غيرها؟

فويتسك: إننى كجلاد أصبح إنسانا نباتيا يا سيادة الجنرال. أين سكينى؟

نابليون: إن سكينك عند ابنتك.

فويتسك: ماذا عن جين؟

نابليون: لقد كانت جبانة ولم تستطع قطع رقبتى.

بوشنر: إنها هنا.

(يعطى فويتسك السكين)

بوشنر: إنها مستقيمة تمامًا. هل تريد أن تقطع رقبتك بها؟

سأعطيها لك بسعر رخيص مثل أى شخص آخــر. ينبغى أن يكون موتك رخــيص التكلفــة، ولكــن ألا يكون بلا فائدة. لا بد أن يكــون موتــك اقتــصادى التكلفة.

فويتـــــــــسك: إنها تستطيع أن تقطع ما هو أكثر من الخبز.

نـــــــابليون: احلق!

(يبدأ فويتسك الحلاقة)

نـــــــابليون: مهلا مهلا يا فويتسك أنت تصيبنى بالدوار. مـــاذا أفعل إذن خلال العشر دقائق التى ستبقى بعد انتهاء الحلاقة المبكرة هذه المرة؟

(فويتسك يغنى)

فويتـــــــــسك: فانية هى الدنيا والموت يدركنا جميعًا.

(يحلق)

فويتـــــــــسك: لقد وصل السكرتير العام.

(يظهر فى الشباك بلون بلون على أنه كارل ماركس كما هو فى صورته الشهيرة بنظارة بعــين واحدة ولحية بيضاء)

كارل ماركس: أنا كارل ماركس، ولدت فى الخامس من مايو عام ١٨١٨ فى ترير، وتوفيت الرابع عشر من مارس عام ١٨٨٣ فى لندن. إننى غيرت العالم غير أنـــه لم تذكر اسمى موسوعة تاريخ العالم العام الصادرة فى لينسج عام ١٨٨٢. أنا يهودى وحفيـــد لأحـــد الأحبار. وقد اعتنق أبى المسيحية لكـــى لا يظـــل يهوديًا ولكى يتفادى الإهانة والاحتقار، أصبحت أنا مفكرًا لكى ألغى الإهانة والاحتقار اللـــذين يعـــانى منهم الناس من قبل النـــاس، وكرهـــت الأديـــان وأسست دينا جديدا ومثل ما اختار يهوه(١) شـــعبه اخترت أنا شعبى، البروليتاريا، وكما سلم موســـى الشعب المختار قوانين يهوه سلمت أنا للبروليتاريا قوانين التاريخ العالمى.

(يختفى مرة أخرى)

نـــــــابليون: أهذا هو السكرتير العام؟

فويتـــــــسك: هو بنفسه.

---

(١) يهوه: اسم الرب فى العهد القديم الذى لا ينطق به الإسرائيليون نظرًا لقدسيته ويستخدمون أدوناى بدلا منه، وأصل الكلمة يرجع إلى ما قبل زمن موسى.

نـــــابليون: الآن سيصبح الأمر جاذًا.

فويتـــــــسك: نعم وإلى أى مدى!

نـــــابليون: وماذا عن جين؟

فويتـــــــسك: تم القبض عليها.

(يحلق)

نـــــابليون: كان هذا متوقعًا.

فويتـــــــسك: هل ستساعد جين يا سيدى الجنرال؟

نـــــابليون: لا.

فويتـــــــسك: إذن. ستساعدها السماء.

نـــــابليون: ستساعد هى نفسها.

فويتـــــــسك: والآن نأتى إلى الموضع الحساس فى رقبتك.

(يحلق)

نـــــابليون: هل تحلق بالشفرة التى استخدمتها مع فوشيه؟

فويتسك: ليس لدىّ سكين أخرى يا سيادة الجنرال. إن الإنسان القويم يحب حياته، والإنسان الذى يحب حياته لا يفتقر إلى الشجاعة ومن لدية الشجاعة فهو وغد وحقير.

(يحلق)

(عزف قوى للتوكاتا)

نابليون: بم، بم، بم! دائما وبلا انقطاع. هذا ما قالته مارى وهى ترقص مع الرائد عازف الطبول. ما الإنسان؟ إنه عظام وتراب ورمل وقذارة، ولكن هؤلاء الأغبياء. هؤلاء الأغبياء. إن الإنسان يضرب ويطلق الرصاص ويطعن ثم يفجر ويفسق.

(يلقى بموس الحلاقة على الأرض)

فويتسك: هل تريد لوسيون بعد الحلاقة يا سيادة الجنرال؟

نابليون: دانهيل.

(يدلك فويتسك ذقن نابليون باللوسيون)

فويتسك: إن جهنم باردة. أتراهننى على ذلك؟

نـــــــابليون: إننى أتكلم لصالحك، كان ينبغى عليــك أن تقطـــع الرقبة.

فويتـــــــسك: لقد كنت أرتعش.

نـــــــابليون: من البسلة، يا فويتسك من البسلة.

(عزف التوكاتا)

فويتـــــــسك: حبات زرقاء يا سيادة الجنرال، حبات زرقاء بـــم، بم، بلا انقطاع.

(يرجع للخلف)

فويتـــــــسك: لقد انتهيت من الحلاقة يا سيادة الجنرال.

(يضع أدوات الحلاقة فى الحقيبة)

فويتـــــــسك: ليست لدى شجاعة، يا سيادة الجنرال. أنـــا لـــست وغدًا. وداعًا يا سيادة الجنرال.

(يريد الانصراف)

نـــــــابليون: فويتسك.

فويتـــــــسك: ماذا تريد يا سيادة الجنرال؟

نـــــــابليون: الشفرة.

(يعود ويتناول الشفرة)

نـــــــابليون: إذا لم يكن المرء وغدًا فهو رجل فاضـــل، وأنـــت رجل فاضل يا فويتسك.

(يركل فويتسك بقدمه فيسقط على الأرض)

نـــــــابليون: عندما أقول أنت فإننى أقصدك أنت، وعندما أقول أنت فإننى أقصد الشعب. ارمِ الـــشفرة فـــى ســـلة الغسيل!

فويتـــــــــسك: إن دمى يسيل.

(يلقى الشفرة فى سلة الغسيل)

نـــــــابليون: اخرج من هنا! إنه لمن الوقاحة أن تطلب الشجاعة من الشعب.

(ينصرف فويتسك جهة اليمين وهو يعرج)

فويتـــــــــسك: هذا ما يفعله الماســـونيون يـــا ســـيادة الجنـــرال، الماسونيون. انظر كيف تطلع الشمس مـــن بـــين السحب، كأن وعاء قضاء الحاجة قد انقلب.

(يخرج)

نـــــــابليون: فرانكلين. ادخل.

(يفيق من الكتابة)

بوشـــــــنر: هل تقصدنى أنا؟

نـــــــابليون: أنت.

بوشـــــــنر: أنا جيورج بوشنر وأكتب أخترلو.

نـــــــابليون: أنت ستؤدى دور بنجامين فرانكلين فى هذه المسرحية.

بوشـــــــنر: لقد كتبت دورى بالفعل.

(يدور على ركبتيه فى المكان ويبحث فى الأوراق)

بوشـــــــنر: ينبغى علىّ أن أجد النص فقط.

(ترتطم رأسه بالسرير)

بوشـــــــنر: آه!

(بوشنر يقف. نابليون يحملق بنظره فى الجمهور)

نابليون : إن الدم يسيل من جبهتك يا فرانكلين. والدم يسيل أيضًا من فويتسك، ويسيل منك أيضًا. صباح دام.

(بوشنر يؤدى دور فرانكلين)

فرانكين : إصابة لا تستحق الذكر يا بونابرت.

لقد اصطدمت دبابة بمقدمة سيارتى الكاديلاك.

نابليون : إننى مستاء لذلك.

فرانكلين: لقد مات سائقى، إنه زنجى.

نابليون : أشاطرك الأحزان.

فرانكلين: "الأسود جميل" هذه عبارة مناسبة للدعاية. لقد أقلتنى الدبابة إلى جراجك.

(نابليون يعطيه الجريدة)

فرانكلين: ممتازة هذه الطبعة الخاصة.

نابليون : لقد تم طبعها فى وقت قياسى.

نابليون: لقد أعلن التليفزيون فى الجهة الأخرى موتك، وعرض الرئيس التأييد العسكرى لفوشيه.

نـــــــابليون: لقد أمكن إفشال مساعى جين لإثارة الحــرب مــن خلال حكم عسكرى ديكتاتورى.

فـــــــرانكلين: لا أستطيع أن أفهم مدى تعطش هذه الفتاة للدماء.

نـــــــابليون: من يعتقد فى خلود الروح بالنسبة لــه فــإن زوال العالم بالنسبة له ليس بالأمر الــسيئ. مــاذا عــن الرئيس؟

فـــــــرانكلين: إنه غاضب.

نـــــــابليون: لماذا؟

فـــــــرانكلين: يجب عليه أن يسحب يد المساعدة. لو كان قد فعل، لكان هذا تحالفًا مع حكم عسكرى ديكتاتورى آخر. يجب علىّ أن أسلم احتجاجًا يحتل المرتبة الثانيــة من الشدة بين الاحتجاجات التى كتبها الرئيس.

(يريد أن يسلم نابليون خطابا)

نـــــــابليون: ألقه فى سلة الغسيل.

(فرانكلين يطيع)

فـــــــرانكلين: الخطاب الأكثر شدة سيسلم للسكرتير العام.

نـــــابليون: حسنا، وأنت ترى الآن أن الرئيس قد اهتدى أخيرًا إلى فكرة باهرة.

(تدفع عربة طعام من اليـــسار إلى داخـــل المسرح وعليها إفطار لفردين)

(عزف التوكاتا)

فـــــرانكلين: طلقات رصاص.

نـــــابليون: إعدام رميًا بالرصاص.

فـــــرانكلين: من الذى يعدم؟

نـــــابليون: فويتسك.

فـــــرانكلين: الحلاق الخاص بك.

نـــــابليون: إن الظروف التى أمر بها فـــى الوقـــت الحاضـــر تستهويه بمرور الوقت أكثر فأكثر. لنتناول الإفطار

فـــــرانكلين: حسنا، سأتناول الطعام معك..

(يحضر عربة الطعام، يستحدم الكرسى الذى استخدمه فى شخصية بوشنر)

(عزف التوكاتا)

فـــــــرانكلين: وماذا ستفعل الآن؟

نـــــــــابليون: قيادات الحزب. إننى أنتهز هذه الفرصة الـسانحة، حيث إن الكل مشغول بنقابة العمال، ولا أحد يفكر فى الحزب؛ وهذا سـبب كـاف لنقـوم بتنظيـف الحزب.

(يفطران كلاهما، ويدفعان عربــة الطعــام أحدهما إلى الآخر)

(يجلس أمام المكتب)

نـــــــــابليون: هل تريد توست؟

فـــــــرانكلين: نعم من فضلك.

نـــــــــابليون: وكافيار؟

فـــــــرانكلين: نعم إنى جوعان.

نـــــــــابليون: هل تريد براندى؟

فـــــــرانكلين: نعم، بكل سرور.

(يصب لنفسه)

فـــــرانكلين: عندما أكون فى حالة من الإثـــارة لا أســتطيع أن أسيطر على شهيتى للأكل.

(يشرب كأس البراندى عن آخرها)

فـــــرانكلين: ولا أتحكم أيضًا فى مقدار المــشروبات الكحوليــة التى أتناولها.

(يصب لنفسه مرة أخرى)

(الجنرال يشـــرب الشـــاى)

نــــــابليون: كانوا سيهجمون غدا.

(فرانكلين يشرب ويحملــق فى نـــابليون فى ذهول)

فـــــرانكلين: كانوا؟ لقد وصل السكرتير العام.

نــــــابليون: وماذا فى ذلك؟ سيهنئنى على نظـــامى العـــسكرى الديكتاتورى، وسيطير فى المساء عائدًا إلى بـــلاده ويبقى قواته فى بلده.

فـــــرانكلين: لقد أصدر أوامره بالقبض على جين.

نـــــــابليون: يمكننى أن أتصور ماذا ينوى أن يفعل بها.

فـــــــرانكلين: أريد كأسا أخرى من البراندى.

(يصب لنفسه مرة أخرى)

فـــــــرانكلين: هل تعتقد -؟

(يفرغ الكأس)

فـــــــرانكلين: هل تعتقد أنه لن يقوم بالهجوم؟

نـــــــابليون: لو اعتقد الرئيس بالفعل أننـــى تـــصرفت حـــسب أوامرهم فلن يهجموا.

فـــــــرانكلين: وهو غاضب لهذا السبب، لإحساسه بأنه عاجز. إنه لا يستطيع أن يساعدك لأنك تصرفت حسب أوامر السكرتير العام، وأقمت نظامًا ديكتاتوريًا عـــسكريًا لكى تمكنه من الهجوم. وقواتنا لن تـــأتى إذا كـــان الجيش تحت سيطرتك بدلاً من أن يكـــون تحـــت تصرف الشعب. الأمر فيـــه مخـــاطرة لا تحمـــد عقباها. سيقتنع العالم كله أننـــا لـــم نفعـــل شـــيئًا وسيجعل الرئيس من نفسه أضحوكة إذا لـــم يقـــم

السكرتير العام بالهجوم.

نـــــــابليون: والسكرتير العام سيعرض نفسه للسخرية إذا لم يقم بالهجوم الآن.

(يضحك)

نـــــــابليون: هل تريد شريحة توست أخرى بالكافيار؟

فـــــــرانكلين: أفضل كأسًا أخرى.

نـــــــابليون: المهم أن تبقى الآن واعيًا، ويمكنك أن تشرب حتى السكر في الطائرة.

(يضع فرانكلين الكافيار على قطعة توست)

نـــــــابليون: لقد تتسبب في قيام حرب عالمية ثالثة، إذا ما اعتقد الرئيس أنني أقمت ديكتاتورية عسكرية بدافع شخصي. هات العربة.

(يدفع فرانكلين عربة الطعام إلى نابليون)

نـــــــابليون: أنصت يا بنجامين.

(يشرح الكلام التالي مستعينًا بقطع الخبز)

نابليون: هناك كتلتان عظيمتان: كتلتكم وكتلتنا، وكتلتكم عبارة عن تحالف بين بعض الدول وكذلك كتلتنا، وكتلتكم تهيمن عليها قوة عظمى وكذلك كتلتنا.

فرانكلين: من المستحيل أن تستطيع أن تقارن بين هاتين القوتين.

نابليون: بل إن فكرتى تقوم على أساس المساواة بينهما.

فرانكلين: الفروق فروق.

نابليون: إن كلاً من القوتين العظميين تعتقد أن الأخرى تسيطر على حلفائها سيطرة تامة.

فرانكلين: وكذلك الحال فى معسكركم.

نابليون: إن اعتراضك هذا يؤكد أن تفكيرى لم يكن خطأ تماما، فأنت تسقط على معسكرنا الصورة التى تريد أن تراها له. وهناك دليل آخر على صحة فكرتى، وهو أننا نقع فى الوهم نفسه عندما نتصور معسكركم على الصورة التى نريدها نحن. إن أى محاولة للتغيير السياسى فى مجالى القوتين العظميين تنسب إلى تدخل القوة العظمى الأخرى.

أى أن نقابتنا الحرة أنتم السبب فيها، وحركة السلام عندكم نحن السبب فيها.

فرانكلين: أمور عادية جدًا.

نابليون : إن أساسيات المنطق كذلك أمور عادية جدًا: قضية التطابق وقضية استبعاد العامل الثالث إلى آخر ذلك؛ ولكن ما أهم ما يمكن استنتاجه من هذه الأمور الأساسية العادية جدًا. حسب رأى الرئيس لا يحدث أى شىء فى معسكرنا دون إرادة السكرتير العام، ولا حتى استيلائى على السلطة. لأن الرئيس يعتقد ذلك فإن السكرتير العام لا يفعل أى شىء يمكن أن يهدم اعتقاد الرئيس. وفى اللحظة التى يعتقد فيها الرئيس أننى تصرفت حسب إرادتى الشخصية، سيزول السبب الذى من أجله لا يتحرك السكرتير العام ضدى، وبالتالى فإننى لن أستطيع أن أمنع الحرب بين جيشنا وقواته، ولا بد للرئيس أن يتدخل.

فرانكلين: لعبتك فيها كثير من المجازفة.

نابليون : إننى أعتمد عليك فى أن تؤكد للرئيس اعتقاده،

بأننى تصرفت حسب أوامر السكرتير العـــام، وإلا نشبت الحرب الذرية.

فـــــــرانكلين: أريد كأسا أخرى.

نــــــــابليون : اخدم نفسك.

(يدفع العربة إلى فرانكلين)

فـــــــرانكلين: نابليون.

نــــــــابليون: نعم يا فرانكلين.

فـــــــرانكلين: يجب أن أعود إلى السفارة.

نــــــــابليون: الدبابة تحت تصرفك.

فـــــــرانكلين: فتكون تلك حكاية عجيبة.

(يشرب)

نــــــــابليون: آه!

فـــــــرانكلين: لقد دعوت دائمًا فى كتاباتى للحياة البسيطة، وكنت أومن بالنجاح فى الحياة عـــن طريـــق الاجتهـــاد، واتباع الحق، وجهـــاد الـــنفس، والاقتـــصاد فـــى المعيشة.

نـــــــابليون : وماذا تقول الآن؟

فـــــــرانكلين: هل تم التقاط صور لي وجين.

نـــــــابليون: محتمل.

فـــــــرانكلين: لقد تأسست الولايات المتحـدة الأمريكيـة باسـم اللـــهو باسم العقـل. إننـــي، بجانـــب واشـــنطن وجيفرسون ولنكولن، أمثل في نظـــر الأمـــريكيين رمز الديمقراطية ونموذجها الحي.

نـــــــابليون: لقد كنت كذلك أنا أيضًا في يوم من الأيام، وأهداني بيتهوفن سيمفونية البطولة.

فـــــــرانكلين: لقد ألغى الإهداء بعد ذلك.

نـــــــابليون: المؤلفون الموسيقيون متقلبو المزاج.

(يظهر من الخلف ناحية اليمين بلون بلـــون وهو يقود ريشيليو إلى الداخل)

(يرتدي الكردينال ريشيليو الثـــوب الـــبني الذي تلبسه طائفة الرهبان الترابستيين، وقد تبلـــل تمامًا، ويحمل بين ذراعيه كلبة رملية اللون مغطـــاة

بفوطة بنفسجية عليها صليب ذهبي، ويقف ريشيليو بجانب السرير وهو يرتعش دون أن يلاحظه أحد)

(يخرج بلون بلون)

فـــــرانكلين: عندما تعرض صورى على حوائط مطعم الجنود، وأنا عارٍ فى الفراش مع جين فسيشطب اسمى من كتاب التاريخ.

نـــــابليون: العكس أنك ستصبح أكثر شعبية من ذى قبل.

(يفتح سلة الغسيل ويعطى فرانكلين ظـــرف ورق)

نـــــابليون: هذه هى الصور والفيلم، وداعًا يا بنجامين.

(فرانكلين يعود إلى المنضدة، يتأمل الـــصور ويأخذ دور بوشنر ويواصل الكتابة)

(نابليون يصب لنفسه الشاى مرة أخرى)

(تتقدم السيدة سيمزن فى دور ريشيليو إلى المقدمة)

ريـــــشيليو: بونابرت.

نـــــابليون: ريشيليو!

(فى دهشة)

نـــــابليون : ما هذا الثوب الغريب الذى ترتديه؟

ريــــــشيليو: سأدخل فى دير الترابستيين.

نـــــابليون: وما الداعى لهذا؟

ريــــــشيليو: حتى أغلق فمى.

نـــــابليون: إنك مبتل تمامًا.

ريــــــشيليو: مدفع مياه من مدافع رشاشات المياه التى تخصك.

نـــــابليون: ألم تكن جالسًا فى سيارتك المرسيدس؟

ريــــــشيليو: لقد كنت واقفا فى المكان الخلفى للسيارة الكابورليه لكى يرانى المؤمنون أنا المذنب الدنىء. عندما وصلنا لمعسكرك، كنت كمن يقف فى بانيو الحمام، لقد تجمدت أوصالى من البرد.

نـــــابليون: اخلع عنك هذه الثياب المبتلة بأسرع ما يمكن.

ريــــــشيليو: أنا أخلع ملابسى؟ أبدًا.

(يعطس)

ريـــــــشيليو: قد تم القبض على جين حسب أوامـــر الـــسكرتير العام.

نـــــــابليون: لديه جميع الأسباب لذلك.

ريـــــــشيليو: إذا أمر السكرتير العام بإعدامها ســتعلن الكنيــسة قدسيتها للمرة الثانية.

نـــــــابليون: نادرًا ما يكون السكرتير العام عديم الحرص إلـــى هذا الحد.

ريـــــــشيليو: وماذا عن يان هوس؟

نـــــــابليون: أمر بالقبض عليه.

ريـــــــشيليو: قبض عليّ بدلاً منه.

نـــــــابليون: لن أجعل نفسي عرضة للسخرية.

ريـــــــشيليو: وهذه إجابتي.

(يضع جثة الكلبة أمـــام قـــدمي نـــابليون ويكشف عنها)

ريشيليو: كلبة ميتة داستها دبابة أمام قصرى. ما ذنب هذا الحيوان. ما علاقة هذا الكائن الضعيف الذى يشبه عجينة من اللحم والعظم، والجلد ذى اللون الرملى بخططك يا بونابرت؟

(ينهض نابليون ويحدق عينيه فى الجثة)

نابليون: إذا لم أقض على ثورة الشعب الآن فستحدث حرب أهلية، فإذا قامت الحرب الأهلية فسيقاومونهم بالهجوم. السكرتير العام موجود فى البلد، والكردينال ريشيليو يضع كلبة ميتة أمام قدمى. أنا لا شأن لى بهذه الجثة.

ريشيليو: لا شأن لك بها. وإذا كانت الجثة لطفل، لا يكون لك شأن بها. وإذا كانت هناك جثث مائة طفل. لا يكون لك شأن بها، وخطط يان هوس الذى نفذ مخططاتك، وكذلك خططى أنا التى قامت على خططك أنت، تقول إنك لا شأن لك بها. وهل ليس لك شأن بخطط السكرتير العام التى تحاول أنت أن تؤثر عليها. لا شأن إذن لخططنا كلها بهذه الكلبة المقتولة؟ بتاتًا. بتاتًا. إننى أرتعد.

نـــــــابليون: هل تشرب شايًا بالبراندى؟

ريــــــــشيليو: لا تهتم بصحتى ولا بخيرى فى الدنيا.

نـــــــابليون: أسنانك تصطك.

(يحضر معطف الإمبراطور من سلة الغسيل)

ريــــــــشيليو: إنها رعشة الحمى.

نـــــــابليون: سآمر بإحضار الطبيب.

ريــــــــشيليو: حذار من التدخل فى إرادة اللـــه.

(يلقى معطف الإمبراطور إلى ريشيليو)

ريــــــــشيليو: لقد فقدت وعيك.

نـــــــابليون: إن يديك وثوبك ملطخة بالدماء.

ريــــــــشيليو: أيزعجك هذا يا بونابرت؟

(يتحسس نبضه)

ريــــــــشيليو: إن نبضى يشتد سرعة.

(يسعل)

ريشيليو: الحمد لله ربنا. السعال مؤلم. وينذر بالتهاب رئوى، ليتنى أصاب بما أسوأ من ذلك، هل من سيجار قوى؟

نابليون: الله وحده يعلم كل ما بسلة الغسيل هذه ...

(يبحث)

نابليون: علبة من سيجار فيدل كاسترو وولاعة.

(ريشيليو يأخذ السيجار، نابليون يشعل له السيجار ثم يلقى بالولاعة فى سلة الغسيل مرة أخرى)

ريشيليو: بل إننى أريد الآن معطف الإمبراطور.

نابليون: تفضل.

ريشيليو: لو سمحت لى بأن ألتصق بجانبك.

(يدخن)

ريشيليو: إن رعشة الحمى تجمد أفكارى ويتصاعد من جسدى صقيع جهنم.

نـــــــابليون: أمر بدهى.

(يلتف كلاهما بالمعطف ويجلسان أمام سـلة الغسيل)

ريـــــــشيليو: إنه يدفئ.

ريـــــــشيليو: كتب أحد العلماء، وكان يبحث فى موضوع الزمان والمكان ذات مرة، إذا ارتبطت نظريات الرياضة بالواقع كانت غير يقينية، وإذا كانت يقينية فإنها لا تنطبق على الواقع.

ريـــــــشيليو: هل سأستطيع يا ترى أن أذهب إلى الدير فى حالتى الميئوس منها.

نـــــــابليون: الإسعاف جاهز.

ريـــــــشيليو: إن الوخز يزداد، وشىء رائع أن ينتشر مرض مميت فى الجسم.

(يدخن)

ريـــــــشيليو: وما كتبه هذا المفكر المجهول ينطبق أيضًا على علم اللاهوت والأيديولوجيات، فإن نظريات

اللاهوت والأيديولوجيات إذا ارتبطت بالإنسان أصبحت غير يقينية، وإذا كانت يقينية فإنها لا ترتبط بالإنسان. علم اللاهوت والأيديولوجيا لا يصدقان إلا فى مجال خال من البشر. وكان يجب علىّ وأنا قسيس أن أدرك ذلك. لا كمال للمسيحية من دون المسيحيين.

(يظهر كامبرون من اليسار)

كامبرون: أنا أنا.

ريشيليو: ماذا تريد يا بيير جاك إتيان دى كامبرون؟ أيها النبيل الفرنسى.

كامبرون: لقد نسيت كلمتى.

ريشيليو: إننى أعرفها، إنها تناسب حالة الكنيسة. انصرف إلى حيث أتيت.

(يختفى كامبرون)

ريشيليو: أنت يا نابليون، وأنا والسكرتير العام للحزب جلبنا جهنم إلى الأرض، ولولانا لبقى الإنسان كالقرد البسيط بصفات إنسانية لا يستهان بها، كما خلقه

اللــه. الذى جعل من الإنسان شيطانا هو تمــسكنا بالمنطق. لقد اخترعنا عالما من دون الإنسان؛ لأننا لم نحبه بكل صفاته الطيبة والشريرة، بكل ضــعته وكل عظمته. أنت تحلم بإعادة بناء الإمبراطوريــة الرومانية وأنا كنت أحلم بالدولة المطلقــة، دولــة المنة الإلهية. وصديقنا العزيز السكرتير العام كان يحلم باليوم المستحيل، يوم الثورة العالمية، ولكننــا لم نحلم فقط بل خططنا أيضًا، لا بل نفذنا وأقحمنا الإنسان الناقص فى تهيؤاتنا عن الكمال.

(يسعل)

ريــــــشيليو: لقد اكتشفت ذلك عندما وجدت هذه الكلبــة التــى سحقتها الدبابة. لقد خيل إلــى أن البــشرية كلهــا سحقت.

(يدخن)

ريــــــشيليو: إن رحمة الرب دائمًا إلى الأبد. لقد بــدأت أحــس وخزات الألم فى الصدر. التدخين يعجل بالنهايــة. إن أى تجديد للحزب مستحيل تماما، مثــل تجديــد الكنيسة أو تغييــر الرياضــيات. هنــاك بالتأكيــد إضافات إلى ما سبق، فمثلا انضمت الهندسة غير

الإقليدية إلى الهندسة الإقليدية، ولكن لا الشعب كله يتكون من رجال الدين، ولا تلاميذ المدرسة كلهم من علماء الرياضة، كما أن الماركسيين يعتبرون هؤلاء الذين يريدون تطوير أفكار الماركسية بمثابة مجانين. افتح سلة الغسيل، يا بونابرت.

(يسعل فى المنديل، نابليون يطيع)

ريشيليو: وأنا الآثم ناديت بالكنيسة الماركسية الكاثوليكية العالمية التى تستأثر وحدها بسعادة البشر ولكن الله رحيم بنا.

(يان هوس يأتى من اليمين مقيد اليدين ويرتدى طاقية الزنادقة)

ريشيليو: يان هوس! أنت مقبوض عليك. إننى أحتضر.

(ينهض فى مكانه)

ريشيليو: ألقوا بى فى سلة الغسيل!

(نابليون وهوس يساعدان ويضعن ريشيليو فى سلة الغسيل وهو يسعل فى منديله)

ريشيليو: سيل من الدم. الآن يمكننى أن أتذكر متى رأيت هوس لأول مرة عندما أحرقوه فى كونستانس،

كنت فى فلورنسه أناقش مبادئ المنظور مع برونيلليسكى، وأضعت على نفسى فرصة مشاهدة الإعدام حرقا. ولكنه ظهر مرة أخرى بعد أكثر من مائتى عام تحت اسم جيتون عمدة المدينة الهوجينوتية البروتستانتية لاروشيل التى فرضت أنا عليها الحصار أكثر من عام حتى مات أهلها من الجوع، فلم يتبق من خمسة وعشرين ألفا إلا خمسة آلاف فقط عند الاستسلام. وأنت تمر أمامى تجر جسدك المتثاقل وهو أقرب إلى الهيكل العظمى من جسد إنسان. واعتقدت أننى انتصرت على هوس، ولكننى كنت مجنونا يا بونابرت وبقيت حتى الآن مجنوناً. إننى أريد أن أسب وألعن، ولكن عملى هو أن أصلى وأدعو.

(يصلى)

ريشيليو: يا إلهى. يمكننى أن أنساك، أنت والمكان وامتداده اللا نهائى إلى المجرات السماوية والزمن بالثوانى المنقضية هنا وهناك. يمكننى أن أنسى كل شىء وأن أنسى نفسى أيضا، إنسان حقير يحاول أن يعرف نيّاتك.

(يبارك الكلبة)

ريشيليو: يمكننى أن أنسى أى شيء، يمكننى أن أنسى الرب، فيما عدا هذه الكلبة الميتة التى داست عليها دبابة فسوت بها الأرض، هذا المخلوق التافه. أنسى أى شيء، أى شيء، ولكن فقط هذه الكلبة فلا.

(يغوص وهو يدخن السيجار فى سلة الغسيل)(هوس ينظر داخل سلة الغسيل ويغلقها)

هوس: إنها ميتة.

نابليون: ألقها فى الخارج.

نابليون: ولكنك أسيرى.

(هوس يلقى بالكلبة إلى الخارج وهو مقيد اليدين)

(نابليون يلقى عنه معطف التتويج الإمبراطورى)

نابليون: أنا مبتل تماما الآن.

(يذهب إلى سلة الغسيل ويفتحه ثم يبدأ فى تغيير ملابسه فى شخصية نابليون)

(يعود هوس. يقع نظره على عربة تقديم الطعام)

هوس: سمك مدخن، وسلمون، وكافيار، ودجاج بارد، وشرائح من جامبون بارما.

(ينحنى على عربة تقديم الطعام)

نابليون: تفضل.

هوس: لا بد من أن آكل، فعندما أرى أنواع الطعام بهذه الكمية، لا بد أن آكل.

(يحضر لنفسه وهو مقيد اليدين الكرسى الخاص ببوشنر الذى يواصل الكتابة وهو جالس على ركبتيه)

هوس: لقد أحببت الطعام دومًا. وعندما كنت فى المحرقة وألقت الرياح بالنار فى وجهى فكرت فى أننى أصبحت قسيسًا فقط من أجل أن أعيش حياة أكثر راحة.

(يبدأ فى تناول الطعام وهو مقيد اليدين)

هوس: إن كبد الإوز لذيذ الطعم. عندما أرجع بالذاكرة وأفكر في عصيدة الشوفان[1] الذي كان يحشى به فاهنا أنا والبابا في جوتليب عندما كنا في نفس السجن. يا للمصيبة، إن العاصي يمكن أن يسب ويلعن. يا بوشنر اقرأ أنت النص فأنا لا أحب التحدث وفمي ممتلئ.

بوشنر: كيف عرفت ما بداخلي؟

نابليون: لقد وجدت في المكان حيث ينبغي عليَّ أن أختفي.

بوشنر: هل سيهجمون؟

نابليون: لا.

بوشنر: ولماذا قبضت عليَّ إذن؟

(هوس يأكل)

نابليون: حتى لا يقومون بأي هجوم.

---

(١) عصيدة الشوفان: طعام يتكون من حبوب أو شوفان ويخلط بالماء واللبن والمرق. كما تجفف الحبوب وتطحن كمكون أساسي في وجبات الأطفال.

(يقف فى المكان فى زى نابليون ويرتدى قبعته كما فى الصورة. ولا تضايقه إلا النظارة الشمس)

بوشنر: أنت مع من حقيقة؟

نابليون: أن مع الحل الوحيد.

بوشنر: وما هذا الحل؟

نابليون: فى الأيام القادمة سأعطى أوامرى بالقبض على الآلاف منكم.

بوشنر: لا يمكنك أن تقهر الإضراب العام.

نابليون: سيقع قتلى.

بوشنر: كثير من القتلى.

نابليون: سيتقبل الشعب شيئا فشيئا حالته الميئوس منها.

بوشنر: وأنت تسمى هذا حلا.

نابليون: الحل الوحيد.

بوشنر: وماذا أنت فاعل بى؟

(هوس يتناول الطعام)

نابليون: سيتم التحفظ عليك فى فيلا فوشيه.

بوشنر: دعهم يقتلوننى.

نابليون: الكل يريد أن يقتل اليوم.

بوشنر: أفضل أن يحرقونى.

نابليون: أنت لم تعد فى كونستانس. اسكب بنفسك البنزين على جسدك وولع فى نفسك بدلا من الغليون: سيضعون الزهور والشموع لبضعة شهور ثم ينسونك. إن عدد الشهداء قد تجاوز اليوم الحد. وتجاوز الحد عدد الذين يحرقون أنفسهم بأنفسهم.

بوشنر: لقد كنا أصدقاء.

نابليون: وما زلنا أصدقاء.

بوشنر: الإمبراطور زيجيموند تخلى عنى أيضا فى كونستانس.

نابليون: غباء.

(يظهر روبسبيير فى النافذة على أنه الإمبراطور زيجيموند، فى حلة سوداء ونظارة بعين واحدة وقبعة)

زيجيموند: مكانى فى موسوعة "ماير"[1] إصدار ١٩٨٧، بين زيجماير- مكان مقفر تابع لساكسونيا بالقرب من زفيكاو- وزيجفورس. انظر نباتات الثوم والبصل، وأنا الإمبراطور الرومانى زيجيموند[2] والابن الثانى للإمبراطور كارل الرابع[3] من زوجته الرابعة إليزابث بومر. ولا أعرف من من هؤلاء السادة. ربما كانوا فى النادى الملكى فى سانت موريتس عندما ظهرت هناك فى دور مارلين ديتريش، ولكننى لا أكاد أصدق ذلك، لأن الإمبراطور كارل الرابع مات بالفعل عام ١٣٧٨. وأنا أظهر دائما فى دور مارلين ديتريش.

---

(١) موسوعة ماير، موسوعة جامعة شاملة باللغة الألمانية. مجموعة إصداراتها الأولى كانت حتى عام ١٨٨٠، والثانية من ١٨٨٠ حتى ١٩٤٥ والحديثة من ١٩٤٥.

(٢) زيجيموند هو الإمبراطور زيجيموند ابن الملك كارل الرابع (ملك ألمانيا والمجر)، فى اللغة الألمانية القديمة وتتكون الكلمة من مقطعين زيج بمعنى النصر ومونت بمعنى الحماية.

(٣) إمبراطور ألمانيا وروما (١٣٤٧-١٣٧٨) وابن الملك يوهان فون بومين، ولد فى ١٣١٦/٥/١٤ وتوفى فى ١٣٧٨/١١/٢٩. عمل على تتويج نفسه ملكا من قبل خمسة من الأمراء الناخبين بالاتفاق مع البابا كليمين الرابع فى مواجهة الملك لودفيج الرابع، الذى استطاع كارل أن يبعده بسرعة. وفى عام ١٣٥٥ توج نفسه إمبراطورا لروما.

(يغنى : قل لى أين الزهور، أين توجد)

زيجيموند: أحيانًا يخلطون بينى وبينها، ولكننى أفعل ذلك فقط فى دور النساء الشواذ فإنهم يحدث لهم إلهام عندئذ. أنا بالأحرى مخنث. وقبل الراحة قمت بتمثيل دور روبسبيير، وربما وجدتم موتى أمر غير متوقع وأنا أيضًا. وإذا كان قد حدث ما قالته جين، كانت ستظل فى سفرها وليس أنا. وهاأنذا أجلس مع موللر الأول والثانى واللورد تونى - لاعبة باليه تتخيل أنها كازانوفا، وتلعب دور لورد تونى وفوشيه - أجلس فى مقصف المصحة وألعب الكوتشينة ويطلب منى أن أمثل دور زيجيموند. شىء مقزز للغاية.

(يترل من الشباك ويذهب إلى سلة الغسيل ويخرج منها شارات الإمبراطور)

(فى دهشة)

زيجيموند: توجد جثة بالداخل.

نابليون: إنه الكردينال ريشيليو.

زيجيموند: ماذا أفعل بهذه الملابس المهلهلة؟ سأبقى كما أنا. أنا أرتدى دائما حلة السهرة الرسمية ونظارة بعين واحدة وقبعة ولا يوجد شىء أكثر من ذلك معبرًا عن الأنوثة. ويمكننى على هذه الهيئة أيضا أن أقوم بتمثيل دور الإمبراطور زيجيموند، الذى أعرف عنه فقط أنه وعد هوس بالحفاظ على حريته، وأنه مات فى زنيم. من يموت فى زنيم؟ أين هذا المكان أساسًا. وما كتب عنى من أشياء أخرى فى موسوعة ماير، أنا لم أقرأ هذا ولماذا اقرأه؟

(يعيد جميع الأشياء إلى سلة الغسيل)

زيجيموند: أنا لا أفهم لماذا الشخص سليل الخنازير الذى يعتقد أنه شاعر الذى مات من وقت طويل، يضعنى فى دور الإمبراطور زيجيموند. لا يوجد مبرر لذلك. فأنا لا أمثل أى قيمة فى فن المسرح. أنا أستطيع أن أقر ذلك. لقد أردت يوما أن أصبح ممثلا، وكان المسرح يستهوينى. ولكن من هذا الذى يهب نفسه لفن لا يتخذ إلا مصحة عقلية مكانًا له. ولذا أصبحت مخنثا.

(يضع ذراعه اليسرى حول كتف بوشنر)

زيجيموند: أيها المسكين جورج بوشنر.

(يضع القبعة فوق رأسه)

زيجيموند: لقد قبلت دور زيجيموند من أجله فقط. إننى أشعر كأنها أختى، بالطبع كأنه أخى. إنه يكتب ويكتب. ربما هو لم يكتب المسرحية التى نمثلها. وربما توجد أخترلو أخرى خلف أخترلو هذه، يكتب فيها مجنون مسرحية ويمثلها فيها مجانين. ربما يقصد هذا المجنون الذى يتدحرج تدريجيا نفسه وهو يكتب شخصية مجنون يكتب.

(يحدق نظره فى الجمهور)

زيجيموند: إننى متدين لدرجة قوية. بكل أمانة. إننى أفكر فى الله. إذا كان الله هو الذى خلق العالم فمن الذى خلق الله ومن الذى خلق الإله الذى خلق الله الذى خلق العالم؟ وهكذا يستمر سؤالى دائما. ودائما يوجد إله، وراء إله ولقد توصلت إلى مائة ألف إله أو مليون، أنا لا أعرف بدقة، ولكن تقريبا ودائما يوجد إله وراء إله. ولأننى دائم التفكير فى

اللــه حبسنى البابا فى أخترلــو، غيــر أننـــى لا أعرف من هو: جريجور الثانى عــشر، بنــديكت الثالث عشر أم يوحنا الثالث والعــشرون. كلهــم تركوا المنصب ولم يعد بإمكانى أن أسألهم.

(ينهض)

زيجيموند: باى باى جريجورى.

(هوس ينتهى من طعام الإفطار)

هوس: إن لحم جامبون بارما جاف أكثر مــن المعقــول. وأنا ما طلبت إلا القليل، نتفة من حيــاة أفــضل، ونتفة من الحــريــة، ونتفه العدالــة. لقــد كنــت متواضعًا أشد التواضع، ولكى أحقق هذا الممكــن، هذا الشيء القليل المتواضع أسست نقابــة العمــال الحرة، مستغلا فى ذلك الفتاة جين، والآن ســأبقى مستريحا، وازداد سمنة فى فيلا فاخرة، مثل مارتن لوثر فى فيتنبرج. يبدو أن – يبدو أن –

(يتلعثم ويحول نظره إلى بوشنر)

بوشنر: يبدو وكأن الكتاب المقدس قد أنزل العقــاب علــىّ

الكاذبين. يبدو أن الإله قد خلق الأمراء والعظماء في اليوم السادس، وقال لهم احكموا كل الحشرات التي تمشي على الأرض، واعتبر الفلاحين والمواطنين من فصيلة الديدان.

(هوس يقف)

هوس: لا توجد نتفة. والقليل أصبح أكثر من اللازم والقليل مستحيلا. وداعا يا نابليون. سأذهب إلى فيلا فوشيه.

(يمشي هوس جهة اليمين ويصادف ماركس الأول)

(يمد ماركس الأول ذراعيه للعناق)

هوس: أيها الرفيق.

(يحضر بوشنر كرسيه)

ماركس الأول: فلنتعانق.

هوس: لا أستطيع.

(يتأمل ماركس الأول هوس بنظرة فاحصة)

ماركس الأول: هل أنت مقيد بالكلابشات؟

هـــــــوس: إن هذه موضة بيننا اليوم نحن البروليتاريين.

ماركس الأول: غريب فلنتعانق وفليقبل بعضنا بعضًا.

(يعانق ويقبل يان هوس).

ماركس الأول: هناك عفريت يحوم حول أوروبا.

هـــــــوس: كيف؟

ماركس الثانى: تاريخ المجتمع حتى الآن هــو تــاريخ الــصراع الطبقى.

(ماركس الأول ينظر إلى يان هوس بنظرة ناقدة)

ماركس الأول: أنت ترتدى قبعة غريبة. أيها الرفيق بونابرت.

هـــــــوس: هذه أيضا موضة.

مــــــاركس: أهى - بين المجموعات الموالية للحزب؟

هـــــــوس: بين طوائف العمال.

ماركس الأول: هذا أمر مشكوك فيه. أيها الرفيق بونابرت. وماذا

عن ملابسك؟

هـــــــــوس: طبقا لوضعنا الاقتصادى.

ماركس الأول: تبدو كملابس من العصر الوسيط، وعلى أى حال لقد أصبحت أخيرًا قصير النظر لدرجة كبيـــرة جدا.

هـــــــــوس: هذا يؤسفنى.

(ماركس الأول ينظـــر إلى هـــوس بنظـــرة فاحصة)

ماركس الأول: ألست الرفيق بونابرت؟

هـــــــــوس: ومن أكون غيره، أيها الرفيق السكرتير العام.

ماركس الأول: لقد أصبحت مهملاً فى مظهرك كل الإهمال أيهـــا الرفيق بونابرت. المفترض أن ريشيليو عندك.

هـــــــــوس: إنه يقبع ميتًا فى سلة الغسيل. أيها الرفيق السكرتير العام.

ماركس الأول: ليذهب أيضًا.

(هوس يخرج الناى)

ماركس الأول: صور.

(يتأمل الصور بنظارة بعين واحدة)

ماركس الأول: إنهم من قاموا بتمثيل شخصيتى.

(يبدأ هوس بالعزف علىّ الناى)

ماركس الأول: كلهم قاموا بتمثيل شخصيتى بصورة سيئة.

(هوس يعزف الناى)

ماركس الأول: إنهم كممثلى الفرق المسرحية الفقيرة المتجولة.

(يشير إلى صورة هوشي منه. هوس يعزف الناى)

ماركس الأول: عندما أقارن لحيته بلحيتى.

(يجلس على الكرسى الوثير على اليسار. هوس يعزف الناى)

ماركس الأول: إننى أصدرت المنشور الشيوعى عام ١٩٤٨ لكى تعمل حركة البروليتاريا. واعتقدت أن الحركة المستقلة للأكثرية العظمى تمثل آراء ومصالح الأكثرية. وقلت:" إن البرجوازية لم تضع فقط

ظهور السلاح الذى سيقضى عليها، بل إنها أيضا أنجبت الرجال الذين يستخدمونه. وهم العمال المحدثون البروليتاريون". ولإيمانى بأن على تعاقب العصور ينشأ ذاتيا دائما وحتما نظام عالمى متعقل، فإننى وضعت السلاح للأكثرية العظمى من الناس ومكنتها من أن تحكم أكثرية عظمى.

(ينظر فى ورقة)

ماركس الأول: هل هذا النص الخاص بى؟

هـــــوس: بالتأكيد.

ماركس الأول: يبدو غريبًا لى بدرجة كبيرة.

هـــــوس: أجل. فى هذه الأيام.

ماركس الأول: أنا مرتبك. لقد اطلعت على نص مختلف تماما.

(يخرج ببطء إلى اليمين وهو يعزف الناى)(يأتى فى نفس اللحظة ماركس الثانى من اليسار)

نـــابليون: ها هو سكرتير عام آخر قادم.

ماركس الأول: فنى الأسنان الصناعية.

(ماركس الثانى يتلعثم عندما يرى مـــاركس الأول)

ماركس الثانى: خياط السيدات. ومعه النص الخاص بى.

(ماركس الثانى يفرد ذراعيه)

ماركس الثانى: أيها الرفيق.

نـــــــابليون: أيها الرفيق.

ماركس الثانى: فلنتعانق. فليقبل بعضنا بعضًا.

نـــــــابليون: فلنتعانق. فليقبل بعضنا بعضًا.

ماركس الثانى: ألم يكن هذا دوبشيك[1]؟

نـــــــابليون: هوس. فلتأمر بالقبض عليه.

ماركس الثانى: إنه يعزف موسيقى علىّ الناى.

---

(١) الكسندردوبشيك هو رجل سياسى تشيكوسلوفاكى من الحزب الشيوعى. ولد فى ١٩٢١/١١/٢٧ فى أوروفك بسلوفاكيا. شغل منصب عضو باللجنة المركزية فى الفترة من ١٩٥٨ -٧٠، وفى الفترة من ١٩٦٢-٦٨ عضو فى المكتب السياسى للحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى، وفى الفترة من ١٩٦٨، ٦٩ السكرتير الأول للحزب كممثل لمجموعة من الإصلاحيين.

نـــــــابليون: باخ. سوناتا فى مقام مول.

ماركس الثانى: ومن شركائه شارلوته كوردى[1] ...

نـــــــابليون: جين دارك.

ماركس الثانى: لقد أمرت بالقبض عليها.

نـــــــابليون: هذا ذكاء منك.

ماركس الثانى: يقال إنها قديسة.

نـــــــابليون: إن البابا لا يؤمن جانبه.

ماركس الثانى: نحن نتفاهم معه دائما بصورة أفضل. ولكن ما فعلته مع شدانوف العجوز الهرم.

نـــــــابليون: روبسبيير

ماركس الثانى: روبسبيير مارس فى الفراش ...

نـــــــابليون: موتة جيدة.

---

(١) شارلوته كورداى دى أرمونت. ولدت فى ١٧٦٨/٨/٢٧ فى ساتورونين دى ليجريه وأعدمت فى ١٧٩٣/٧/١٧ فى باريس. قتلت رئيس نادى اليعقوبيين طعنا فى الحمام فى ١٧٩٣/٧/١٣ بهدف إنهاء العنف.

ماركس الثانى: إن خياط السيدات هو الوحيد الذى أصابه الذهول.

(يلكم نابليون مداعبًا)

ماركس الثانى: إنه ذكاء منك أن تعلن الأحكام العرفية فى البلاد.

نـــــابليون: إنه المخرج الوحيد.

ماركس الثانى: أنت تتجنب زحفى، أليس كذلك؟

نـــــابليون: إننى أريد أن أمنع أى تصرف خطأ يمكن أن يؤثر على مصالحنا المشتركة.

ماركس الثانى: أنت أذكى من أن تخطئ مثل ما فعل لوثر الطيب.

نـــــابليون: هوس.

ماركس الثانى: إن تساعد هوس. وأنا أذكى من أن أزحف.

(ماركس الأول يفزع. ويتوقف صوت الناى)

ماركس الأول: إن هوس على حق.

(يغرق مرة أخرى فى تفكير عميق)

ماركس الثانى: ومع ذلك، يا خياط السيدات.

(يضحك)

ماركس الثانى: السؤال عما إذا ما كان زفينجلى[1] على حق أم لا ليس مهما تماما مثل سؤالنا عما إذا كان المنشقون على حق أم لا. فالموضوع هو الصراع بين قوتين عالميتين. إن هذا المستشار الألمانى ...

نــــــــابليون: الرئيس.

ماركس الثانى: الرئيس. يرشح بسمارك

نــــــــابليون: فوشيه.

ماركس الثانى: ألست أنت فوشيه؟

نــــــــابليون: أنا نابليون بونابرت.

---

(١) أولريش زفينجلى: مصلح كنسى فى الجزء الألمانى فى سويسرا. ولد فى ١٤٨٤/١/١ فى فلدهاوس وقتل فى كبل فى ١٥٣١/١٠/١١. عمــل قسيسا فى جلاروس فى الفترة من ١٥٠٦-١٦، وفى نفس الوقت عمل واعظًا فى ميدان القتال. وعمل قسيسا فى الكنيسة الكبرى فى زيورخ حتى ١٥١٩. وكانت معرفته بارازموس فى ١٩١٥ حاسمة فى حياته، وقرر توضيح وشرح المسيحية طبقا لمفاهيم الأخير، ومنذ ١٥٢٠ تغيرت وتعمقت آراؤه بعد قراءاته لكتابات لوتر.

ماركس الثانى: أجل. هذا لا يهم. فلو كان دانتون قدم المعونة العسكرية، ولو وافق هذا الشخص، لما أمرت أنت بقطع رقبته واضطررت أنا للزحف. اللعنة. علىّ أن أنتبه إلى ضغط الدم.

(يحضر كرسي بوشنر ويجلس عليه)

(بوشنر يصرخ بصوت عالٍ)

بوشنر: لو أخذوا منى الكرسى بصفة متكررة فلن ينتهى الفصل الأول أبدًا.

ماركس الثانى: ألا يعرف شو إن لأى[1] قواعد اللعبة. ليس له صالح ببلادنا، وينبغى أن يبتعد عنا. فأنتم تنتمون إلينا ونحن شعب وفىّ. لقد اعتبرناكم من أهم أصدقائنا. أنقدم لكم المساعدة العسكرية. وهذا يحدث انقلابا فى الاقتصاد العالمى من خلال تكنولوجيا تنحى البروليتاريين جانبًا وهم الذين

---

(١) شو إن لاى سياسى صينى من الحزب الشيوعى. ولد ١٨٩٨ فى منطقة شيكيلنج، ومات فى ١٩٧٦/١/١٨ فى بكين. سليل أسرة تشو. انضم لثورة الرابع من مايو، وكان فى الفترة من ١٩٢٠-٢٤ فى أوربا. فى إطار التعاون بين الحزب الوطنى الألمانى والحزب الشيوعى عمل رئيسا للأكاديمية العسكرية فى فابيو بكانتون. فى عام ١٩٢٧ أصبح عضو اللجنة المركزية والمكتب السياسى للحزب الشيوعى الصينى.

سيحررروه أيديولوجيتنا فلن تكون هناك حاجة إليهم وأيضا بالنسبة لنا. وسيدهش الرفقاء مـــن ذلـــك. ويجتاز أراضينا أعداد لا حصر لها مـــن منظفـــى الشوارع لم يكونوا موجودين. هـــذا هـــراء بـــلا جدوى. يا إلهى. يا إلهى. أيـــن الأقـــراص؟ أيـــن وضعت أقراصى؟

(يبحث فى جيوبه. صوت الناى بالخارج مرة أخرى)

ماركس الثانى: أين هى إذن؟ أين؟

(يجدها ويتناول قرصين)

ماركس الثانى: إنهم يساعدون على استعادة ذاكرتى عافيتها.

(يتناول أربعة أقراص أخرى)

ماركس الثانى: أنا مخزن معلومات مثل الكمبيوتر. لا أنسى شيئًا. أين توقفنا؟

نـــــــابليون: عند منظفى الشوارع.

ماركس الثانى: منظفو الشوارع؟ إن النظام الاقتصادى الاشتراكى لا يمكن أن يـــربح إلا عنـــدما يزدهـــر النظـــام

الرأسمالى. والنظام الرأسمالى لا يمكن أن يزدهر إلا عندما يتسلح، ولا يمكن أن يتسلح إلا عندما يدعى أن النظام الاشتراكى متقدم عنه فى التسلح، والنظام الاشتراكى يجب أن يتسلح لكى يواكب تقدم النظام الرأسمالى فى التسلح، وعندما يتقدم النظام الرأسمالى فى التسلح فإن النظام الاشتراكى لا يمكن أن يهاجمه، لأن النظام الرأسمالى لن يكون قادرًا على الازدهار عندئذ، وإذا تفوق النظام الاشتراكى ذات مرة فى التسلح فلن يهاجمه النظام الرأسمالى، لأنه سيفلس فى هذه الحالة؟ هل فهمت؟

نابليون: لا.

ماركس الثانى: وأنا أيضا. أنا أرتجل على أى حال.

نابليون: فلتنزعوا السلاح.

ماركس الثانى: أيها الرجل. هذا ما نفعله أيضا. نحن ندمر يوميا صواريخ قديمة، سفنًا حربية، غواصات، طائرات: دبابات، مدافع، بنادق آلية ومدافع خفيفة، وهذا بالضبط ما تريد أن تصنعه، والعدو أيضا ينزع السلاح بجنون ليتسلح من جديد. ونحن نبيع ما عفا

عليه الزمان.

(يفكر. يسكت صوت الناى مرة أخرى)

ماركس الثانى: هل تقصد أنا والـــ- الـــ-

نـــــــابليون: والرئيس.

ماركس الثانى: هل أنا والرئيس ... هل نحن القوتـــان العظميـــان نمارس سياسة قديمة، عفا عليها الزمان! نـــابليون: قديمة تماما.

ماركس الثانى: وأنت أيضا.

نـــــــابليون: أنت تضطرنى لأنتهج سياســـة عالميـــة. ولكننـــى مضطر لذلك أيضا فى عملى وزير خارجية.

ماركس الثانى: أنت عملت فى وقت ما وزيرًا للخارجية.

نـــــــابليون: ذات مرة.

ماركس الثانى: لقد نسيت ما كنته فى يوم من الأيام.

نـــــــابليون: أنت الآن السكرتير العام.

ماركس الثانى: أى سكرتير؟

نـــــــابليون: ليست لهذا أهمية.

(ماركس الثانى ينظر إلى أسفل جسده)

ماركس الثانى: ينقصنى أحد الأوسمة.

(يبدأ بعد أوسمته)

(تأتى جين من جهة اليمين)

(يأتى كامبرون من جهة اليسار)

(ينحنى)

كــــــامبرون: هل أنت جين؟

جـــــــــين: أنا جين.

(كامبرون يركع على ركبتيه)

كــــــامبرون: أنت رأيت القديسة كاتارينا والقديـسة مارجريتـا ورئيس الملائكة ميشائيل؟

جـــــــــين: لقد رأيتهم وتحدثوا معى.

كــــــامبرون: لقد نسيت كلمتى المشهورة، وأنت قديـسة. هـل تستطيعين أن تقوليها لى؟

جـــــــين: أستطيع أن أساعدك. عليك أن تنتظر حتى يساعدوا القديسين.

كـــــامبرون: إذن فلن يستطيع أحد أن يساعدنى. كما أنه لم يقدمنى أحد بطريقة صحيحة. ولكننى الآن لم أنس كلمتى المشهورة بل إننى نسيت من أكون وليس فقط من أكون بل نسيت أيضا من كنت. إننى لم أعد اى شيء.

(ينصرف وهو حزين)

(تظل جين واقفة على مقدمة المسرح)

(ماركس الأول وماركس الثانى يقفان بينها وبين نابليون)

جـــــــين: نابليون بونابرت.

نـــــابليون: ماذا تريدين؟

جـــــــين: لقد قُتل أبى رميا بالرصاص.

نـــــابليون: لقد أعدم فوشيه.

جـــــــين: تنفيذا لأوامرك.

نــــــابليون: إننى لم أعرض عليك أن ترفعى الكلفة فى حديثك معى.

جـــــــين: إنما ترفع الكلفة عندما نتحدث إلى الخونة.

نــــــابليون: أعطنى سيجارة.

(تلقى إليه علبة سجائر)

جـــــــين: سجائر انجليزية.

نــــــابليون: أنت كريمة.

(تلقى إليه ولاعة)

جـــــــين: الولاعة.

(نابليون يشعل سيجارته)

جـــــــين: اللورد ليس على متن طائرة الخطوط البريطانية المتجهة إلى لندن.

نــــــابليون: إننى أعلم هذا.

جـــــــين: ماذا حدث له؟

نـــــــابليون: لقد حصلت على أفلامه.

جـــــــــين: بناقص لورد.

نـــــــابليون: لقد تمزقت سترتك مرة أخرى.

جـــــــــين: إنه ضابط الحراسة.

نـــــــابليون: ألا ترتدين شيئا أبدا تحت سترتك؟

جـــــــــين: ولماذا؟ لماذا كلاهما؟ (يومئ برأسه إلى مـــاركس الأول والثانى)

نـــــــابليون: لقد ألقوا القبض عليك.

جـــــــــين: مولوتوف ألقىَ القبض علىّ.

نـــــــابليون: نيابة عنهم.

جـــــــــين: ألا يزالان علىّ قيد الحياة؟

نـــــــابليون: لقد أصبحا آثارا تذكارية.

جـــــــــين: هل يسمح بلمسهما.

نـــــــابليون: أعتقد نعم.

جـــــين: الأفضل لا.

نـــابليون: الأفضل لا.

ماركس الأول: إن الثورة العالمية كانت فى فكرى فقط. إن المجتمع الديمقراطى الشعبى الذى نشأ عن سقوط المجتمع البورجوازى لم يلغ الفوارق الطبقية. لقد أنشأ فقط طبقات جديدة وقواعد جديدة للاضطهاد وأشكالاً جديدة للصراع بدلا من القديمة. وفى وحل التبلد العقلى الإنسانى تواصل عجلة التاريخ بلا جدوى دورانها حول محورها. لقد اتضح خطأ قوانين التاريخ العالمى.

(ينصرف من جهة اليمين)

(ينهض ماركس الثانى واقفا)

ماركس الثانى: إنه النص الخاص بى. كنت سألقيه بطريقة تجعل كل قطعة فى الصالة ترتعد من الخوف.

(ينظر إلى أسفل جسده)

ماركس الثانى: كل الأوسمة لا تزال عندى. من المهم أننى ما زلت أمتلك كل الأوسمة. إن صعودى للسلطة كان بلا

إراقة دماء فى وقت تطاحن فيه وطنى فى حرب دامية ونهش جسده. وقد انحصر هنا فى أننى كنت أستمع إلى الخطب وألقى خطبًا واكتب تقارير عن الخطب التى استمعت إليها وألقيتها، وإذا تراءى لى أخيرًا أنها نفس الخطب التى استمعت إليها من قبل، وأنها نفس الخطب التى ألقيتها، وأن التقارير التى كنت أكتبها عنها هى نفس التقارير السابقة وأنه على الأكثر كان لا بد من وقت لآخر تبديل أسماء بأسماء أخرى. وهكذا كانت هذه الخطب خطواتى للصعود، وهذه الخطوات كانت تبدو واحدة وكل مرة بعد ألف من الخطب المتشابهة التى كنت أستمع إليها وألقيها وأكتب تقريرا عنها كنت أحصل على وسام. وكلما كنت اقتربت أكثر بخطبى التى كنت أستمع إليها وألقيها وأكتب تقارير عنها من القمة التى وصلت إليها الآن قمة التدرج الوظيفى للحزب كلما انهالت الأوسمة. ولكن كان على دائما أن أجلس هنا وأستمع إلى نفس الخطب، وأن أبقى جامد الوجه وأستمع إلى نفس الخطب ألقى نفس الخطب لساعات وأحصل على أوسمة جديدة. فقط لم يعد واجبًا على أن أكتب تقارير. فإنها من الآن

تكتب عنى لأننى تقدمت فى العمر وسأموت عما قريب وسوف يقوم الرجال الذين يقتربون من عمرى بحمل نعشى أمام الأسوار وسيدفنوننى ومعى أوسمتى. هذا النص كان على خياط السيدات أن يلقيه.

نابليون: أنت كنت أفضل منه.

ماركس الثانى: أنا كارل جوستاف يونج.

نابليون: لقد سقطت قطعة من قلبى.

ماركس الثانى: مع السلامة أيها الرفيق تروتسكى.

(ينصرف مارًا بجين دون أن يلاحظ وجودها)

(يجلس نابليون مرة أخرى على الفراش)

نابليون: لقد أمر مولوتوف بإلقاء القبض عليك بينما أنت هنا.

جين: لقد أطلقوا سراحى مرة أخرى.

نابليون: هل وضعوا شرطًا لذلك؟

(تصمت عن الكلام)

نـــــابليون: أعطنى المسدس!

جـــــــين: ليس معى مسدس.

نـــــابليون: فى سترتك.

(لا تتحرك)

نـــــابليون: حسنا هيا.

(تخرج المسدس من الحقيبة وتلقيه علـىّ الفراش)

(نابليون يأخذ المسدس)

نـــــابليون: إن زر الأمان لم يفك.

(يفك زر الأمان)

نـــــابليون: الآن تستطيعى أن تضغطى على الزناد.

(يعيد المسدس إليها)

(جين تحدق عينيها فى نابليون)

نـــــابليون: هل تسكت السماء؟

(جين تحدق عينيها فى نابليون)

نـــــــابليون: ألن ترد السماء؟

(جين تحدق عينيها فيه)

نـــــــابليون: هل يتخلى عنك القديسة كاتارينا والقديسة مارجريتا ورئيس الملائكة ميخائيل؟

(تدخن)

(تلقى المسدس علىّ الفراش)

جـــــــــين: لقد كان هذا هو الشرط. دعهـــم يقـــودوننى إلـــى السجن.

نـــــــابليون: أنت ما زلت ترفعين الكلفة بيننا.

جـــــــــين: أسرع.

نـــــــابليون: بماذا؟

(تدعك السيجارة بقدمها)

جـــــــــين: بإطلاق بالرصاص علىّ.

نـــــــابليون: ولماذا؟

جـــــــين: ناولنى كأسين كونياك.

(يسير نابليون إلى المقدمة حيث عربة الطعام ويصب كأسان من الكونياك)

نـــــابليون: اجلسى.

(تجلس جين على الكرســـى الــوثير جهـــة اليسار)

(نابليون يناولها كأس الكونياك)

(نابليون يجلس على الفراش مرة أخرى)

جـــــــين: أنا انتظر الآن.

(نابليون يشرب الكونياك)

جـــــــين: مازلت تشرب.

(يشرب)

(يندفع زيجيموند مسرعًا علىّ يسار المسرح)

زيجيمونــــــد: أين قبعتى؟

(يأخذ القبعة من علىّ رأس بوشنر ويخـــرج

ثانية مسرعًا من يسار المسرح)

جـــــين: عندى وقت.

نـــــابليون: إن نفسى لا تطاوعنى على قتلك. فأنا أحتاج إلـى مساعدتك. أحتاج إلى معلومات.

(يتوهج الأمل فى نفس جين)

جـــــين: أتريد أن تحارب؟

نـــــابليون: أريد أن أتجنب الحرب.

(جين وقد خاب أملها)

جـــــين: كان ينبغى علىّ أن أقتلك.

نـــــابليون: هل كنت تفضلين الحرب؟

جـــــين: لقد حققت انتصارات فى مارينجو وفينا وفـاجرام وأوسترلتس.

نـــــابليون: هل تجلت لك السماء فى بهائهـا وأوهمتـك بـأن تذكرينى بانتـصاراتى؟ إنهـا ليـست جيـدة. ألا تخجلين؟ لماذا سقطت فى الدور البطولى الفاشـل بصورة بائسة.

(يشرع فى خلع الحذاء ذى الرقبة)

جـــــــين: لقد أردت أن أكون أكثر من أمى.

نـــــــابليون: أكثر من أمك؟ هل تقصدين أن الجنود كانوا سعداء فى مورينجو وفيينا وفاجرام وأوسترلتس؟ لا كانوا سعداء فقط لأنهم مع أمك. إن انتصاراتى لم تكــن إلا فينًا ودمًا وقانورات وماذا الآن؟

(يلقى الحذاء ذا الرقبة فى سلة الغسيل)

نـــــــابليون: أنا المصيبة الأصغر التى تمنع الضرر الأكبر وهو الكفاح البطولى لشعب بملايين القتلى. ناهيك عــن ذلك أن العالم سينتهى إذا ما تدخل الرئيس. ولقــد فضلت أن أتجه لأبطال المصارعة الحــرة حيــث متفق على كل ضربة وكل حيلــة. إن المــصارع الحر يمثل تأثير الضربة عليه. فإذا تلقى ضـــربة انقلب ليس بسبب الضربة وإنما ليمثل أنــه انقلــب متأثرًا بها. مسرحية قديمة.

(يلقى السترة فى سلة الغسيل)

نـــــــابليون: ليس الأهم هو البطل وإنمــا الــشخص الجبــان.

والجمهور يصفر عندما يأتى. وهو يسب الجمهور وينزل من حلبة المصارعة ويهاجم من الخلف. إن هذا التصرف المتجنى يكون دائمًا مدعاة للتصديق وبدرجة مبالغ فيها بدرجة كبيرة. ويشتات الجمهور غضبا. وهكذا يكون الأمر فى السياسة. غير الاختلاف فقط فى أن الضربات حقيقية ولا تضطر إلى تمثيل التأثر، ولكن دور الشخصية. لا بد لأحدهم أن يلعب دور الجبان وأنا أؤدى هذا الدور.

(يلقى بالقبعة والنظارة فى سلة الغسيل)

نابليون: أنت لا تشربين.

(يشرب الكأس عن آخرها مرة واحدة)

جين: أنا أشرب.

(تشرب)

نابليون: يوديت أيضا جعلت هولوفرنس يسكر.

(يذهب مرتديا قميصًا أبيض وبنطلونًا ضيقًا إلى عربة الطعام ويصب لنفسه الكونياك)

نـــــــابليون: يوديت وهولوفرنس اثنان استطاعا أن يقــتلا، وأن يُقتلا من أجل شىء له معنى كبير. عنــدما قتلــت يوديت هولوفرنس أصبح بلدها حرًا. أما أنت فلــو قتلتنى ستزداد حماقة اللا حرية وتستفحل.

جــــــــــين: أنا لست يوديت.

(تشرب الكونياك لآخره)

نـــــــابليون: أنا لست هولوفرنس.

(يشرب الكونياك لآخره)

جــــــــــين: لم أعد أريد أن أكون جين.

نـــــــابليون: وأنا لم أعد أريد أن أكون نابليون:

(يركع تحت قدميها ويضع رأسه فى حجرها)

(يبدأ عزف مقطوعة التوكاتا)

جــــــــــين: كان من الأفضل أن أبقى يوديت. كنــت سأنــسى اسمى وأنتظر من يتعرف إلى شخصى. وكان من الأفضل أن تكون أنت هولوفرنس.

نـــــابليون: وأنا كان من الأفضل أن أكون هولوفرنس. كنـــت سانسى ما اقترفته. كان من الأفـــضل أن تكـــونى يوديت.

(يتوقف عزف الأداجيو)

(يرتب بوشنر الأوراق بعناية)

(بينما يلقي بوشنر كلمة ينـــهض نـــابليون وجين واقفين. تذهب هي إلى سلة الغسيل وتخلـــع ملابسها وتلقي بفستانها الجيـــنز الأزرق فى ســـلة الغسيل وتأخذ منه قميصًا شيك أبـــيض وترتديـــه وترمي بشعرها المتدلى وراء ظهرها. يأخذ نـــابليون معطف التتويج الأحمر ويلف نفسه به بحيث يكـــون الشكل الذهبي الداخلي هو الخارجى)

بوشـــــــنر: نحن أمام وجهتى نظر أساسيتين يواجه بعـــضهما البعضًا. الأولى تعتبر جميع ظواهر الطبيعة تدرس جميع ظواهر الحياة العضوية من منظـــور االعلـــة الغائية، وتجد حل اللغز فى الغاية، أن الإنسان لديه يدان ليتصرف. ولكن الطبيعة لا تتبع منهج الغاية فى أفعالها، وهى لا تتعب وتهلك نفسها فى سلسلة

لا نهائية من الغايات، كل غاية تتطلب الأخـــرى، ولكنها مكتفية بذاتها فى جميع تعبيراتها. إن كــل شيء موجود لذاته. والبحث عن قانون هذا الوجود هو الهدف الأساسى للفكر الفلسفى. الإنسان يقــدم علىّ الفعل لأن له يدين. وما يبدو أنه غايــة هــو التأثير والنتيجة. وهكذا كان فكرى الفلــسفى فــى دراساتى العلمية باعتبــارى محاضــرًا للتــشريح المقارن فى جامعة زيورخ، بل أيضا فــى بيــانى السياسى " رسول من قرية هيسين" وليس أخيــرا فى كتاباتى الشعرية. ولست أهتم بغايــة الأفعــال الإنسانية ولكن بأسبابها. ونحن نسم الإنسان حــرًا أو غير حر، عادلاً أو غير عادل، فاضل أو غيــر فاضلاً أو حتى مجرمًا، ولكن كل هــذه الــصفات عبارة عن تقييم يلقيه إجماع المجتمــع الإنــسانى، مثل الشبكة على الإنسان فيحبس داخلهــا. ولكــن التقييم لا يصنع الإنسان، فالإنسان هو الذى يقــيم. فإذا بحثنا عن أسباب لماذا أن الإنسان يحبس نفسه إما مرغمًا أو بإرادته فى سجن قيمه التى يصنعها بنفسه، فإننا سنصطدم بطبيعــة الإنــسان. ولــذلك

كتبت "أخترلو"، المأساة الكوميدية لثورة لم تتم لأن مجنونًا حاول أن يكون عاقلاً، وأن يتجنب حربًا كانت ستؤدى إلى فناء البشرية، لكى ينقذ سلامًا تهلك البشرية بسببه داخل نسيج من الأسباب تصبح أفعال تتحول بدورها بالمصادفة مرة أخرى إلى أسباب لأفعالاً جديدة، عبارة عن بساط يمتد إلى بداية الكون الذى يمكن تخمينه بالافتراضات فقط، ويصل أصله إلى لا نهائية اللا شيء. ولذلك فقد اخترت نماذج من أزمان أخرى مختلفة تمامًا لأحاكى مجموعة الأحداث التى حدثت يومى الثانى عشر والثالث عشر من ديسمبر ١٩٨١، لأن كل نموذج من البساط اللا نهائى يسوى الآخرين. ولكنه بالنسبة لى أنا جيورج بوشنر، فإننى لا أتحمل أن أكون العاقل الوحيد بين مجموعة من المجانين. والنماذج لا تكاد تلتزم بنصى ويتحدثون كما يحلو لهم، والآن يهوى الحدث بالزمن كغرزة ناسلة لجورب رخيص الثمن ٦٠٠ عام قبل الميلاد تقريبًا، إلى يوديت وهولوفرنس. إننى لن أكتب أى شيء من الآن فصاعدًا.

(بوشنر يمزق المخطوط شيئا فشيئا ويترك قطع الورق تطير على خشبة المسرح)

(ويتبع ذلك أيضا بوشنر يمزق صفحات المخطوط باحثا عنها حول خشبة المسرح)

(يدخل نابليون وجين إلى مقدمة المسرح)

نابليون: أنا هولوفرنس.

جين: أنا يوديت.

نابليون: إننى أعتى طغاة ملك نينوى وبابل بختنصر الذى كان يأكل الحشائش كما يأكل الثيران، والذى كان يرقد تحت ندى السماء حتى أصبح طول شعره مثل ريش النسر، وأصبحت أظافره كمخالب الطيور.

جين: أنا أرملة ماناس الذى كان يجمع محصول الشعير فى حقول مدينة بتوليا وقتلتنى أشعة الشمس الحارقة. أنا وسيمة وغنية وعندى الكثير من الخدم وعزب مليئة بالثيران والأغنام.

نابليون: عندما اشتد جنون الملك بختنصر امتعض وقال لى

أنا أعتى طغاته تحرك بجيشك ضد جميع الممالك التى تقع تجاه الغرب ودمر مدنهم ومعابدهم وعندئذ ستقتل أيضا الإله الذى أذلن.

جين: لقد حزنت على زوجى ثلاث سنوات وستة أشهر.

نابليون: لقد أعددت شعبا مسلحا للحرب، مائة وعشرين ألفا علىّ الأقدام وعشرين ألفا من الرماة علىّ الخيل.

جين: كنت ارتدى جوالاً وكنت أصوم كل يوم تقريبا.

نابليون: أنا تحركت بجيشى فى عناد وإصرار مثل نجوم السماء ضد جميع الممالك التى تقع تجاه الغرب، وعملت على محاصرة مدنهم وتسيير أبراج الحصار أمام الأسوار وإشعال النار فى المنازل بإلقاء الكرات المشتعلة ومات الجميع _ الرجال والنساء والأطفال _ وعندما اشتعل المعبد بالإله المعبود فى المدينة انطلقت هبة من اللهب إلى السماء.

جين: وهنا صليت ودعوت الرب: عاقب هولوفرنس بسيفه الخاص به واجعل عينيه بنفسها توقعه أسيرا

لى عندما يرانى ـ واجعله ينخدع عندما يسمع كلماتى الجميلة. وعندما انتهيت من صلواتى خلعت جوالى واغتسلت ودهنت جسمى بمياه جميلة وأسدلت شعرى وراء ظهرى ولم أرتد إلا قميصًا أبيض يمتّد حتّى قدمىّ.

(يبدأ الأداجيو من جديد)

نابليون: والآن يقبع جيشى ثلاثة أسابيع أمام مدينة بتوليا.

جين: لقد أتيت إليه قبل ثلاثة أسابيع فى حرارة الظهر لإنقاذ المدينة.

(يلتفتان لبعضهما)

نابليون: لقد تفحصتها بنظرى. كانت أجمل من نساء بختنصر.

جين: لقد تفحصته بنظرى ونسيت زوجى الذى حزنت عليه ولبست الجوال وصمت.

نابليون: قلت لها إنها أتت لتقتلنى.

جين: قلت له إننى جئت لأقتله.

نـــــــابليون: ثم شربت معها الخمر فى حرارة الظهر.

جـــــــــين: ثم ضاجعته فى الفراش فى حرارة الظهر.

نـــــــابليون: وعندما انخفضت الشمس عادت إلى بتوليا.

جـــــــــين: فى اليوم التالى ذهبت إليه مرة أخرى وضــاجعته فى الفراش مرة أخرى. وعدت مرة أخــرى إلـــى بتوليا وعندما يسأل أهالى بتوليا متى تقتلينه لكـــى نتحرر منه؟ أجيب: غدًا.

نـــــــابليون: وهكذا أنا أضاجع هذه المرأة ولا أفهم لماذا علـــىّ أن أقتلها وأحرق بتوليا. إن تـــدمير بتوليـــا لـــيس بالأمر المهم ولكن من المهم أن تعيش يوديت.

جـــــــــين: وهكذا أضاجعه ولا أفهم لماذا على أن أقتلة وأنقـــذ بتوليا. إن إنقاذ بتوليا ليس بالأمر المهم. إن الرب والقانون أرغمانى أن أحزن ثلاث سنوات وســـتة أشهر على رجل لم أكن أحبه، وبعثـــا بـــى إلـــى الرجل الذى أحبه لكى أقتله.

نـــــــابليون: سأمارس الحب مع يوديت مرة أخرى ثم أجعلهـــا تعود إلى بتوليا وتنسحب مع جيشى.

جــــــــين: دعنا نرقد معًا إلى جانب بعــضنا الــبعض مــرة أخرى فى ظل الخيمة فى حر الظهيرة أمام مدينــة بتوليا.

(يذهبان إلى الفراش ويغلقان ستائر الفراش)

(يخفت عزف الأداجيو)

(تخرج من سلة الغسيل السيدة فون سيمزن ترتدى زى الراهب)

السيدة سيمزن: أنا الرب العزيز وجدت من اللا نهائى فى زمن ما ولأن بين نقطتين زمنيتين لا نهائيتين يوجد زمــن كثير لا نهائى مهما اقتربا من بعضهما بعضًا، فإنه من الممكن أنه لم يعد لى وجود وأننى توجدت لمدة لا نهائية قصيرة ولكنها أطول من أى حقبة زمنية لأنه يمكن قياس أى حقبة زمنية بينمــا لا يمكــن قياس زمنى. لقد خلقت عالما لا نهائيا نعمة منــى حيث تفنى الفظائع فى اللا نهائية ورحمة بحيث إن كل ما خلقته فى هذه الحقبة الزمنية اللا متناهية فى القصر التى خطر فيها ببالى فكرة خلف العالم ثــم اختفت، ما زال موجودًا فى فكــرى الــذى نــشأ فى العالم وامتد وذهب أدراج الرياح، لم يكن شىء

آخر إلا الحب لأنه الوحيد الممكن فى العالم الزائل.

(طلقة رصاص)(هدوء)

(يبدأ عزف الفوجا[1])

(يتم سحب الحائط وتعلية السرير والستائر إلى أعلىّ)

(جين تجلس القرفصاء على السرير وتوجد بجانبها جثة نابليون)

(بوشنر يجمع الصفحات الأخيرة للنص ويمزقها)

(ينقطع عزف الفوجا)

جين: سأعود ومعى رأس حبيبى إلى بتوليا وسوف تمد أبراج الحصار فى الليل للانتقام لهولوفرنس وسوف يشعلون النار فى بتوليا. وستموت السيدات والرجال والأطفال فى النار المشتعلة، وسأمضى

---

(١) الفوجا: من اللاتينية ومعناها الهروب. هو المبدأ فى تكوين موسيقى مجسمة متعددة الأصوات التى كتبها ترتيب خاص من تقليد متميز، فيه الموسيقى موضوع متكرر بدءًا بأصوات مختلفة متداخلة فى ملاعب مختلفة، يمكن أن يكون المشترك فيها واحدة، تتكون لهذا المبدأ قطعة.

فى فخار فى مواجهة الدروع حاملة رأس حبيبى أمامى وعندما تنطلق شعلة إلى السماء ستخترق الأسهم جسدى وتدفن فيه.

(تظهر يد كرايزلر وهى تضع الزجاجة الثانية الفارغة من الشمبانيا على الأرغن).

السيدة سيمزن: كنت الرب العزيز.

(تغطس فى سلة الغسيل)

جـــــين: هل جننت؟

(بوشنر يجمع الصفحات الأخيرة للنص ويمزقه)

(ينزل الستار)

فريدريش دورينمات

٢٧ فبراير ١٩٨٦

أخترلو (٤)

مسرحية كوميدية

الشخصيات [1]

بروفيسور/نابليون

جيورج بوشنر/ بنجامين فرانكلين

لويس/ ماركس الثانى

بلون بلون/ ماركس الأول

كامبرون/ البابا يوحنا الثالث والعشرون*

جين دارك

السيدة فون سيمزن/ ريشيليو

فويتسك/ يان هوس

روبسبيير/ فوشيه/ الإمبراطور زيجيموند

موللر الأول/ البابا جريجور الثانى عشر

موللر الثانى/ البابا بنديكت الثالث عشر

---

(١) راعينا عدم تكرار هوامش الأسماء والكلمات والتعبيرات التى وردت فى أخترلو ١ واخترلو ٣.

الفصل الأول

(حجرة بأحد عشر بابًا ذوى أجنحة مفتوحة من جهة المـــشاهدين وعليّ ناحية اليمين إلى الخارج يوجد مخرج خلف بوابة المسرح)

(ولا يوجد شيء آخر فى الخلف)

(بوشنر فى وسط الحجرة يجلس أمام منضدة مليئة بالأوراق، أدوات مركبة من الأسماك والضفادع الضخمة. يكتب ويكتب)

(على يسار المسرح دمية لخياطة، سوداء وعليهـــا معطـــف أحمـــر لكاردينال، ثلاثة قرابين وعلى اليمين بقايا هيكل عظمى غير ملحوظ)

(على الأرض أجزاء من موسوعة، ومخطوطات وأوراق منفردة وقد ملئت بالكتابة)

(يظهر البروفيسور وينظر حوله)

بروفيسور: أخترلو. مكان ما. أبواب ذات أجنحة ولا يوجد شيء خلفها. كما وكان لا يوجد شيء آخر سوى أخترلو. ربما لم يعد هناك شيء آخر سوى أخترلو. لقد خفت طيلة حيلتى أن أجيء إلى أخترلو. كنت أخاف وأنا طفل من ذلك. كنت أخاف من بيت شعر مخيف: "أتعرفون يا صغارى الأعزاء أين مكان الكستبان؟ أتخذ مدفأة وصومعة فى أغوار وادى أخترلو. والآن أتيت إلى أخترلو. لأننى أقمت السلام. لا أعرف أين وبين من. أنا أعرف فقط أن السلام الذى أقمته أتاح احتمالية اشتعال الحرب لأن الحرب تلازم السلام كما تلازم أخترلو أخترلو، وأنا أعرف أن السلطة أفسدتنى لأننى كنت أكافح باسم حرية فاسدة سلطة كانت تحكم باسم عدالة فاسدة، وعرفت أخيرا أننى حاولت أن ألعب مستخدما عقلى على طاولة شطرنج غير عقلانية، وأن أشكل بعقل متوحش تحطم غريزته الشرنقة. هذا المتوحش يدعى الإنسان. لقد كففت عن المحاولة.

(يسحب مسدسه)

البروفيسور: سأعود من جديد إلى العدم الذى جئت منه إلى أخترلو).

(يقتل نفسه بالرصاص)

(تدخل السيدة فون سيمزن من الباب رقم ٢ فى حلة سموكن شيك تمشى الهوينى فوق المسرح وتتفحصه وتأخذ معطف الكاردينال من على دمية الخياطة وتنصرف من الباب رقم ٢)

(بوشنر يرفع نظره)

بوشنر: "موسوعة ماير للمحادثة" لعام ١٨٩٣ تدعونى فى جزئها الثالث Biot حتى Chemikalien، شاعرًا موهوبًا. ولدت فى السابع عشر من أكتوبر عام ١٨١٣ فى جوديلو غير بعيد من درمشتادت وتوفيت فى التاسع عشر من فبراير عام ١٨٣٧ فى زيورخ. ولم يذكر من مؤلفاتى إلا "موت دانتون" و"ليونس ولينا". والقصة غير المكتملة "لينس" والعمل الأهم "فويتسك" تم إغفالهما.

بوشـــــــنر: أثناء النهار أقوم في حارة الشبيجل بتشريح السمك والضفادع الضفادع الضخمة لكى أعدَ محاضرتى عن التشريح المقارن للأسماك والبرمائيات فى جامعة زيورخ، ولكنى أثناء الليل مشغول بكتابة مسرحيتين، إحداهما عن كاتب عصر النهضة الشرير بيترو أريتينو، وقد ضاعت بسبب إهمال أسرتى التى كانت ترى أننى فقط باحث فى الطبيعة، والأخرى تجرى أحداثها فى صباح الثانى والثالث عشر من ديسمبر عام ١٩٨١ فى وارسو، إذن فى فترة زمنية أنا الذى أكتبه ليس أنا. ستقولون إنه عمل مزدوج مجنون وستسألون أنفسكم مدفوعين بالفضول ماذا أستطيع أن أعرف على خشبة المسرح عن الزمن الذى تجرى فيه الأحداث عن عصركم الحاضر الذى ما زالت ضرباته تؤثر فيكم. لن تبقى أمامى إلا بضعة أسابيع على قيد الحياة. وقبل ثلاث سنوات من موتى كتبت لعروسى: "لقد درست تاريخ الثورة. وأحسست أننى دمرت بسبب إهمال التاريخ البشع. إننى أجد فى طبيعة البشر تشابهًا رهيبًا وفى

سلوكياتهم عنفا لا يمكن تحاشيه ممنوح للجميع وليس لواحد، وأن الفرد ليس إلا رغوة علىّ الموجة وأن العظمة مجرد مصادفة محضة، وأن حكم العبقرية مسرحية عرائس، صراع ساخر ضد قانون قديم الاعتراف به أكبر ما فى الأمر وإتقانه والعمل به مستحيل". بعد ثلاث سنوات بعد ما قطعت جماجم عيناتى للتجارب بمقطع التشريح بدأت أدرك القوانين التى تحكم هذه الأحياء، وهى عظيمة وبسيطة وجميلة مثل قانون الضرورة والوجوب، وهى أيضا أساس وجودنا مثل جميع الكائنات الحية، ولكنى لا أدرك فقط وإنما أعيش ما أدركت ويصبح قانون الوجوب شيئا فظيعا. إن وجه الميدوسا يحملق فىّ. إن الوجوب كلمة من كلمات اللعنة التى يعمد بها الإنسان. ما هذا الذى يكذب فينا ويقتل ويسرق؟ ولأنكم أيضا موضوعون تحت هذا الوجوب، فإن زمنكم أيضا يمكن التنبؤ به من وجهة زمنى. ولذلك كان علىّ أن أبدأ كتابة هذه المسرحية الكوميدية. ولذلك لا بد أن أكتبها حتى النهاية.

(يستمر فى الكتابة)

(يدخل من الباب رقم ١ بلون بلون ومعه سرير مستشفى، ومن الباب رقم ٢ لويس ومعه كرسى حلاقة وكلاهما يرتدي معطف الأطباء. يضع بلون بلون السرير على اليسار من وسط المسرح ويضع لويس كرسى الحلاقة فى مقدمة المسرح جهة اليمين)

لـــــــويس: البروفيسور زيجموند فرويد.

بلـــون بلـــون: البروفيسور هانس لوفل.

لـــــــويس: ها هو البروفيسور يرقد من جديد.

بلـــون بلـــون: قتل نفسه بالرصاص مرة أخرى.

لـــــــويس: لا يمكن أن يصدق أنه كان يشغل منصب وزيـــر خارجية.

بلـــون بلـــون: لقد أصابه جنون.

لـــــــويس: نحن بالفعل فى مصحة عقلية.

بلـــون بلـــون: الدافع الموت.

لـــــــــويس: توقف أخيرًا عن موضوع الدافع للموت الـذى لا تكف عنه أبدًا.

بلـــون بلـــون: الدافع للموت. الدافع للموت.

لـــــــــويس: الأطباء الآخرون مرة أخرى فى مؤتمر للأطباء.

بلـــون بلـــون: العمالة مضربة عن العمل.

لـــــــــويس: الاشتراكية اللعينة.

بلـــون بلـــون: هل نوقظه؟

لـــــــــويس: استيقظ، يا بروفيسور!

(يهز البروفيسور)

بروفيـــــسور: رصاص فشنك مرة أخرى.

لـــــــــويس: إذا أديت دورك بمهارة ستحصل المرة القادمة على رصاص حقيقى.

بروفيـــــسور: دور؟

لـــــــــويس: دور العلاج بتقمص الأدوار يا بروفيسور.

بلـــون بلـــون: فنحن نريد أن نشفى ونصبح أصحاء من جديد.

بروفيـــــسور: أصحاء؟

(غاضب)

بروفيـــــسور: أنا سليم.

(ينطلق مسرعًا من الباب رقم ٧ إلى الخارج، وبلون بلون ولويس يقودان نابليون من الباب رقم ٦ فى كلابشات البوليس إلى الداخل مرة أخـــرى، ويلبسانه قميص المجانين[١])

لـــــــويس: بالطبع أنت سليم، يا بروفيســور. ولكن أعصابك متعبة بعــض الشىء. ومن هنا العلاج بـــالأدوار، يا بروفيسور.

بلـــون بلـــون: للتوازن. للاتزان الروحى. تدخل لمـــدة قـــصيرة للعقل الباطن يحدث تأثيرًا كالمعجزة.

بروفيـــــسور: أين إذن باقى الأطباء؟

لـــــــويس: فى مؤتمر.

بروفيـــــسور: هم دائما فى مؤتمر.

---

(١) كان يستخدم قديمًا للمرضى النفسيين ذوى الحالات المضطربة، وهو عبارة عن سترة من قماش سارى المركب بأكمام طويلة يتم ربطها على الظهر.

(يربط قميص المجانين بإحكام)

بلـــون بلـــون: والعمالة تضرب عن العمل.

بروفيـــــسور: الرأسمالية اللعينة.

لـــــــــويس: على الرغم من ذلك ستؤدى الدور.

بروفيـــــسور: هل أحصل بعد ذلك على رصاص حقيقى؟

لـــــــــويس: بالتأكيد.

بلـــون بلـــون: هذا وعد.

بروفيـــــسور: ما اسم المسرحية؟

لـــــــــويس: "أخيرا يريد "نابليون أن ينام".

بوشـــــــــنر: مسرحية عصرية.

(بلون بلون يأخذ النص من المنضدة أثناء ما يكتب بوشنر. يعد لويس نفسه كـــرئيس الأطبـــاء ويراقب تمثيل الأدوار، بسرعة هنا وهنـــاك علـــى خشبة المسرح)

بلـــون بلـــون: إن بوشنر كتبه لنا.

بروفيســـور: جيورج بوشنر؟

بلــون بلــون: جيورج بوشنر.

بروفيســـور: هكذا الأمر.

بوشـــــنر: يلعب الأدوار فى وارسو عـام ١٩٨١: نـابليون وأولاد أخيـه وكـامبرون وفوشـيه وريـشيليو وروبسبيير وجين دارك وفويتسك ويـان هـوس وكارل ماركس والإمبراطور زيجيمونـد والبابـا يوحنا الثالث والعشرون والبابا جريجـور الثـانى عشر والبابا بنـديكت الثالـث عـشر وينجـامين فرانكلين.

بروفيســـور: أنا سألعب دور بنجامين فـرانكلين. سـيؤدى دور وزير الخارجية الأمريكى.

(بوشنر يرفع نظره)

بوشـــــنر: هل أنت باحث فى الطبيعة؟

بروفيســـور: لا.

بوشـــــنر: سألعب دور بنجامين فرانكلين.

بروفيسور: حسنًا. إذن أنا سأمثل دور نابليون. حتى ولو أننى أحب ميترنيخ[1] جدا. ولدت فى الخامس عشر من أغسطس عام ١٧٦٩ فى أجاكيو ومت فى الخامس من مايو عام ١٨٢١ الساعة السادسة مساء فى سانت هيلينا أثناء نوبة هياج سرطان المعدة. وأنتم أولاد أخى.

بوشنر: بروفيسور هانس لوفل سيمثل دور شارلز لويس نابليون.

نابليون: الابن الأصغر لأخى لويس الذى جعلته ملكا لهولندا وابن زوجتى هورتنزيه.

لويس: أنا سأمثل دوره؟

نابليون: لا بد أن تتشرف لك. فلويس أصبح أخيرًا نابليون الثالث إمبراطور فرنسا.

بوشنر: زيجيموند فرويد سيمثل دور نابليون جوزيف تشالرز الذى يلقب بـ بلون بلون.

---

(١) سلالة نبلاء من الراين. أطلقت هذا الاسم على نفسها فى نهاية القرن الثالث عشر نسبة إلى قرية مترنيش بالقرب من أيوس كيرشين. أنجبت فى القرنين السادس والسابع عشر ثلاثة من الأمراء الناخبين .

نـــــابليون: ابن أخى الأصغر ملك فستفالن جيروم وكاتارينا أميرة فورتيمبرج. أنا أحب الدم الألمانى.

بلــون بلــون: بلون بلون؟ إنه سياسى مسالم تمامًا.

نـــــابليون: زيجيموند فرويد! أنا أتذكر أننى قرأت مقالتك "النكتة وعلاقتها بالعقل الباطن". إننى أثق أنك أنت فقط القادر على نكتة تمثيل إنسان سياسى مسالم تمامًا.

(بلون بلون ينحنى)

نـــــابليون: إننى أستخدم أولاد أخى خادمين. لقد أصبحت إنسانا عاطفيا، كما أصبحت كثير التسامح.

(نابليون يتمطى)

نـــــابليون: طول الليل مؤتمر بعد الآخر. أنا ميت من التعب. سآوى إلى الفراش. يا لويس! لا تسمح لأحد بالدخول.

(يذهب إلى السرير ويخلع الحذاء ويستلقى علىّ الفراش)

(بلون بلون ومعه مجلة الخلاعة)

بلـــون بلـــون: المجلة الجديدة لنقابة العمال الحرة.

نـــــــابليون: كم يطبعون منها؟

لـــــــــويس: ثمانية ملايين.

(بلون بلون يعطى نابليون المجلة)

نـــــــابليون: بصورة لجين؟

بلـــون بلـــون: بصورة لجين.

(تظهر فى الباب رقم ٦ فى الخلف جين دارك فى قميص مجانين مربوط، تذهب إلى نابليون، تضع نفسها علىّ السرير عند موضع القدم)

جـــــــــين: بصورة غلاف. أنا جين دارك: أحرقـــت لأننـــى ساحرة فى الثلاثين من مـــايو عـــام ١٤٣١ فـــى روين، مُنحت القدسية فى الثلاثين من مايو على يد البابا بنيدكت الخامس عشر. وأظهر فـــى روايـــة شكسبير "هينريش السادس" كخادمـــة. ويـــدعونى

شيللر عذراء أورليانز[1]، وجورج برنـــارد شـــو القديسة يوهانا. والآن أنا فتاة تليفون

(تسقط بظهرها علـــى الفـــراش، ويتركـــه نابليون مفزوعا)

نــــــابليون: أليست هذه المجنونة التى توهم أنها يوديت؟

لــــــــويس: تمامًا، يا عمى العزيز.

نــــــابليون: ألم تقتل رئيس مفتشى الضرائب؟

بلـــون بلـــون: هى فعلت ذلك.

لــــــــويس: بسكين.

بلـــون بلـــون: إذا أصيبت بنوبة ستوضع من جديد فى الزنزانـــة المطاطية.

(تشرع جين فى ثورة غضبها، يلقـــى بلـــون بلون عليها شبكة ويحرك السرير خلال الباب رقم ١ إلى الخارج)

---

(١) مسرحية تراجيدية للشاعر والمسرحى الألمانى فريدريش فون شيللر فى عام ١٨٠١، وعرضت لأول مرة فى ١١ سبتمبر ١٨٠٢. وتعد من أكثر أعمال شيللر شهرة فى حياته وبعد مماته.

(يبدأ لويس بغلق الأبواب من ١ إلى ١١)

(يدخل شخص فى زى جنرال من جيش نابليون من الباب رقم ٨ ويصيح:)

كامبرون: مى – مى – مى!

(يخرج)

بوشنر: كامبرون.

لويس: إنه يحاول أن يتذكر كلمته المشهورة.

نابليون: لقد رقيته قبل معركة واترلو إلى رتبة عميد ومنحته لقب كونت، وجعلته واحدًا من السادة النبلاء. لقد كنت دائمًا كريمًا.

(السيدة فون سيمزن تدخل من الباب رقم ١ فى معطف الكاردينال الأحمر)

فون سيمزن: ملابسى التنكرية. ورثته من عائلتى. كان يرتديه رينهولد فون سيمزن.

(تخرج من الباب رقم ٧)

نابليون: من قدامى النبلاء. السيدة فون سيمزن من آخر

سلالتها. وأنا أول سلالتى.

(يأتى فويتسك من الباب رقم ٥ مرتديًا بلوفرًا ومعه حقيبة)

فويتسك: الحلاقة يا سيادة الجنرال. حسب أوامر فوشيه.

نابليون: أنا أريد الذهاب للفراش يا فويتسك.

فويتسك: الصباح معتم. الطقس بارد. لحسن الحظ أننى أرتدى بلوفرًا شتويًا. إن الشتاء قادم.

(يلف فوطة الحلاقة حول رقبة نابليون)

(يتقدم بوشنر إلى الأمام ويلقن بصوت منخفض)

فويتسك: والماسونيون.

نابليون: مهلا فويتسك، مهلا.

فويتسك: هذا ما كان النقيب ...

نابليون: هذا ما كان يردده النقيب. هذا ما يعلمه كل إنسان. كل إنسان يعلم ذلك.

(فويتسك يقلب رغاوى الصابون)

فويتـــــــسك: حيوانات الإسفنج يا سيادة الجنرال فيها السر. هل رأيت الأشكال التى يتخذها هذا الإسفنج عندما ينمو على الأرض؟ من يستطيع أن يكتشف سرها!

(يتلعثم)

فويتـــــــسك: هنا شخص يراقبنا.

(ينظر فى صالة الجمهور)

نـــــــابليون: فعلاً.

(يأتي بلون بلون من الباب رقم ١ بالسرير الخالى)

لــــــــويس: وماذا الآن؟

بلـــون بلـــون: إن اليوم يوم الافتتاح فى أخترلو.

لــــــــويس: هدئ من نفسك يا عمى العزيز.

نـــــــابليون: إننى هادئ ولكن هؤلاء الذين بأسفل ليسوا هادئين وأيضا الذين بأعلى.

(يشير إلى الشرفة العليا.)

نـــــــابليون: إنهم سيشاهدون مسرحية لنسخة نادرة جمعها من

يعتبر نفسه جيورج بوشنر. ومن لا يساوره الشك في ذلك، مع أننا سنسرع بتمثيلها، ليس بدافع الطموح المهنى، وفيما يتعلق بالواقع فلا يوجد علىّ المسرح واقع آخر عن ذلك الذى نقوم بتمثيله.

(فويتسك يضع الصابون علىّ ذقنه)

نـــــــابليون: ولكن ماذا عن واقعكم، أنتم الذين بأسفل والذين بأعلى؟ عندما تصل كلماتى إليكم سيكون قد تأخر كل شىء، فرنين الصوت يحتاج وقتًا معينًا حتى يصل إليكم حتى ولو كان واحدًا على ألف من الثانية، إنه يتسلل إليكم من الماضى، ولكنه يكون قد تغير مكاننا فى هذا الواحد من الثانية، وتكون الأرض دارت ثلاثمائة متر حول الشمس. وتكون الشمس فى تلك الأثناء قد اندفعت نحو هرقل[١] بمقدار مائتى متر، وفى نفس الوقت تدور درب اللبانة كيلومترين فى اتجاه البجعة[٢]، وأيضا درب

---

(١) مجموعة من ألمع النجوم التى تكون شكلاً صليبيًا وتسمى الصليب الشمالى.

(٢) جزء من سديم انبعاثى أكبر ذى شكل مميز، يشتهر باسم سديم البجع ويمتد هذا النتوء على نحو ١٠ سنوات ضوئية وهو يتبع منحنى رأس ورقبة البجع.

اللبانة[1] ينطلق سبعمائة وخمسين مترا فى مواجهة مجرة الأندروميدا[2]. نحن نتحدث عن الواقع ولا نعلم الأزمنة والأماكن التى نتحرك فيها. إن واقع المسرح الذى نمثله هو غير حقيقى مثل ذلك الواقع الذى تعيشونه كزوار يملؤهم الفضول فى أخترلو. كلاهما ماضٍ إدراكه يوقعنا فى هوة المنتهى.

فويتـــــــسك: تم وضع الصابون، يا سيادة الجنرال.

(لويس يخطو لمقدمة المسرح)

لـــــــــويس: سيداتى وسادتى، الزملاء المحترمون، أعزائى المرضى، أصدقائى الأعزاء. أنا الوحيد الطبيب. زيجموند فرويد خياط سيدات، الذى يمنعنى واجبى كطبيب للتكتم على الأسرار من ذكر اسمه. وليس لشيء آخر سيئ. أيها السيدات والسادة.

(بلون بلون يذهب من الباب رقم ١ ويغلق الباب محدثا ضجيج عاليًا)

---

(١) أو درب التبانة أو الطريق اللبنى هى مجرة حلزونية الشكل عمرها ١٣,٢ مليار سنة.

(٢) مجرة المرأة المسلسلة هى أقرب المجرات لمجرتنا (أى أقرب مجرة كبيرة).

لـــــــويس: عملنا على توفير الأمان لكم. وفى حالة الضرورة ننصح باستخدام مخارج الطوارئ.

فويتـــــــسك: الحلاقة يا سيدى الجنرال.

نــــــابليون: لقد كانت رقبة النقيب يا فويتسك، رقبة النقيب ورقبة الرائد عازف الطبول تحت يدك، وفيها الشفرة، وكلاهما كان على علاقة مشينة بمارى. كلاهما. هل ذبحتهما؟ وعندما أقول أنت فإننى فأنت من أعنيه، أنت .

فويتـــــــسك: سأحلق ذقنك يا سيدى الجنرال.

(يحلق)

نــــــابليون: أنت قطعت رقبة مارى بالشفرة يا فويتسك، رقبة مارى.

فويتـــــــسك: ليس بشفرتى يا سيدى الجنرال.

نــــــابليون: بشفرة اشتريتها من يهودى.

فويتـــــــسك: إن شفرتى شىء مقدس بالنسبة لى.

نــــــابليون: لا تمزح. استمر فى الحلاقة.

فويتـــــــسك: سمعًا وطاعة يا سيادة الجنرال.

(يحلق).

نـــــــابليون: ليس هناك أى شىء مقدس بالنسبة لك يا فويتسك، أى شىء. فأول ما عفوت عنك وأصدرت قرارًا بتعيينك جلادًا، منذ عشرين سنة قطعت رقبة رئيس الحزب بشفرة الحلاقة. بشفرتك. هل هذا شىء مقدس؟

فويتـــــــسك: أنا أحلق لك ذقنك أيضا بشفرتى يا سيادة الجنرال.

نـــــــابليون: ومنذ ذلك الوقت قطعت رقاب خمسة رؤساء. رؤساء الحزب يا فويتسك خمس مرات، وهذا يعنى أنك قطعت رقبة خمسة رؤساء تتابعوا على رئاسة الحزب، وهذا شىء هائل يا فويتسك.

فويتـــــــسك: بأوامر من سكرتير عام الحزب. وهو أعلىّ فى المرتبة من رئيس الحزب. هذا غريب يا سيادة الجنرال.

نـــــــابليون: والآن جوزيف فوشيه هو السكرتير العام.

فويتسك: وأنت سكرتير الحزب، يا سيادة الجنرال.

(يحلق، ويغنى أثناء ذلك)

فويتسك: هذا الذى يقطع الرقاب، هذا الذى اسمه الموت. سرعان ما يسن الشفرة ...

(كامبرون يمشى صامتا على خشبة المسرح من اليمين لليسار، باحثا عن كلمته)

(يخرج)

نابليون: فويتسك، أنت إنسان طيب. لكنك عديم الأخلاق.

فويتسك: أمثالنا ليسوا فى الحزب يا سيدى الجنرال.

(يحلق)

نابليون: هل رأيت المجلة الجديدة لنقابة العمال الحرة، يا فويتسك؟

فويتسك: أمثالنا لا يشاهدون أبدًا مثل هذه المجلات، يا سيدى الجنرال. أمثالنا فقدوا رجولتهم.

نابليون: جين امرأة جميلة، يا فويتسك.

فويتـــــــــسك: ربما تكون ابنتى يا سيدى الجنرال، وربما تكون ابنة الرائد عازف الطبول، أو ابنة النقيب يا سيدى الجنرال. إن أمها مارى كانت فاجرة، ولكن جين قديسة. لأنها ابنة الشعب. يمكنها أن تتصور عارية وستظل قديسة. يمكنها أن تمارس الفاحشة مع رجال الحزب والدبلوماسيين وستظل قديسة. أمثالنا فقط يمكن أن يقع فى الخطيئة. أعتقد لو أننا دخلنا الجنة فسيكون علينا أن نساعد فى قصف الرعد.

(يحلق)

فويتـــــــــسك: لقد وصل روبسبيير.

(يأتى من الباب رقم ٥ مخنث يرتدى حلـــة رسمية وقبعة ووشاح علم فرنسا)

روبـــــسبيير: هل تعرف أين الرفقاء؟ أين توقفوا؟

(يضحك)

روبـــــسبيير: لقد وصلت. أنا ماكسميليان مارى إيزيدور دى روبسبيير. ولدت فى السادس من مايو عام ١٧٥٨ فى أرأس، وتم إعدامى بالمقصلة فى الثامن

والعشرين من يوليو عام ١٧٩٤ في قصر الكونكورد في باريس.

(يرجع للخلف وهو يغني : "هل تعرف أين القبور"[١] ويخرج من الباب رقم ٥)

فويتـــــــــسك: هل أضع لك لوسيونا بعد الحلاقة يا سيدى الجنرال؟

نــــــــابليون: هل كان عند فوشيه؟

فويتـــــــــسك: كان عند جين يا سيدى الجنرال. في فراشها.

نــــــــابليون: كيف أخبروك أنت ولم يخبرونى أنا؟

فويتـــــــــسك: لقد علمت الآن يا سيدى الجنرال.

نــــــــابليون: منك أنت، وليس عن طريق جهاز مخابراتى. أعطنى لوسيون دانهيل.

(يمسح على رقبته باللون)

نــــــــابليون: هل أمرك فوشيه يا فويتسك أن ... ؟

فويتـــــــــسك: نـــعـــم يا سيدى الجنرال.

---

(١) كلمات أغنية للفنانة الألمانية مارلين ديتريش.

نـــــــابليون: أن تقطع رقبتى؟

فويتـــــــــسك: نــعــم يا سيدى الجنرال

(يدلك ذقن نابليون باللون)

نـــــــابليون: لماذا لم تفعل ذلك؟

فويتـــــــــسك: لو لم تكن وطنيًا لكنت. لكنت، يا سيادة الجنرال، كنت فعلتها. ولكنك وطنى. سيادة الجنرال.

فويتـــــــــسك: هل أنت متأكد؟

فويتـــــــــسك: لقد قالت جين ذلك لى.

نـــــــابليون: حسنًا

(يتناول مقصًا صغيرًا)

فويتـــــــــسك: قص شعر فتحتى الأنف.

(ينظف فتحتى الأنف)

فويتـــــــــسك: عندما أقص الشعر فى فتحتى أنفك أتخيل أعشاش الطيور.

(يرجع إلى الوراء).

فويتســــــسك: انتهيت يا سيدى الجنرال.

(يفتح أكمام قميص السجن)

نــــــابليون: أذهب الآن إلى فوشيه.

(يفزع فويتسك)

فويتســــــسك: أذهب إلى السكرتير الأول للحزب، يا سيادة الجنرال؟

نــــــابليون: أنت تفكر أكثر من اللازم، وهذا يضنيك، فأنت دائمًا كمن يلهث من فرط المطاردة.

(فويتسك فى يأس)

فويتســــــسك: لقد أتيت لتوى من عند فوشيه يا سيدى الجنرال.

(يحزم أدوات الحلاقة)

نــــــابليون: لا يهم يا فويتسك، احلق له ذقنه.

فويتســــــسك: لقد حلق هو ذقنه يا سيدى الجنرال بماكينة الحلاقة الكهربية.

نــــــابليون: ولكن ليس بالدقة الكافية، ليس بالإتقان الواجب، ليست هى الحلاقة الأبدية يا فويتسك.

فويتسك: أنا لا أعرف، يا سيادة الجنرال.

نابليون: إن فوشيه ليس وطنيًا.

فويتسك: سمعًا وطاعة يا سيادة الجنرال.

نابليون: اذهب الآن يا فويتسك للحلاقة وامش فى الشارع ببطء وهدوء.

فويتسك: يا له من نور وهاج. نور كالنار يغطى المدينة كلها. نار تحيط بالسماء. وصخب كنفير الأبواق.

(يخرج من الباب رقم ٥)

(يدخل فى نفس اللحظة من الباب رقم ٥ مخنث فى شخصية فوشيه، وحول رأسه فوطة بها دم. يغنى)

فوشيه: هل تعلم أين المقابر؟ أين مكانها؟

(يضحك. يجلس على حجر نابليون)

فوشيه: أنا جوزيف فوشيه، ولدت عام ١٧٥٩ وتوفيت عام ١٨٢٠ ، ووافقت على إعدام لودفيج السادس عشر وتحولت من اليعقوبيين إلى أتباعهم، ثم أصبحت

وزير البوليس أثناء حكم نابليون ولودفيج الثامن عشر، وذلك للاستفادة من مواهبى، الذكاء الخارق والفكر الماكر ومعرفتى الفائقة بالناس والأحزاب. وكذلك أنا ذبحنى فويتسك بالشفرة فى الثانى عشر من ديسمبر عام ١٩٨١.

(يرجع إلى الخلف ويخرج من الباب ذى الأجنحة رقم ٥ وهو يغنى "هل تعرف أين القبور")

نـــــــابليون: يا بلون بلون.

(يأتى بلون بلون من الباب رقم ١)

بلـــون بلـــون: ماذا تريد، يا عمى العزيز؟

نـــــــابليون: أنا جوعان. لقد تملكنى الرعب. سأنام لاحقًا.

بلـــون بلـــون: كما تريد يا عمى العزيز.

(يخرج من الباب رقم ١)

لـــــــويس: ابدأ دورك يا بوشنر.

بوشـــــــنر: آه.

(يبحث فى الأوراق)

يوشـــــنر: النص. لا أجد النص الخاص بى.

لـــــويس: ليست هناك مشكلة. قل أى شىء.

يوشـــــنر: وجدته.

(يلعب دور فرانكلين)

نـــــابليون: أهلا، يا فرانكلين. أنت تأتى على غير موعد.

(فرانكين يحدق ببصره فى نابليون وهو فى حالة ذهول)

نـــــابليون: ماذا بك؟

فـــــرانكلين: أنا - أنا.

(يتلعثم).

فـــــراتكلين: أنا فى ذهول تام. أين نصك؟

(يناوله حزمة أوراق)

نـــــابليون: شكرا.

(يرمى الأوراق فى الركن)

فـــــــرانكلين: أنا أتيت لأشاهد جثتك.

نـــــــابليون: من الذى أراد أن يضحك عليك بهذا الكذب؟

فـــــــرانكلين: هدئ من روعك.

فـــــــرانكلين: آه، معذرة.

(يقف فى مقدمة المسرح)

فـــــــرانكلين: إننى لم أقدم نفسى فى دورى الجديد. أنا بنجامين فرانكلين، ولدت فى السابع عشر من يناير عام ١٧٠٦، ابن لصانع صابون. عملت أديبًا وباحثًا فى الطبيعة وسياسيًا وكنت سفير أمريكا فى باريس فى بلاط لودفيج السادس عشر[١] فى الفترة من ١٧٧٦ حتى ١٧٨٥. بالإضافة إلى مانعة الصواعق التى اخترعتها فإن أمثالى تخلد ذكراى وهى: إن ذبلت الوردة تبقى محتفظة برائحتها، وإن خرج السر بره اثنين ما يبقاش سر، والوقت من ذهب[٢]، ويد بمفردها ...

---

(١) ملك فرنسى أعدم على المقصلة عام ١٧٩٣ بعد سنوات قليلة من الثورة التى قامت عام ١٧٨٩.

(٢) من الأمثال الشعبية وقد نقلت إلى مقابلها باللغة العربية.

(بلون بلون يأتى من الباب رقم ١ ويصفق بيديه)

(جميع الأبواب ذات الأجنحة تنفتح بضربة واحدة. ويقف فى كل باب مجنون فى حال رثة ومعه صينية مليئة بالمشهيات صغيرة الحجم ومعها الخلال).

بلـــون بلـــون: طعام الإفطار يا عمى العزيز

فـــــــرانكلين: الجوال الفارغ لا يقف معتدلاً. توفيت فى السابع عشر من أبريل عام ١٧٩٠.

نـــــــابليون: هل تأكل معى يا بنجامين؟

فـــــــرانكلين: بكل سرور يا نابليون فالإفطار جيد.

نـــــــابليون: دعك من الأمثال أرجوك يا بنجامين.

فـــــــرانكلين: ولكنى كنت أريد حالا أن أبتدع مثلا.

نـــــــابليون: على الرغم من ذلك لا تقل شيئا.

فـــــــرانكلين: حسنا.

نـــــــابليون: ما الحيلة اللئيمة التى يدبرها رئيسك من جديد؟

فـــــــرانكلين: ينبغى ألا تستهين بالقدرة السياسية لرئيسنا.

نـــــــابليون: لنتناول الطعام.

(يذهب للخلف ويأخذ صينية، ولكنه لا يستطيع تناول الطعام بسبب الأكمام الطويله لقميص السجن. يتقدم بالصينية للأمام)

فـــــــرانكلين: إنهم فى الناحية الأخرى من المحيط فى قلق شديد. لو لم نكن فى قلق شديد على بلدكم، لاحتلت منذ وقت طويل.

نـــــــابليون: إن خوفى من هذا الخطر أقل من خوفى من أعصابكم المتوترة. إننى أخاف من المواجهة بين المرضى المصابين بتصلب الشرايين، والمرضى المصابين بالهستيريا.

فـــــــرانكلين: إن ما يهم رئيسنا موضوع الحرية.

نـــــــابليون: التى لا نستطيع أن نحققها لأنفسنا.

فـــــــرانكلين: إذا ما ناضلتم من أجلها.

نـــــــابليون: ماذا يقصد الرئيس بهذا؟

فـــــــرانكلين: أن تثور كرجل.

نـــــــابليون: وماذا بعد؟

فـــــــرانكلين: لقد عرض رئيسنا على فوشيه مساعدة عسكرية.

نـــــــابليون: إن فوشيه تحالف مع هوس.

فـــــــرانكلين: عند عذراء أورليانز.

نـــــــابليون: هذه الوضيعة تجعل كل من ينام معها يعترف ويتوب.

فـــــــرانكلين: أنا سعيد بمشاركتك.

نـــــــابليون: إن الانتحار شأن شخصي، وليس من شأن الشعب.

فـــــــرانكلين: ما معنى هذا؟

فـــــــرانكلين: لقد أمرت فويتسك أن يحلق لفوشيه.

فـــــــرانكلين: هل نحيت قرار رئيسنا؟

نـــــــابليون: ولهذا يمكنك أن تعاين جثة فوشيه.

فـــــــرانكلين: لقد أخبرته بأنك لم تعد على قيد الحياة.

نـــــــابليون: إنكم تعجلتم.

(يدخل هوس من الباب رقم ٥ يرتدى بلوفرًا ويجرى إلى الأمام)

هـــــــــوس: لدى بلوفر.

بوشـــــــــنر: يا فويتسك. أنت لن تظهر بعد الآن.

هـــــــــوس: أن لن أمثل الآن دور فويتسك. أنا سأمثل يان هوس. وأنت ذكرت اسمى توًا، والمفترض أن أظهر. جين دارك وروبسبيير وفوشية ظهروا وفى شكل مخيف أيضًا.

بوشـــــــــنر: سيمثل دور هوس كبير مفتشى الضرائب هاسلر.

بلـــون بلـــون: ولكن دور يوديت...

(يعطى إشارة)

نـــــــابليون: عن ماذا كان يبحث فى زنزانة يوديت المطاطية؟

بوشـــــــــنر: إن كبير مفتشى الضرائب هاسلر كان الشخص الأمثل لهذا الدور.

(يتقدم إلى الأمام)

هــــــــوس: أهالى البلدة الأعزاء – حسنًا، هذا بالتأكيد صحيح – الجمهور العزيز، أنا بالطبع لست يان هوس الذى ولد فى عام ١٣٦٩ فى هوسينيتس والحاصل على درجة الماجستير فى الفنون الحرة ورئيس جامعة براغ، وواعظ دينى فى كنيسة بيت لحم بها، بل إننى أقوم فقط بتمثيل دور يان هوس، ولكننى فى أخترلو قسيس، أو قسيس فى أخترلو، على أننى لا أجرؤ على أن أقرر أى الخيارين يناسبنى. وعندما أتوجه إليكم بشخصى أيها المتفرجون الكرام فهذا ليس لهجومى على المؤلف الوحيد لهذا النص كما سمّاه الممثل المحترم لشخصية نابليون والذى لحسن حظى أرفع من روحه بوعظى بعد محاولاته الفاشلة للانتحار، ولكن لكى أحتج، والمؤلف الذى يعتبر نفسه يان هوس ليس فقط المؤلف الوحيد. إنه هاو. إنه غير قادر على تقريب شخصية يان هوس كما ينبغى، وأنا أشك أن كبير مفتشى الضرائب هاسلر كان يمكن أن يغير من قدراته الروحية كواعظ. بالتأكيد سيكون أقدر منى على الحديث، وإن صوته كان يحطم مديونيي

الضرائب. وليس من الغريب أن ترى يوديت فيه هولوفرنس. ولكن بالنسبة لدور هوس ليس مهم، أنا أو هو لأن كلينا قزم. لقد كان هوس واعظًا قويًا يبلغ كلام اللــه بالنسبة كنيسة بيت لحم الصغيرة فى براغ بينما أنا، وقبل أن أعين أو ربما فقط أبقى احتياطيا فى أخترلو، أمارس عملى كواعظ فى كنيسة المعتزلة الصغيرة على ناصية شارع إيجينموزر وحارة بفتسنرو يجلس القرفصاء حولى عشر سيدات على الأكثر، واللاتى كن يأتين فقط لأنه كان يمكنهن أن يغزلن أثناء الوعظ. يغزلن بلوفرات.

(يجذب من خلف بوابة المسرح جهة اليمين حقيبة صغيرة إلى الأمام)

هـــــــوس: مجموعة كاملة. تليتها هدية. قطعة رائعة الجمال.

(يفتح الحقيبة الصغيرة، ويعرض بولوفر.)

هـــــــوس: وكنت أنا عندما يغفلن أعزف على الناى بدلاً من أن أشغل العزف الآلى للأورج.

(يخرج ناى ويجلس على الحقيبة الصغيرة)

هـــــــوس: سأعزف باخ. مقطوعة للناى عزف منفرد. من الأفضل أن أعزف السربندة.

(يعزف الناى)

هـــــــوس: للأسف لم أنجح فى ضم اثنين من كمساريى الترام المتقدمين فى السن إلىّ، ولقد شوش شخيرهما على عزفى للناى بدرجة أيقظت السيدات. ووضعانى أمام اختيار: إما هم أو الاثنان. ولكن هذه الخلافات كانت تحدث أيضًا بين المسيحيين الأوائل.

(يعزف الناى، ينهض)

هـــــــوس: شخصية فويتسك دور أدبى ثانوى والمؤلف الوحيد لم يكن ليفكر فى هوس دون أن يرغب فى كتابة دور سياسى مناظر لهذا الدور الأدبى. والآن يجب علىّ أن أمثل الدورين المتداخلين بدرجة متساوية.

(ينادى)

هـــــــوس: يا فويتسك!

(ينتظر)

هـــــــوس: يا فويتسك!

نـــــــابليون: ماذا؟

هـــــــوس: أنا لا أعرف كيف أفك تداخل أدوارى؟ المفترض أن يأتى فويتسك.

(ينادى)

هـــــــوس: يا فويتسك!

نـــــــابليون: لا يمكنك أن تقف كشخصين على المسرح.

هـــــــوس: ولكن المشهد مؤثر للغاية.

نـــــــابليون: بلون بلون!

(بلون بلون يأتى)

بلـــون بلـــون: عمى العزيز.

نـــــــابليون: مثل دور فويتسك! بسرعة!

(بوشنر يعطى بلون بلون النص)

بلـــون بلـــون: هل تريد أن تحلق أيها القس؟

هـــــــــوس: اركع على ركبتيك يا فويتسك!

بلـــون بلـــون: سمعا وطاعة سيدى القس.

(يركع على ركبتيه)

بلـــون بلـــون: أنا يوهان كريستيان فويتسك، ولدت فى الثالث من يناير عام ١٧٨٠ فى ليبتسيج وأعدمت فى نفس المكان فى فى السابع والعشرين من أغسطس عام ١٨٢٤.

هـــــــــوس: ماذا غنيت الساعة الحادية عشرة قبل الظهر على سقالة الإعدام فى ليبتسيج، قبل أن يرفع القاضى رقبتك بمنتهى البراعة بحيث، أحطت على السيف العريض حتى أعمل القاضى السيف وسقط الرأس؟ وعندما أقول أنت، فإننى أقصدك أنت، أنت.

(بلون بلون يغنى، بينما يعزف هوس على الناى)

فويتـــــــــسك: اغفر لى يا أبى خطاياى.

اغفر لى ما لم أفعله صحيحًا

اقبلنى فيمن عفوت عنهم

من أجل رسولك

أدعوك باسمه

هو عانى ومات من أجلى .

هـــــــــوس: بينما كنت أنا فى السادس من يوليو عام ١٤١٥ أغنى عند الإعدام حرقا فى كونستانس: "يا يسوع يا ابن الإله الحى، ارحمنى[١] ". وعندما أقول أنا، فإننى أقصدنى أنا، أنا، هوس. يمكنك الذهاب للحلاقة من جديد، يا فويتسك.

بلـــون بلـــون: كل إنسان هوة عميقة يصاب بالدوار كل من يطل عليها

(بلون بلون يصرف المهملين وتظل الأبواب ذات الأجنحة مفتوحة)

هـــــــــوس: أنا بالتأكيد لست إلا متشردًا، قسًا حرًا، تحرر برغبته من أى ارتباط مع الدولة، من ذلك التحالف

---

(١) انظر الإنجيل، الإصحاح الثامن عشر (النعمة).

المشئوم الذى أفسد الكنيسة فى وقت مبكر جدًا.

(يصرخ)

هــــــــوس: من فى هذه البلاد يعتبر نفسه ليس مسيحيًا تمامًا.

(يصمت)

هــــــــوس: إننى أفضل أن أعزف الناى.

(يعزف الناى)

هــــــــوس: المسيح أيضا ما كان إلا متجولاً.

(يعزف الناى، يتوقف فجأة)

هــــــــوس: وعلى الرغم من ذلك. إن اختيارى للقيام بهذا الدور خطأ فإن دور البطل يناسبنى أكثر عندما أحرك الأزمة العالمية التى يشير إليها بالحدث السابق. أعوذ باللـــه، أننا أيها الجمهور المحترم، كلنا نقوم بأدوار خاطئة. وللأسف لم يعد يوجد أيضًا فى أخترلو فنانون مسرحيون ، ويا لها من فرصة لو كان هوس بوشنر الحقيقى، لكنهما دوران متداخلان، دور تاريخى ودور الوقت الحاضر. فإذا

كان هوس التاريخى يريد أن تنشأ كنيسة عظمى بطريقة ديمقراطية من دون أن يشكك فى مبرراتها الميتافيزيقية، كان هدف هوس اليوم إنشاء حزب قوى ذى سلطة عظمى بطريقة ديمقراطية دون أن يمس المبررات الميتافيزيقة لسلطته. هذا وذاك يحاول تحقيق شيء مستحيل، كلاهما متعاظم مثير للسخرية، متعاظم ومثير للسخرية مثل دون كيشوت. وهذه الشخصية القوية المؤثرة فى التاريخ العالمى مثلى ينبغى عليه أن يقوم بدور ثانوى.

(يخرج جهة اليسار وهو يعزف الناى، يتبعه بلون بلون)

نـــــابليون: هل كان هذا النص الذى كتبته؟

بوشـــــنر: هذا النص ألفه هو.

نـــــابليون: هل تسمح بهذا؟

بوشـــــنر: أنت أيضًا لا تستخدم النص الذى كتبته.

نـــــابليون: أنا ألعب دور البطولة. وبالمناسبة أنت لم تكتب أى نص لى حتى الآن.

بوشـــــــــنر: أنا ما زلت فى مونولوج البداية الخاص بك.

نـــــــابليون: إنك فى دور جيورج بوشنر بطىء جدًا.

بوشـــــــــنر: أنا لست بالفعل جيورج بوشنر، أنا وريث سلالة خنازير رضيعة.

نـــــــابليون: يا إلهى، هل فقدت جنونك؟

بوشـــــــــنر: عندما أريد أن أقول شعرًا فإننى أكون جيورج بوشنر، وعندما أشعر فإننى أعرف الحقيقة الفظيعة.

نـــــــابليون: لا بد أن هذا يعتبر جهنم بالنسبة لك.

بوشـــــــــنر: إن قول الشعر ليس شيئا مسليا.

نـــــــابليون: هل نواصل التمثيل؟

بوشـــــــــنر: لنواصل التمثيل.

نـــــــابليون: فى أمريكا فى الجهة الأخرى ليل دامس.

فـــــــرانكلين: الساعة هناك الواحدة والنصف.

نـــــــابليون: إن الصحف الصباحية والتليفزيون ستعلن سقوطى، وكذلك العرض الذى قدمه رئيسكم إلى فوشيه.

نـــــــابليون: أريد هذا اليوم بالذات أن أتناول الإفطار فى هدوء.

فـــــــرانكلين: سيتقدم بعرضه إليك أيضًا.

فـــــــرانكلين: إننى لا أفهم سبب هذا الغضب يا نابليون إنك تتلقى ورقة رابحة جدًا عن طريق العرض الذى يقدمه لك الرئيس.

نـــــــابليون: الورقة الرابحة الضخمة ليست من نصيبى، وإنما من نصيب شخص آخر، لأننا سنحتل فى اليوم التالى لإعلان الرئيس لهذا العرض، فليس هناك محيط يفصل بيننا وبين جاراتنا.

فـــــــرانكلين: يا للمصيبة يا نابليون.

نـــــــابليون: إننى أفهم لماذا جعلتك جين تعتقد أن فوشيه تخلص منى. إن القديسة تريد حربًا.

فـــــــرانكلين: سأتصل بوزير خارجيتنا. لقد أساءوا فهم نيَّات الرئيس.

(يدخل من البابين رقم ٥ و٧ من جهة اليمين موللر الأول وموللر الثانى فى الرداء الرسمى للبابا)

موللر الأول: أنا أنجلو كورر، البابا جريجور الثانى عشر.

موللر الثانى: أنا بيتر دى لونا، البابا بنديكت الثالث عشر.

موللر الأول: نحن اثنان من الثلاثة بابوات.

موللر الثانى: الذين كانوا فى مناصبهم ، عندما كان هوس ينشر علومه فى الهرطقة.

الاثنان: كنا معا فى نفس الوقت.

موللر الأول: نحكم المسيحيين.

نابليون: تم حذف النص.

موللر الأول: حذف؟

موللر الثانى: حذف؟

نابليون: حذف.

بوشنر: حذف.

(بوشنر وقد جلس مرة أخرى على المكتب، يشطب على الأوراق. بينما ينصرف موللر الأول والثانى من الباب ٥ و٧، يأتى من الباب رقم ٩ كامبرون، يرتدى زيًا وكأنه قرصان من العصر الوسيط بساق خشبية وعين واحدة ورباط أسود على العين، ولكنه يرتدى أيضًا قلنسوة ويمسك بعصا البابوية. يقوم لويس وبلون بلون بفك ملابسه وسحبه إلى الخارج بينما يقوم بمراقبة المشهد موللر الثانى من خلال الباب رقم ٨ وموللر الأول من الباب رقم ١ أولا ثم من الباب رقم ٤ ثم ٣ ثم ٢)

كـــــامبرون: أنا البابا الثالث. بلداسار كوسا، يوحنا الثالث والعشرون. فى عام ١٩١١ طردت هوس من الكنيسة، وفى الخامس من نوفمبر ١٤١٤ افتتحت المجلس الكنسى فى كونستانس، وفى التاسع والعشرين من مايو تم عزلى من منصب البابوية وسجنى فى جوتليبين فى قصر بقرية أفضل وسيلة لوصولك إليها بالمواصلات العامة، ميعاد المغادرة من كونستانس الساعة التاسعة والربع وميعاد الوصول التاسعة وخمس وثلاثون دقيقة. كنت فى شبابى جنديًا وقرصانًا بحريًا، وموسوعة الحقائق لعلم اللاهوت البروتستانتى تصفنى بأننى قوة طبيعية فاسدة، ماكر وجرىء ويستطيع فعل أى

جريمة، وهى صفة يقال إنها مكنتنى من قتل البابا الذى سبقنى الإسكندر الخامس[١] بالسم. وبعفو البابا مارتن الخامس[٢] عنى مت فى فلورنس كأسقف كردلى توسكولوم عام ١٤١٩.

نـــــــــابليون: تم حذف النص.

كـــــــامبرون: حذف؟

(يتجه لويس وبلون بلون إلى كامبرون)

كـــــــامبرون: إن دور كامبرون ليست له أهمية تذكر، أما دور يوحنا الثالث والعشرين فهو دور عظيم.

نـــــــــابليون: هذا الدور لا يليق مع نصك المضطرب. بدلاً منك ستقوم السيدة سيمزن بتمثيل الكنيسة فى دور الكاردينال ريشيليو.

---

(١) البابا الإسكندر الخامس: هو الأسكندر السادس، لأنه كان هناك بابا دخيل (زور) باسم إسكندر الخامس. قد تكللت السيمونيا، التى مارسها، بكل وقاحة الداهية بورجيا ليصل إلى السلطة العليا، بالنجاح.

(٢) البابا مارتن الخامس (ولد فى ١٣٦٩ وتوفى فى ٢٩ فبراير ١٤٣١ فى روما، هو بابا الانقلاب الكبير الذى اعترى الكنيسة سنة ١٣٧٨ و١٤١٧ عندما أصبح هناك باباوان أحدهما فى روما والآخر فى أفينون، ووضع حدًا له، فانتخب المجمع الكنسى، المنعقد فى كونستانس أول بابا باسم مارتن الخامس فى روما ورضيت به الكنيسة.

(يجر لويس وبلون بلون كامبرون بصفة نهائية إلى الخارج. يدفع بوشنر موللر الأول من الباب رقم ٢ وموللر الثانى من الباب رقم ٨ إلى الخارج. والآن الأبواب المفتوحة هى ١و ٦ وفقط ١١)

بوشـــنر: أنا أحتج. لقد كتبت بالفعل نص دور يوحنا الثالث والعشرين. هذا الدور لشخص بمثل هذه القوة الطبيعية يناسبنى. مثل دانتون، مثل أريتين. السيدة سيمزن فى دور ريشيليو؟ لا أقبل ذلك.

(يغلق بلون بلون بقية الأبواب ذات الأجنحة المفتوحة)

بلـون بلـون: الجمهور المحترم. لقد اندهشتم وأصابكم القلق عندما قدمنى رئيس المصحة البروفيسور هانس لوفل على أننى زيجموند فرويد.

نـــابليون: الآن يتكلم أيضًا خياط السيدات. لا أحد يستطيع أن يوقفه. سأذهب للفراش.

(نابليون يخلع الحذاء ويضع جسده على الفراش) (بلون بلون يسير لمقدمة المسرح)

بلـــون بلـــون: أنا مندهش لأن زيجموند فرويد، المولود في السادس من مايو عام ١٨٥٦ في فريدبرج بميرين، قد توفي بالفعل في الثالث والعشرين من سبتمبر عام ١٩٣٩ في لندن. وأنا مضطرب لأنه لا يوجد شخص يرضى بأن يعالجه طبيبان أحدهما وبالأحرى أنا، مريض نفسي، وهذا خطأ يؤكده ادعاء زميلي هانس لوفل بأنني في الحقيقة خياط سيدات. حسنا أيها السيدات والسادة. لوفل كلامه صحيح. أنا لست نفس زيجموند فرويد المولود في السادس من مايو ١٨٥٦في فريدبرج بميرين[١] والمتوفى في الثالث والعشرين من سبتمبر ١٩٣٩ في لندن. أنا صورة منه، اخترعت التحليل النفسي ونشرت كل ما نشره زيجيموند فرويد المولود في السادس من مايو عام ١٨٥٦ في فريدبرج بميرين والمولود في الثالث والعشربن من سبتمبر ١٩٣٩، الذى أصبح من أجله أستاذا في فيينا عام ١٩٠٢ ونال جائزة جوته عام ١٩٣٩، وأصبح عضوا

---

(١) ميرين: منطقة في محيط الغابات في الراين لاند بلاتينات في ألمانيا.

أجنبيًا للجمعية الملكية عام ١٩٣٦، لقد قلدنى وانتحل شخصيتى أنا زيجموند فرويد الذى ولد فى السادس من مايو ١٨٥٦ فى فريدبرج بميرين وتوفى فى الثالث والعشرين من سبتمبر فى لندن بمنتهى البساطة، غير أننى لا أريد أن أثقل عليكم بهذا التاريخ المعروف للعالم كله. إننى أريد فقط أن أسجل شكوكى فى طريقة العلاج هذه بتقمص الأدوار التى تتم فوق خشبة المسرح بناء على اقتراحات ليس آخرها اقتراح زميلى لوفل. هناك طريقان: طريقى وطريق لوفل، طريقى يؤدى إلى نور معرفة الذات، وطريقه يؤدى إلى ظلام العته العقلى. ينبغى على العقل أن يستفسر عن سبب كل اضطراب نفسى. لماذا وقع هانس لوفل فى الخطأ المعروف عنى "أن يعتبرنى خياط سيدات؟".

(يفتح معطف الأطباء)

بلــــون بلــــون: وليس السبب فى هذا أننى أرتدى ملابس خياط سيدات عبارة عن حرير خالص وأشرطة كروشيه، وإنما لأن السيد لوفل الطبيب يخلط بين حالتى العقل الباطن والوعى الخاصتين بى، لأننى

فى العقل الباطن خياط سيدات ومعروف عالميا باسم كوكو – ليس كوكو شانيل[1] التى هى شبيهتى– ولكن كوكو – الكوكو– ببساطة، سيدتى، سيرسل إليكم فى وقت لاحق كتالوج مجموعتى الجديدة من بيت أخترلو للموضة، وأنا أسألكم يا أسيادى كيف كان الأمر إذا ما تملكنى حقد الغيرة واكتشفت عقدة أوديب. كنت لست خياط السيدات فى العقل الباطن. حقد الغيرة؟ يا إلهى. أننى فى دور خياط سيدات شخصية متفردة وحيدة، وبالنسبة لعقدة أوديب فإننى ألبس السيدات فقط لكى يوقعوا أبى فى الإغراء، بحيث إننى أكرهه وكم سأحب أن أقتل كل سيدة البسها لأنهم قمن بخيانة أمى مع أبى عندما أوقعن به فى الإغراء، ولكن هذا النذل لا يقع فى الإغراء أبدًا. وعلاوة على ذلك فقد بلغ الثامنة والتسعين من العمر وأمى ماتت أثناء ولادتى. من الممكن أن أجن. إن عقل الباطن حالة تناسب زيجموند فرويد، ولا يعنى ذلك هو وإنما فرويد الحقيقى، الصورة الأخرى منه ولحسن

---

(١) بيت أزياء فرنسى ذو شهرة عالمية.

حظى أنا نفس الشخص. إذا لم أكن هذا الشخص أى ليس زيجموند فرويد وإنما خياط السيدات الذى يعتقد لوفل أننى هو، أيها الزوار. كانت ستنزل علىّ اللعنات، وأندفع مغادرًا المسرح وأتحول إلى مجرم يقف أمامكم ويطبق علىّ أفضل أول زمارة رقبة. وعند هذه الواقعة، هذا الخلط بين وعى الظاهر ووعى الباطن لا بد أن أسألكم: هل لهانس لوفل، وعى باطن أساسا أو بطريقة أخرى، أليس هو فى العقل الباطن أيضا هانس لوفل ويكون بذلك ذا شخصية عادية كريهة تستبعد تمامًا الجنون الخلاق الذى هو أساس كل قدرة نفسية.

(يصرخ)

بلـــــــــون: البروفيسور هانس لوفل سيجلس على أريكتى. ولن يشفى إلا بتحليل نفسى جذرى.

(يدخل لويس من الباب رقم ٨)

بلـــون بلـــون: لا تندهشوا. يمكن أن تبقى مخارج الطوارئ مغلقة وعلى كل حال هى مغلقة بالترباس من الخارج. ولن يكون هناك فزع عند اشتعال حريق.

(يخرج من الباب ١)

(تدخل السيدة سيمزن فى شخصية ريشيليو وترتدى معطف التتويج وإكليل الغار من الباب رقم ٥)

ريـــــــشيليو: قودونى إلى نابليون.

(صمت)

ريـــــــشيليو: ألم تسمع يا لوفل؟

لـــــــويس: ماذا تريد يا صاحب العظمة؟

ريـــــــشيليو: قودونى إلى الجنرال نابليون.

لـــــــويس: أنا أمثل الآن شخصية لويس بونابرت، ابن اشقيق نابليون ولاحقًا الإمبراطور نابليون الثالث.

ريـــــــشيليو: أمر ليس ذا أهمية.

(ريشيليو يعطى لويس معطف التتويج وإكليل الغار الذهبى، ويقاد بواسطة لويس إلى الأمام)

ريـــــــشيليو: من هذا؟

لـــــــويس: إنه جيورج بوشنر الذى يكتب المسرحية التى تمثل

فيها دور الكاردينال ريشيليو، يا صاحب العظمة.

ريـــــــشيليو: أنا لا أمثل فيها دور الكاردينال ريشيليو. فأنا الكاردينال ريشيليو.

بوشـــــــنر: أنا سألقنك النص الخاص بك الذى قمت بكتابته.

ريـــــــشيليو: أنت من العامة ومنكر لوجود اللــــه وفى هذا تناقض. معظم العامة يؤمنون باللـــه.

بوشـــــــنر: ألا تؤمن باللـــه يا صاحب العظمة؟

ريـــــــشيليو: أنا لست فى حاجة أن أؤمن باللـــه. فأنا إله. أنا لست فى حاجة لنصك الذى يبعث على السخرية.

(يظل واقفا أمام نابليون)

ريـــــــشيليو: هل ما زال نائمًا؟

لـــــــويس: إن عمى يمارس مهام الحكم طوال الليل.

ريـــــــشيليو: أنا أصلى لنفسى طوال الليل.

(نابليون يستيقظ)

نـــــــابليون: السيدة سيمزن.

ريـــــــشيليو: لتلعب دور نابليون. هيا اقفز من الفراش بسرعة.

(ينزل نابليون من الفراش ويلبس فردة الحذاء اليسرى)

ريـــــــشيليو: ما هذه الهيئة التى تبدو عليها؟ أنا أرتدى الرداء الرسمى. أرتدى معطف التتويج. هذا أيضا من أملاك العائلة. كان يرتديه تاسيلو فون سيمزن. وضع إكليل الغار.

(لويس يساعد نابليون فى ارتداء معطف التتويج ويناوله إكليل الغار)

نـــــــابليون: مضبوط؟

(ريشيليو يتفحص ويعدل إكليل الغار)

ريـــــــشيليو: والآن يا لوفل، اختف.

(يخرج لويس)

ريـــــــشيليو: هل يمكن أن نبدأ؟

نـــــــابليون: يمكن.

ريـــــــشيليو: أيها الجنرال نابليون.

(يعرج نابليون فى معطف التتويج وفردة الحذاء اليمنى فى يده ناحية مقدمة المسرح)

نـــــابليون: أرماند جان دى بليسى الدوق ريشيليو. ولد فى التاسع من سبتمبر عام ١٥٨٥، وتمت ترقيته إلى منصب الكاردينال عام ١٦٢٢، وتوفى فى الرابع من ديسمبر عام ١٦٤٢.

ريـــــشيليو: كفى سخفًا يا بونابرت. فأنا مخلد. ليست للتواريخ أهمية هنا.

نـــــابليون: إنك تبدو شاحبا.

ريـــــشيليو: أصبت مرة أخرى بالحمى. أنت تبدو فى حالة جيدة تماما.

نـــــابليون: إن أعصابي متعبة بعض الشيء. لقد توليت منذ شهرين رئاسة الحزب والدولة، وهذه أول مرة تزورنى فيها.

(كامبرون يركع فجأة خلف ريشيليو)

كـــــامبرون: سمعًا وطاعة. سمعًا وطاعة.

(لويس يقوده إلى الخارج من الباب رقم ٨)

ريـــــــشيليو: ألم يكن هذا كامبرون؟

نـــــــابليون: لقد كان هو.

ريـــــــشيليو: ولكنه يقول "مصيبة قذرة".

نـــــــابليون: لم يحفظ النص جيدًا.

ريـــــــشيليو: إنك لم تنتقل لقصر الرئاسة بعد يا نابليون.

نـــــــابليون: إننى تعودت على هذا الكشك.

ريـــــــشيليو: تقشف.

نـــــــابليون: كان يستخدم قديما كسجن للضباط.

ريـــــــشيليو: إن الشعب يتضور جوعًا.

نـــــــابليون: إننا نقترب من الفوضى الكاملة. لقد صدرت مجلة نقابة العمال جريدة بصورة عارية لجين دارك.

(يعطى المجلة لريشيليو ويجلس على السرير)

ريـــــــشيليو: إنها معجزة صنعتها الطبيعة.

نــــــــابليون: لقد ضمت إلى قائمة القديسين.

ريـــــــشيليو: هذا أحمق تصرف خاطئ للكنيسة المعصومة من الأخطاء. لو أننا وضعناها فى الثلاثين من مايو ١٤٣١ فى بيت الدعارة بدلاً من حرقها لم يكن ليحدث هذا لنا. إننى أتصبب عرقًا من الخوف. هوس سيستخدم صورها العارية فى نشر أهدافه السياسية. لقد أصبحت نقابة العمال الحرة أكثر الحركات العمالية شهرة.

(أثناء ذلك يلف حول الصالة من اليسار إلى اليمين)

نــــــــابليون: جين تخدم الوطن.

ريـــــــشيليو: إنها لا تخدم الوطن، إنما تخدم هوس. إنه مصلح. فإذا كان يطالب فى القرن الخامس عشر بإصلاح الكنيسة، فإنه يريد اليوم أن يصلح الحزب. إننى أعرف ذلك الزنديق. وقد حاولت قبل ذلك فى كونستانس أن أحطم هذا الفرع الفاسد المتعفن، وأن أحرقه حتى لا يصيب كل الجذوع، ولكن النار

توهجت دون أن تحقق الغرض. لقد أصابت العدوى الجذع. إن الكنيسة تعيسة بهذا الجمع من الفاشلين. وإذا طردت جين من الكنيسة وطالبت هوس بالاعتدال فسينتهى عملى السياسى. إنه يطالب فى المقالة الافتتاحية بانتخابات حرة.

(أثناء ذلك يكون قد لف حول الصالة من اليمين لليسار)

نـــــابليون: إننى لا أقرأ أبدا مقالاته الافتتاحية، إنها رديئة الأسلوب.

(يبقى ريشيليو واقفا علىّ مقدمة المسرح)

ريـــــشيليو: إن المادة المتفجرة لا تحتاج لأسلوب منمق. إننى أعرفك يا بونابرت، ولكننى لا أعرف حقيقة نيَّاتك. إنك تلعب دور اللا مبالى بالأمور، وأنت مسئول عن موت روبسبيير، إن محامى أراس سيصل اليوم بعد الظهر.

نـــــابليون: وصوله سر من أسرار الدولة.

ريـــــشيليو: وماذا تريد أن تقول؟

نـــــــابليون: أنت تعرف يا ريشيليو.

ريـــــــشيليو: هل كنت تعرف ذلك؟

نـــــــابليون: أنا رئيس الحزب ورئيس الدولة.

ريـــــــشيليو: إلى متى ستظل فى هذا المنصب؟

نـــــــابليون: من الذى نقل إليك هذا الخبر؟

ريـــــــشيليو: لا يهم. أنا أشك يا نابليون أنك تستطيع اليوم أن تنجو ثانية. مطالب نقابة العمال الحرة التى تزداد تشددًا يوما بعد يوم، وصول روبسبيير...

نـــــــابليون: ادخل فى الموضوع يا ريشيليو.

ريـــــــشيليو: إننى لم أستسلم مثلك يا نابليون.

نـــــــابليون: لقد بقيت وظيفتك كما هى.

ريـــــــشيليو: أنا لم أتخل عن هدفى. بل إنه اكتسب أبعادًا عالمية.

نـــــــابليون: يومًا ما كان لى مثل هذا الهدف.

(يجلس ريشيليو على كرسى الحلاقة)

ريــــــشيليو: هدف يفتقر إلى الكمال. إنك أردت أن توحد أوربا معتمدًا على مجموعة من المواطنين الرعاع من أسرتك الإيطالية الإسباجيتى، وزينتها بالشعار "الحرية والمساواة والأخوة". يا لك من أحمق! لقد أشعلت نارين مرة واحدة. الديمقراطية والحكم الاستبدادي، وما النتيجة؛ كان رد الفعل بالنسبة للحركتين حروبًا تحررية ومعها كثير من الآمال، ثم إعادة النظام الملكى، وما واكبه من خيبة الرجاء، وأخيرًا القومية التى مزقت أوربا شر ممزق.

نــــــابليون: ربما تسببت بشكل ما فى قيام الحربين العالميتين!

ريــــــشيليو: لم - لا؟

نــــــابليون: أنت تحملنى هذه المسئولية؟

ريــــــشيليو: وأنا متأكد من ذلك تمامًا.

نــــــابليون: معروف تاريخيًا أنك كرجل دولة فشلت فشلاً ذريعًا.

ريـــــــشيليو: ولكن فشلى بأسلوب أشد تميزًا منك. إننى طبعت عصرًا كاملا بطابعى، بينما أنت جزء من عصر. أنا صنعت الدولة ذات السلطة المطلقة، يتربع على عرشها ملك واحد، فى يده كل السلطة وفيها كنيسة واحدة، لكى أقيم دولة حضارية، أما أنت فتوجت نفسك إمبراطورا كى تتفوق علىّ. إننى لم أحكم، ولكننى جعلت الملك يحكم. أما أنت فأردت أن تكون الحاكم وريشيليو معا. إنك لا تتعدى أن تكون نسخة منى تتسم بمبالغة مفرطة لا حد لها. لقد أصابنا الوهن أنت وأنا. والناس يحتاجون لقفص من حديد يحبسون فيه، وإلا سيصبحون خطرين على نطاق واسع. لا شىء يضر البشرية أكثر من الإنسانية. لقد كانت الأقفاص التى شيدناها أضعف مما ينبغى. كلانا مذنب، ولكن جين وهوس أكثر ذنبا منا. عندما خلق اللـــه العالم خلق الأفعى أيضا، وبعد الأفــعى جاء قابيل، وهكذا لم تنقطع هذه السلسلة. أراد هوس أن يتجرع الجميع كأس الألم. كل فلاح فظ كان لا بد أن يشرب دم المسيح. جين ادعت أن تتلقى أوامر من الرب من

دون وساطة الكنيسة. والاثنان أصبحا بطلين قوميين: إن هذا أشد الكفر.

نـــــــابليون: ألنت تقول ذلك؟

ريـــــــشيليو: أنت لا؟

نـــــــابليون: بلى. ذات مرة. الأبطال القوميون ثوار. لقد أمرت بإعدام الآلاف منهم.

(يجلس إلى نابليون أمام كرسى الحلاقة)

ريـــــــشيليو: من يدرس أفكارى للنهاية يصل للدولة المطلقة.

نـــــــابليون: كنت فى جزيرة سانت هيلينا.

ريـــــــشيليو: وبعد؟ إننى لا أستطيع أن أسمح لنفسى بالحنين إلى الماضى على طريقتك. لقد أصبح فى مقدورنا فى هذه الأيام أن نبنى القفص، الذى لا يستطيع الناس الخروج منه. فالكنيسة شىء مطلق، والحزب شىء مطلق، كلاهما يفكر على نحو شامل للعالم. لا بد أن تندمج الكنيسة والحزب معًا، وأن يتحدى الفاتيكان الكرملين، وأن تنضم وظيفة البابا الأسقفية، ووظيفة السكرتير الأول للحزب

الشيوعى فى شخص واحد، ولا بد للحزب أن يتخلى عن اللا دينية، وأن ينضم لكنيسة أصبحت ماركسية، فلا الكنيسة وحدها ولا الحزب بمفرده يستطيع فى هذه الأيام أن يبنى الدولة العالمية الكبرى المطلقة، ولكن الذى يقدر على ذلك كنيسة جديدة تتحد فيها الروح الكاثوليكية والشيوعية معًا تستأثر بإسعاد الناس. هذا هو هدفى.

(ينهض واقفا)

ريـــــــشيليو: ولن أعيش حتى أراه متحققًا. ولكننى أعد لذلك اليوم. إن الإنسان يحتاج للعدالة فى الحياة الدنيا، وللمنة فى الآخرة، ولن تتحقق العدالة على الأرض إلا من دون الحرية، ولن تتحقق المنة فى الآخرة إلا بالحرية الربانية. سأقابل روبسبيير مساء اليوم.

نـــــــابليون: هذا إذا كان الممكن أن تتكلم معه.

ريـــــــشيليو: لقد تم الاتفاق على هذا الموعد منذ أسبوع، بين الأسقف زاباريلا والسفير مولوتوف.

نـــــــابليون: فى أى مكان إذن تقابلا وتعارفا؟

ريــــــشيليو: عند جين. إن هذه المعجزة الجميلة ذات نفع للكنيسة أيضا. لقد اتفقت مع فوشيه في الرأى، وهو يوافق على حياد الكنيسة. لا بد أن أجعل روبسبيير يوافق على ذلك. إنها عملية صعبة. سوف أذكره بماضيه، فلقد اعترف من قبل بوجود الذات العليا. لم تعد هناك إمكانية النفى إلى جزيرة سانت هيلينا بالنسبة لك. هوس انفصل عنك وفوشيه عزلك من السلطة وفويتسك فى الطريف إليك. هل تسمح لى بالاعتراف الأخير.

(يجلس ريشيليو على السرير، ونابليون يقبل خاتمه ويتصرف كأنه يريد أن يعترف)

(يدخل هوس من اليمين ويرتدى بلوفرًا كما لو كان قادم من تنفيذ حكم الإعدام وفوق رأسه قبعة الزنديق)

هـــــــوس: نابليون، أنا ...

(فى دهشة)

هـــــــوس: ريشيليو. شىء عجيب يا للعذراء مريم!

(نابليون فى دهشة)

نــــــابليون: ما هذه القبعة الغريبة التى تضعها فوق رأسك؟

هــــــوس: قبعة الزنديق. لقد كنت ألبسها وهم ينفذون فىّ حكم الإعدام حرقًا.

ريــــشيليو: إنك تعطل عملاً مقدسًا يا يان هوس.

هــــــوس: الشعب يتضور جوعاً.

نــــــابليون: لقد قال ريشيليو ذلك.

ريــــشيليو: إننا نواجه فوضى كاملة.

(بوشنر يتدخل)

بوشــــــنر: ولكنك هوس.

هــــــوس: وماذا بعد؟

بوشــــــنر: أنت ستظهر فى وقت لاحق. إننى ما زلت أنقح فى نص ريشيليو.

هــــــوس: لقد ظهر فى دوره من فترة طويلة.

بوشـــــــنر: إننى أغير النص دائما. ونصك أيضا. فهو لم يعجبك.

هـــــــوس: لقد فات الأوان. لقد حفظته بالفعل عن ظهر قلب.

ريـــــشيليو: إننى للأسف لم أكن حاضرا أثناء إعدامك حرقا فى كونستانس.

هـــــــوس: وعلى هذا كان سكرتيرك أول من أشعل النار عند حرقى.

ريـــــشيليو: ألم نتقابل بع ذلك فى مكان ما؟

هـــــــوس: ألا تتذكر؟

ريـــــشيليو: لا.

هـــــــوس: إذن لا. إننى فجأة أشعر بالجوع.

نـــــابليون: يا بلون بلون.

(يأتى بلون بلون من الباب رقم ١)

نـــــابليون: هوس يتضور جوعا.

(بلون بلون يضرب كف على كف)

(تنفتح الأبواب ذات الأجنحة. يدخل المتشردون ومعهم صوانٍ فارغة)

نـــــــابليون: تفضل يا هوس. اخدم نفسك.

(يمشي هوس من صينية إلى أخرى)

هـــــــــوس: لم يعد هناك شيء.

نـــــــابليون: المتشردون التهموا كل شيء.

هـــــــــوس: أنا لا أنجح في أي شيء. لقد كنت قسيسًا في زمن فقط من أجل أن عيش حياة هادئة وانتهت حياتي عليّ محرقة الإعدام.

(بلون يضرب كفًا على كف مرة أخرى)

بلـــون بلـــون: أبعد الطعام!

(المتشردون يختفون مرة أخرى)

(يخرج بلون بلون من الباب رقم ١)

هـــــــــوس: ولكن حالك أيضا ليست أفضل مني. أولا سانت هيلينا والآن وصل روبسبيير ، المفكر الأيديولوجي للحزب.

نـــــــابليون: نحن نعلم ذلك أيضا.

هــــــــوس: سيتولى فوشيه رئاسة الحكومة.

ريــــــشيليو: وهذا أيضا نعرفه.

هــــــــوس: الكل يعلم كل شيء.

نـــــــابليون: هذا أكثر الأمور بدهية في دولة كل شيء فيها سري.

هــــــــوس: اختفِ يا نابليون. ها هو عنوان.

(يلقي لنابليون بورقة)

(يضع الورقة في جيبه)

هــــــــوس: ستكون هناك في مأمن.

نـــــــابليون: هنا سأكون في مأمن.

هــــــــوس: أنت تجلس هنا في مصيدة يا نابليون، وتهمل حراسة معسكرك بدرجة كبيرة، حتى إن المكان هنا يشبه صالة محطة السكة الحديد.

نـــــــابليون: لقد اتضح لي ذلك.

ريـــــــشيليو: سيأتى فويتسك إليك اليوم.

نـــــــابليون: إنه يحلق لى كل صباح.

ريـــــــشيليو: اليوم سيحلق لك للمرة الأخيرة. أرأيت أنك لا تعرف كل شيء.

نـــــــابليون: لقد جاءنى فويتسك بالفعل.

ريـــــــشيليو: جاءك؟

(يومئ برأسه)

ريـــــــشيليو: إيماءتك هذه ليست إجابة.

نـــــــابليون: فى حالتى أنا الإيماءة إجابة.

ريـــــــشيليو: ولكن فوشيه...

نـــــــابليون: لم يعد يستطيع الإيماءة.

هـــــــوس: هل حلق له فويتسك؟

(صوت المارش الجنائزى لشوبان على الأرغن)

نـــــــابليون: سيحضرونه إلى القصر.

ريـــــــشيليو: يا لوفل!

نــــــابليون: لقد أحضروه.

ريـــــــشيليو: سأعود إلى القصر البابوى.

نــــــابليون: هل خاب أملك؟

ريـــــــشيليو: كان يجب علىّ فويتسك أن يقوم بواجبه.

(بوشنر يسرع إليه ومعه صفحات مكتوبة)

بوشـــــــنر: النص الخاص بك، يا حضرة الكاردينال. للحفظ في الأرشيف.

ريـــــــشيليو: شكرًا، يا بنى.

(يلقى بالنص فى سلة الغسيل. ينصرف جهة اليسار. هوس يصيح وراءه)

هـــــــوس: وداعًا!

(يخرج ريشيليو مع لويس)

هـــــــوس: إنه يعتبرنى نذلاً دنيئًا.

نــــــابليون: ليس هو فقط. أنت تنشر فى جريدة النقابة صورًا عارية لقديسة. مع أنك تدعى أنك ابن وفى للكنيسة.

هـــــوس: كابن وفى للكنيسة ينبغى عليّ ألا أنتقد تغير حياة شخص أعلن البابا بنديكت الخامس عشر قداسته.

(بوشنر ينقر باستحياء على كتف نابليون)

بوشـــــنر: إننى أريد أخيرًا أن أسمع النص الذى كتبته.

هـــــوس: أنا على أى حال لا يخطر على بالى أى شىء.

بوشـــــنر: هل يمكن لى بدلاً منك...

هـــــوس: بكل ترحيب. فإنك فى أخر الأمر الذى ألفته. ويجب عليّ أن أحفظ نص فويتسك بعد الراحة).

(يضع قبعة الزنديق فوق رأس بوشنر ويخرج إلى الأمام جهة اليمين)

بوشـــــنر: أنا الآن يان هوس.

نـــابليون: مفهوم.

(ما زال يسمع صوت المارش الجنائزى)

نـــابليون: ماذا قررت نقابة العمال الحرة؟

(يلقى بمعطف الإمبراطور فى سلة الغسيل)

بوشـــــــنر: لقد استمر الاجتماع طوال الليل.

نـــــــابليون: وماذا بعد؟

بوشـــــــنر: لقد اعترفت فى اتفاقية رسمية بشرعية النقابة الحرة، عمليات الاعتقال فى زيادة مستمرة.

نـــــــابليون: إن الحكومة تعتقل فقط الأشخاص الذين يتبعون سياسة معادية لها. نحن نطالب باقتصاد ناجح، وغذاء كاف للشعب، وأجور أكثر عدالة.

نـــــــابليون: وانتخابات حرة.

بوشـــــــنر: إن الدستور يكفل ذلك.

نـــــــابليون: إنك تتقدم بمطالب سياسية.

بوشـــــــنر: نحن نتقدم بمطالب بدهية.

نـــــــابليون: إن المطالب البدهية نعتبرها أيضا سياسية.

بوشـــــــنر: هل يوجد عندنا شيء واحد ليس له مغزى سياسى؟ إخراج ريح: تعفن الحزب؛ والتثاؤب: السأم من الماركسية؛ استخدام الواقى الذكرى: فقدان الأمل فى انتصار البروليتاريا وعدم استخدامه: الرغبة

فى إيجاد رائد لمراجعة الفكر. لا يمكننا الصمت على اختفاء الطلبة والمنشقين فى السجون.

نــــــابليون: إن من لا يسكت، كمن يشعل غليونه فى منطقة فى مصنع البارود. إن تصرفك حمق، وكان السبب فى ظهور روبسبيير.

(فى الخارج تتوقف الموسيقى الحزينة عن العزف)

بوشــــــــنر: لقد انتهى المارش الجنائزى.

نــــــابليون: صدحت الموسيقى تكريمًا للسياسى الوغد الذى تحالفتم معه.

بوشــــــــنر: لقد أخذنا سقوط حكمك فى الاعتبار.

نــــــابليون: كانت حساباتكم خاطئة.

بوشــــــــنر: إن أصدقائى سيدعون إلى الإضراب العام.

نــــــابليون: لماذا؟

بوشــــــــنر: سيحتجون ضدك.

نـــــابليون: إذن هم سيزحفون.

بوشــــــنر: إنهم لا يجرءون على ذلك.

نـــــابليون: أنت تقف فى مواجهة عقائديين.

بوشــــــنر: ليذهبوا إلى الجحيم بمعتقداتهم.

نـــــابليون: إنك ما زلت متــهورًا كما كنت فى كــونستانس، يا يان هوس.

بوشــــــنر: إن الموضوع هو الحرية.

نـــــابليون: أنت تنسى أنك تطلب من مدير السجن.

بوشــــــنر: غيِّر نظام السجن.

نـــــابليون: أنت متواضع يا هوس. تطالب بالحرية فى السجن. يمكننى أن أمنحك إياها، يجب عليك أن تتفادى كل ما يمكن تفاديه، وأن تكف عن الاستفزازات والتصريحات. يجب أن تمنع الإضراب العام، وأن تكف عن نشر مقالاتكم.

بوشــــــنر: لم يعد من الممكن الإمساك بزمام النقابة الحرة.

نـــــــابليون: يجب عليك أن تمسك بزمامها.

بوشـــــــــنر: كيف؟ لقد أصبحت النقابة من خلالى ما كنت ذات يوم من الأيام: هوس. والآن يوجد الكثيرون من هوس، مئات الآلاف من هوس. ولكن لم يعد هنالك ذلك الهوس. لقد فقدت سيطرتى على نقابة العمال الحرة. غدًا سيعلن الإضراب العام.

(تعزف موسيقى السلام الوطنى الفرنسى)

نـــــــابليون: "السلام الوطنى". سأذهب للفراش.

(يندفع بلون بلون من الباب رقم ٥ ولويس من الباب ٨)

بلــون بلــون: روبسبيير. كبير الإيديولوجيين.

نـــــــابليون: اللعنة.

بوشـــــــــنر: مرة أخرى تأتى مبكرًا. ما زال لدىّ نص!

نـــــــابليون: أنا لا أحب أن أتناقش مع هذا الشخص.

(تجر جين من الباب رقم ١ شخصًا مغطى بعلم فرنسا فى عربة يد)

(الباقون يتجمدون من الفزع)

نـــــــابليون: من الذى أطلق سراح هذه المختلة عقليا؟

بلـــون بلـــون: أنا. لقد أجريت لها تحليلاً نفسيًا. كانت ترقد على أريكتى.

نـــــــابليون: ألا تزال تتوهم أنها يوديت؟

بلـــون بلـــون: إنها تعتقد الآن أنها القديسة يوهانا[1]. هذا مثالى بالنسبة لتقمص الشخصية أذا ما أسندوا إلىّ إعدادها.

بوشــــــــنر: يلقى روبسبيير حالاً كلمة ضد هوس. وقد جعلتها مثلا الكلمة التى طالب فيها آنذاك بإعدام لودفيج السادس عشر.

(صمت)

بوشــــــــنر: ربما نسى النص. سأقوم بتلقينه: إن الثورة المزعومة..

---

(١) سانت جون: هى دراما المؤلف الأيرلندى جورج برنارد شو، وكتبت فى عام ١٩٢٣ بعد وقت قصير من إعلان الكنيسة الكاثوليكية الرومانية قدسية جان دارك. وهى معالجة درامية تعتمد على تقاليد حياتها ويوثق فيها المعلومات التى كتبت عنها. وعرضت لأول مرة فى ١٩٢٣/١٢/٢٨ فى مسرح جاريك بنيويورك.

(صمت)

بوشـــــــنر: إن الثورة المزعومة لم تكتمل بعد، ومن ينفذ الثورة إلى نصفها، يحفر قبره بيديه.

(صمت)

(نابليون يذهب إلى عربة اليد)

نـــــابليون: ماكسميليان.

(يتوقف عزف السلام الوطنى)

حـــــــان: إنه كان يرقد توًّا فى فراشى.

نـــــابليون: والآن يرقد فى عربة بائسة.

جــــــين: لقد أنقذته فى الطريق إلى قصر الشعب.

نـــــابليون: هل لا بد أن يعدم؟

جــــــين: الشعب غاضب.

(نابليون ينحنى فوق روبسبيير).

نـــــابليون: إنه لا يتحرك.

جـــــــين: لقد اعترته هذه الحالة ذات مرة وهو عندى.

نـــــابليون: آنذاك لم يكن ينتظر إعدامه.

جـــــــين: كان يلقى خطبة آنذاك.

نـــــابليون: فى فراشك؟

جـــــــين: كان يفعل ذلك قبل أن.

نـــــابليون: كان يضطر دائما لإلقاء الخطب؟

(يحملقان فى روبسبيير)

نـــــابليون: عمَّ كان يتحدث إذن؟ فى فراشك قبل أن...

جـــــــين: عن الفضيلة.

نـــــابليون: إنها موضوعه المفضل.

جـــــــين: لقد كان ذلك ذات مرة موضوعى المفضل أيضًا.

(نابليون ينحنى فوق روبسبيير)

نـــــابليون: ماكسميليان! الرفيق روبسبيير. أنا لن أقوم بعملية تنفس صناعى من الفم إلى الفم.

(يحملقان فى روبسبير)

نـــــــابليون: وأنت؟

جـــــــين: أنا لا. الحمد للـــه أن توقف السلام الوطنى البشع.

نـــــــابليون: ولكن سيعود من جديد.

جـــــــين: أليس المفروض أن نطلب طبيبًا؟

نـــــــابليون: لا.

(يحملقان فى روبسبير)

جـــــــين: إنه يبدو كفتاة.

جـــــــين: فى منتهى الرقة.

(صمت)

جـــــــين: لقد خيل لى وأنا معه، أننى أغتصب طفلاً.

(صمت)

نـــــــابليون: لقد كانوا يرتعشون منه.

جـــــــين: وأنت أيضا؟

نــــــابليون: مرة واحدة.

(صمت)

جـــــــين: لقد قال لى إننى كنت أول امرأة فى حياته.

نــــــابليون: لقد دفعه سعيه إلى نقد آراء يان هوس إلى قراءة المجلة كلها بدقة، فكان يرى فيها صورك العارية. لم يكن قادرًا على التمسك بالفضيلة.

جـــــــين: إنهم سيزحفون بقواتهم بعد غد.

نــــــابليون: لم يعد فرانكلين قادرًا على أن يتراجع عن تقديم المساعدة.

جـــــــين: لقد اتخذ قرار الهجوم بالفعل.

نــــــابليون: هل علمت بالخبر من روبسبيير؟

جـــــــين: لقد أخبرنى بذلك.

نــــــابليون: متى؟

(صمت)

نــــــابليون: لا بد أن أعرف كل شىء.

جـــــين: هل كانت تلك فعلا أول مرة فى حياته؟

نـــابليون: فعلا.

جـــــين: لقد أغمى عليه بعد ذلك.

نـــابليون: مفهوم.

جـــــين: لقد ظننت أنه مات.

نـــابليون: أكملى.

جـــــين: هذا شيء خاص بالقديسين.

نـــابليون: إن ما يحدث في فراشك شيء يخص الدولة.

(صمت)

نـــابليون: فى وضعى هذا يجب أن أعرف كل شيء.

(صمت)

نـــابليون: فيما مضى من أيام كانوا يحملون رجلاً معوقًا، كل يوم فى قفة إلى البوابة الرئيسية للقصر الملكى، ولم تكن له ذراعان ولا رجلان، وكان فوشيه

آنذاك فى جانبى لم يزل، وكان يأمر بإبعاد هذا المعوق، فلم أره قط.

(يدور فى المكان)

نـــــابليون: عندما سمعت بذلك أمرت بإطعام المعوقين، وبقوا بعد ذلك ليل نهار أمام البــوابة الرئيسية للقصر. ولكننى لم أمر عليهم قط، وكنت أستخدم بابًا جانبيًا، وإذا طلبوا إلى الناس أن يحملوهم إلى الباب الجانبى، خرجت أنا من البوابة الرئيسية. كانت رغبتى فى تجنب رؤيتهم، تعادل رغبتك فى تجنب الحديث عن روبسبيير.

جــــــين: هل يمكن أن أدخن؟

نـــــابليون: سيجارة، يا لويس.

(لويس يأتى بعلبة سجائر. ولأنها تبذل مجهودًا بسبب الأكمام الطويلة لقميص المجانين يضع سيجارة فى فمها ويشعلها لها)

(جين تدخن)

نـــــابليون: ثم ماذا حدث بعد ذلك؟

جـــــــــين: وبعد ذلك أفاق روبسبيير.

نـــــــابليون: ثم ماذا حدث؟

جـــــــــين: قال لى إنهم قرروا أن يهجموا بعد غد بالجيشين الثالث والرابع، وبالجيش الأول من الغرب، والجيش الثانى من الجنوب.

نـــــــابليون: نصف الجيش الأول والثانى تقريبا مرابط عندنا.

(لويس يناولها السيجارة أثناء ما هى تدخن)

(تدخن)

نـــــــابليون: وبعد ذلك؟

جـــــــــين: هذا كل شىء.

نـــــــابليون: كلام فارغ.

جـــــــــين: لا ليس كل شىء.

(تدخن)

نـــــــابليون: وبعد؟

جـــــــــين: ثم صليت للعذراء.

نـــــابليون: أكملى.

جـــــــــين: عندما حكى لى ذلك صليت للعذراء.

نـــــابليون: لا تكونى متكلفة لدرجة كبيرة.

جـــــــــين: ثم عرفت ما يجب علىّ أن أفعل.

(تدخن)

نـــــابليون: ثم ماذا.

جـــــــــين: لقد أغويته أن يحبنى مرة أخرى. عدة مرات.

نـــــابليون: روبسبيير؟ عدة مرات؟

جـــــــــين: لقد كنت أعلم بأنه أصيب ثلاث مرات بالذبحة الصدرية.

نـــــابليون: لم أكن أعلم ذلك.

جـــــــــين: ولكننى كنت أعلم.

نـــــابليون: من أين تدعين أنك عرفت ذلك؟

جـــــــين: من مولوتوف.

نـــــــابليون: المهم أن القديسين كانوا يعلمون ذلك.

جـــــــين: لقد قتلت روبسبيير.

نـــــــابليون: من يعرف ذلك؟

جـــــــين: تونى فقط.

جـــــــين: لقد التقط لى فيلمًا سينمائيًا مع روبسبيير.

نـــــــابليون: كلام تافه.

(يكتشف تحت العلم دمية ممزقة ويلقيها على الأرض)

نـــــــابليون: أنت فعلت ذلك. لحسن الحظ أن الذى مزقتيه دمية.

(جين تتجمد فى مكانها، تلقى بنفسها وهى تصرخ فوق الدمية وتمزقها)

(نابليون يضحك)

نـــــــابليون: وأنا أحكى لك عن الرجال المعوقين، يـــا لـــويس! احمل هذا إلى القصر.

(يشير إلى الدمية)

نـــــــابليون: ضعه في النعش. إلى جانب فوشيه. سأمنع نفسي أن أذهب معك للفراش.

(لويس يحمل الدمية للخارج)

نـــــــابليون: يا بلون بلون! أرسل برقية إلى كارل ماركس. كبير الأيديولوجيين الرفيق ماكسميليان مارى أزيدور دى روبسبيير مات فى بلادنا، وهو يلقى خطبته الأخيرة، مقتنعًا أن حزبنا قادر على أن يتغلب بقوته على المصاعب الاقتصادية، وكذلك المكائد التى يدبرها الرافضون الاستعماريون.. الرفيق بونابرت.

(يخرج بلون بلون)

نـــــــابليون: مات فوشيه، مات روبسبيير. وأنا الآن رئيس وسكرتير عام الحزب.

(موسيقى السلام الوطنى)

نـــــــابليون: ها هو السلام الوطنى مرة أخرى.

(يلقى بنفسه علىّ كرسى الحلاقة)

(جين تهلل وتقفز علىّ الفراش وتغطى نفسها بعلم فرنسا)

جـــــــين: والآن ستقوم الحرب.

نـــــابليون: لقد فعلتيها أنت. أشكرك على أنك أقنعتِ فويتسك أن يبقى علىّ حياتى.

جـــــــين: أنت بطل. هناك جنود ومعهم بنادق آلية على السطح المنبسط.

نـــــابليون: لقد أصدرت لهم الأوامر بذلك.

جـــــــين: إنهم يسقطون على ركبهم وينظرون إلى السماء.

نـــــابليون: هذا عصيان للأوامر.

جـــــــين: السماء تزداد شفافية ونورًا وضياءً.

نـــــابليون: طقس جميل ببرودة عالية يلوح فى الأفق: على نهاية العام سيكون الطقس شديد البرودة.

جـــــــين: السماء تنفتح. أيتها القديسة كاتارينا. أيتها القديسة مارجريتا.

نـــــــابليون: أرجو ألا يعتقدون أنهم من رجال المظلات.

جـــــــــين: الجنود تؤدى التحية العسكرية.

نـــــــابليون: إنهم لم يتعلموا رفع الخوذة عند الصلاة.

(جين تصرخ، تنزل على ركبتيها وتنظر إلى أعلى)

جـــــــــين: أيها القديس ميخائيل[1]! رئيس الملائكـــة يتحـــدث إلىّ، يتحدث. أنا أسمع، أنا أسمع ...

(همس)

جـــــــــين: مارينجو.

(باهتمام)

جـــــــــين: ينبغى أن تتذكر مارينجو. تتذكرينا، فاجرام.

نـــــــابليون: أنا أتذكر هزائمى فقط.

جـــــــــين: تذكر أوسترلتس.

---

(١) القديس ميخائيل هو أحد رؤساء الملائكة السبعة. كما أنه أحد الملائكة الثلاثة الذين وردت أسماؤهم فى الكتاب المقدس.

(مضطربة)

نـــــــابليون: هل هذا كل ما تريد القديـــسة كاتارينــا والقديــسة مارجريتا ورئيس الملائكة ميخائيل قوله لى.

جـــــــــين: كله.

(نابليون يقترب منها)

نـــــــابليون: هل ترينهم بصفة متكررة.

جـــــــــين: كل يوم.

نـــــــابليون: هل نصحوك أيضًا بأن تتصورى عارية الجسد من أجل يان هوس.

جـــــــــين: لقد أمرتنى القديسة مارجريتا بذلك.

نـــــــابليون: هل أمرتك أن تضاجعى العالم والشيطان؟

جـــــــــين: لقد أمرت القديسة كاتارينا أن أنقذ وطنى.

نـــــــابليون: وبماذا أمرك رئيس الملائكة ميخائيل؟

(جين تصمت)

نـــــــابليون: هل أمرك رئيس الملائكة ميخائيل أن تضاجعيني؟

جـــــــين: لقد أمرني بهذا.

نـــــابليون: لكي تقتليني؟ بشفرة الحلاقة الخاصة بوالدك؟ عندما أكون قد غلبني النوم؟

جـــــــين: لكي أمنحك القوة لتهزم أعداءنا.

نـــــابليون: أنت تكذبين.

(يلقيها من السرير)

جـــــــين: أنا أمثل دور جين دارك.

نـــــابليون: أنا أمثل دور نابليون. هكذا أستطيع الآن أن أنام وأنا مطمئن

(يضع نفسه على الفراش ويغطي نفسه بمعطف التتويج)

(جين تجد على الأرض صفحة من مخطوط، تقرأ)

جـــــــين: "واصل السير بلا مبالاة. لم تكن هناك عقبة في

طريقه. تارة إلى أعلى وتارة أخرى إلى أسفل".

بوشـــــنر: على.

جـــــين: فى:

بوشـــــنر: على. على الطريق.

جـــــين: "على الطريق. تارة إلى أعلى وتارة أخـــرى إلـــى أسفل. لم يشعر بالتعب وإنما فقط كان يكره أحيانًا أنه لا يستطيع المشى على رأسه" .

(بوشنر يأتى إليها)

جـــــين: هل كتبت هذا؟

بوشـــــنر: أنا كتبت هذا.

جـــــين: أنا أكره أيضًا أننى لا أستطيع المشى على رأسى.

بوشـــــنر: وأنا أيضًا.

جـــــين: هل كتبت المسرحية التى أمثل فيها الآن؟

بوشـــــنر: إننى أكتبها ولكن لا أحد مـــن الممثلـــين يـــستخدم نصى.

جـــــــين: أنا يوديت.

بوشـــــــنر: أعرف.

جـــــــين: جدى كان يرتدى زيًا أسود. أطلــق علــىّ اسـم الجعل، جعله. وكان يجلسنى فى حجــره. كانــت جدتى تعزف علىّ البيانو، وكان جدى يغنى أغنية "رحلة الشتاء"[1] لشوبرت. كنا نــسكن فــى بيــت خشبى بحديقة مليئة بالزهور، ولم أر بعــد ذلــك حديقة بمثل هذا الجمال أبدًا. وذات مرة جاء رجل يرتدى زيًا مقلمًا إلينا وغنى أغنية "رحلة الــشتاء" أيضًا، ولكن الغناء لم يكن جميلاً مثل غناء جدى، كان يرتعش وكان صوته متخفيًا. قــال جــدى إن الرجل كان مغنيًا مشهورًا بفرقة موسيقية. كانــت المدينة التى يعيش فيها جدى مدينة مصانع، حيــث كان بها مصنع واحد فقط وكانــت لا توجـد بهــا كنيسة. وكانت تحيط بالمدينة أبراج حراسة عاليــة

(١) هى أغنيات لحنها شوبرت، الموهبة الصارخة فى عالم الموسيقى، لقصائد لجوته وشيللر، وهى مجموعة من أروع ما لحن شوبرت، وهو الأشهر فى تلحين الأغانى (الليدر). وهى مرتبطة بموضوعات الحب والموت والألم.

وكانت المنازل تمتد فى صفوف طويلة وتمتلئ بالناس الذين يعملون جميعًا فى المصنع الذى يتصاعد منه ليلاً ونهارًا دخان، وكان يأتى كل يوم أناس إلى مدينة جدى بالسكك الحديدية ليعملوا فى المصنع الذى كان يتصاعد منه الدخان باستمرار. أنا لم أنس أبدًا الرائحة التى كانت تجىء من المصنع.

بوشنر: كل المصانع رائحتها كريهة. كذلك المجازر التى ورثتها عن أبى رائحتها كريهة.

جين: كانت الحياة فى المدينة صحية على الرغم من أن عدد الناس الذين يأتون إليها كان يزداد باستمرار. كنت أعتقد أن الحياة فى المدينة لا بد أن يقضى عليها، ولكن لم يقض عليها أبدًا ولم توجد ولا حالة دفن واحدة. عندما كنت أمشى فى الشارع ممسكًا بيد جدى كان كل الناس يحيوننا. كانوا سعداء لأنهم كانوا يعيشون فى أمان، لأن الطيارين كانوا لا يلقون القنابل عندما كانوا يطيرون فوق مدينتنا. ثم تم ترحيل جدتى وأنا معها إلى إحدى القرى، وبعد الحرب إلى إحدى دور السينما، ورأيت على

شاشة السينما أناسًا كثيرين وسقالة وجنودًا كانوا يرافقون جدى فوق السقالة، وكان لا يرتدى الزى الأسود، وإنما الملابس المقلمة لمغنى الفرقة الغنائية المشهور. ثم قام الجنود بإعدام جدى شنقًا. كنت أحب جدى وبعد ذلك لم أعد أحب أى إنسان آخر. وإذا كان يوجد إله فسيكون شبيهًا بجدى.

بوشنر: أنا أحب كل الناس، أصحاب الأخلاق وضيقى الأفق والأغبياء أيضًا لأننى أستطيع أن أسخر منهم وكذلك الأقوياء لأننى استطيع أن أكرههم. الشخص الوحيد الذى أكرهه هو والدى، لأنه أتى بى إلى هذه الدنيا.

جين: الآن علىّ أن أنقذ رجال ونساء وأطفال مدينة بتوليا. إننى لم أضاجع أى رجل حتى الآن. ولكننى سأذهب إلى النقيب هولوفرنس وأضاجعه ثم أقتله.

بوشنر: إذا كنت أنت يوديت فإنك قد قتلتيه من قبل.

جين: ما يجب حدوثه يتكرر دائمًا.

(تسير إلى الخلف)

بوشـــــنر: يوديت.

(تظل واقفة)

(بوشنر يسحب سكينًا من الحذاء ذى الرقبة)

جـــــين: هذه سكين فويتسك. سكين والدك.

(جين تخرج من الباب رقم ٦.. لويس يعيد بوشنر بشعور الأبوة إلى المكتب)

لـــــويس: هذا الشخص الذى يتخيل أنه بوشنر يكتب، وهــذه التى تتصور أنها يوديت تذهب.

(تتقدم للأمام)

لـــــويس: تركت زى دورها ثم قميص جنونها يسقط لفتــرة زمنية طولها مؤثر وظهرت عارية، لكى تتــوارى بعد ذلك، مرتدية زيها من جديد كما هو معتاد فى أخترلو.

(يجلس على كرسى الحلاقة، ينظر لنابليون)

لـــــويس: بالتأكيد نحن نشعر أننا أناس طبيعيون متقــاربون

فكريًا، أصحاء بقدر الإمكان، ولكــن هــل هنـــاك معنى وفائدة للطبيعية وللصحة؟

(يذهب إلى نابليون)

لـــــــويس: ألا يتملكنا الفراغ الفظيع للطبيعية؟ ألن ينهار العالم بسبب عنفوان صحتنا وعافيتنا؟ ألا ينطلق ببراعـــة تدرب عليها الأبطال الرياضيون ويقطع المنحـــدر بسرعة هائلة الذى ما هو إلا هـــوة عميقـــة، لأن الخطأ فقط له معنى وهو الجنون؟

(يذهب إلى الخلف إلى دمية الخياط، يحمل كرسيًا إلى مقدمة المسرح ويضعه بحرص)

لـــــــويس: خياط السيدات الذى يكرر بكل سعادة كـــلام ذلـــك الشخص الذى يتخيل أنه هو سأل عن سبب الجنون الذى وقعنا فيه. ويسأل هل نحن فعلاً مجـــانين أم أننا نحن فقط نعتقد أننا لسنا كذلك. وهـــذا اعتقـــاد نشارك فيه المجنون. بشكل وبآخر نحن مجـــانين. ينبغى علينا أن نبحث عن معنى إنسان الجنون.

(يسير إلى الهيكل العظمى، يحمل كرسيًّا ثانيًا إلى الأمام، يضعه بعناية بجانب الكرسى الأول)

لويس: نحن موجودون منذ ثلاثة ملايين سنة، نمثل بعض اللحظات المضحكة في التاريخ الهائل لتطور الإنسان. ولا يشهد على وجود أسلافنا إلا بعض الرفات وأهمها بعض الأسنان أو أنها بقايا الفك السفلى الذى يسمح بإعادة تصميم أسنان أسلافنا الأوائل. الفك.

(يسرع إلى الهيكل العظمى، يترع منه الفك الأعلى، ويرفعه لأعلى)

لويس: أسنان جيدة. أسنان حقيقية. أسنان جميلة. أسنان إنسان. أسناننا جميعًا.

(يسحب من معطف الأطباء الخاص به بيده اليسرى تركيبة أسنان صناعية، ويمسك بها بجانب أسنان الهيكل العظمى)

لويس: أسنان أفضل. أسنان أكثر حقيقية. أسنان أجمل. أسنان صناعية. كل أملنا. كما تتوق أسنان القرد أن تصبح مثل أسنان الإنسان، فإن أسنان الإنسان تتوق بسبب عذاب الآلام إلى أسنان مثالية، أسنان أخرى غير أسنانه، إلى الأسنان الصناعية.

والنموذج الأصلى للأسنان هى الأسنان الصناعية، والأسنان الصناعية هى التى تعطى الأسنان الحقيقية معناها وفائدتها، فمن خلالها تتحقق وتعمل الأسنان الحقيقية. إذا أردنا البحث عن معنى وجود الإنسان ينبغى علينا أن نبحث عنه خارج الإنسان. الطريق الصحيح صعب والطرق الخاطئة كثيرة.

(يجلس على الكرسى الثانى على اليمين، يفكر بعمق)

لـــــــويس: إن أسنان الإنسان القرد تدل على جمجمته وتلك تدلنا على مخه، وبالمثل، أسنان النيندرتالر نفس الشيء، وأيضا أسناننا تدل على جمجمتنا وتلك على مخنا، ويسرى ذلك على أطقم أسناننا؟ أيضا هى تدل على جمجمتنا وعلى مخنا.

(ينهض، يعود شارد الذهن إلى الهيكل العضمى ويركب الفك فيه مرة أخرى)

لـــــــويس: ويبدو أننا نتحرك فى دائرة غير مكتملة فى دائرة التطور الخاطئة. التطور!

(يجرى إلى الأمام)

لـــــــويس: إن لم تكن الأسنان الصناعية تدل علاوة على ذلك

على قدرة العقل البشرى على صناعة الأسنان الصناعية، وليس فقط الأسنان الصناعية بل الإنسان الصناعى، الكمبيوتر.

(يرفع الكرسى الثانى مفكرًا باهتمام إلى أعلى)

لويس: إن الكمبيوتر الذى تخلص من صانعه، الإنسان، والكمبيوتر يمثل معنى الإنسان وأهميته ومن خلاله يتحقق اكتمال الإنسان.

(يمسح الكرسى الثانى بلطف ويتأمله وهو مسنود علىّ الكرسى الأول على اليسار)

لويس: إن الشفق الأحمر عند الغروب الذى يملأ بنى الإنسانية نشوة لتذوب فيه بعد أن أصبح وجودها بغير ذى أهمية، هو فى نفس الوقت شفق الفجر الأحمر الذى تنبثق منه الإنسانية الجديدة أى العقول الصناعية،

(يرفع الكرسى الأول على اليسار إلى أعلى)

لويس: وتشرع فى البحث عن معناها وهدفها، عقول صناعية للعقول صناعية، ما فوق الكمبيوتر الذى سيحل محل الكمبيوتر: كفكرة للفكرة.

(يرفع كلا الكرسيين إلى أعلى، مهددًا)

لـــــــــويس: لا تفزعوا أيها السيدات والسادة. إن الشخص الذى يقف أمامكم ليس مجنونـــا. ســأقدم لكــم نفــسى وأطمئنكم في نفس الوقت. أنا لــست بروفيــسور لوفل. أنا كارل جوستاف يونج، ولدت فى السادس والعشرين من يوليو عـــام ١٨٧٥ فـــى كيــسويل وتوفيت في الــسادس مـــن يونيـــة ١٩٦١ فـــى كيسنخت. أيها السيدات والسادة: أخيرًا تستطيعون الآن أن تذهبوا للاستراحة فى اطمئنان.

(لويس يلقى بالكراسى بعيدًا، يخرج من الباب رقم٥)

بوشــــــــــنر: أى نص مسرح أكتبه فعلاً؟

(يأتى كامبرون من اليمين)

كــــــامبرون: لقد نسيت النص الخاص بدورى.

(نابليون يقفز من الفراش)

نـــــــابليون: يا بروفيسور يونج. أعطنى مسدسى من فضلك!

(يخرج من الباب رقم ٥)

الفصل الثانى

(مرة أخرى الحجرة بأحد عشر بابًا ذوى أجنحة مفتوحة)

(لا يوجد شيء خلفها)

(على اليسار سرير، على اليمين كرسى حلاقة، فى الخلف دمية لخياط، هيكل عظمـــى، ثلاثة كراسٍ)

(فى وسط الحجرة بوشنر جالس على المكتب. يكتب ويكتب)

(على الأرض أجزاء موسوعة وصفحات مخطوط، تراكمت)

(يظهر البروفيسور، فى قميص مجانين مغلق)

البروفيـــسور: إننى أعلن طبقًا لمقررات الدستور حالة الطـــوارئ فى جميع أنحاء البلاد منذ منتصف ليلة أمس. هكذا كانت بداية خطبتى فى التليفزيون التى جعلت فـــى ليلة ١٢ إلى ١٣ ديسمبر عام ١٩٨١ العالم ينصت إليها ويفزع، ونسيها فى تلك الأثنـــاء. والتمثيليـــة التى أشارك فيها انتهى زمانها منذ فتـــرة طويلـــة، وهذا قدر تتقاسمه فى كل مسرحية يبنـــى هـــدفها

على تقليص فناء الزمن الذى تحدث فيه، وإدخال إلى حاضرنا بقدر الإمكان، أكثر الأزمنة فناء. إن الذى يتخيل أنه يرسم، ويلحن، ويؤلف للمستقبل هو مجنون. إن المصدر الذى ينساب منه المستقبل يتكدس فى الحاضر ويمتص فى الماضى وينضب. وبناء على هذه الصورة القاتمة يمكن اتخاذ موقفين فقط: الاستسلام لحنين الماضى أو التفكير فى تمجيد الماضى من خلال البحث فيه عن الحاضر، أو احتقار الماضى والحاضر من خلال التفكير. إن التفكير فقط هو الذى لا يهتم إذا كان الواقع حقيقيًا أو سيصبح حقيقة أو لا يصبح. ويكفيه أنه يمكن أن نصل إليه بعقولنا، ومعنى أننا يمكن أن نصل إليه بعقولنا فإنه لم يعد واقعًا. لقد زحزح إلى الفكر أصبح فكرة لا تفنى، فإن فكرة الوجود أو اللا وجود خارج الزمان والمكان. لو أن هناك إلهًا لا بد وأنه كره العالم عندما خلقه، لأن ما خلق يسقط من الفكر إلى الواقع، وما هو واقع يدمر نفسه أو يتم تدميره. إن الإله فكرة غير قويمة والإنسان فكرة غير قويمة لهذه الفكرة، لو كان هناك إله. ولكن لماذا نسبُّ إلهًا غير موجود؟ نحن أفظع منه لو أنه موجود. نحن نفكر فى إمكاناتنا

للنهاية، وأثناء محاولتنا لتحقيقها نصنع واقعًا يدمرنا. اليوتوبيات الملعونة. نحن ضحايا تفكيرنا، نضع رؤوسنا تحت بلطة أفكارنا. ولذلك أريد أنا، رجل جاء من العدم إلى أخترلو التى كان يخاف طيلة حياته أن يأتى إليها، إلى هذا الواقع المخيف حيث ينتظره الموت فى أى مكان خلف أبواب فارغة، أريد أن أهرب ثانية إلى لا واقعية الدور بصرف النظر عن الشخصية التى أمثلها، البروفيسور، نابليون، أو الشخصية التى يقصدها المؤلف بهذه اللا واقعية. إن الحياة تكون ممكنة فقط فى لا واقعية الدور.

(يسمع عزف مقطوعة التوكاتا وأداجيو وفوجا من مقام دو الكبير لباخ)

نابليون: يا بوشنر! ما هذه الضوضاء؟

بوشنر: مقطوعة التوكاتا وأداجيو وفوجا بسلم الموسيقى لباخ. لقد التزموا فى النهاية بنصى. إن الإله فكرة غير قويمة والإنسان يكون فكرة غير قويمة لهذه الفكرة غير القويمة إذا كان هناك إله يشعر الإنسان بحمى الأعصاب التى كانت السبب فى موتى. هذا

الموضع سيجيء في مونولوج النهاية قبل أن تقتل نفسك بالرصاص. أما زلت ترغب في قتل نفسك بالرصاص؟ تفضل. تفضل. إلا أن الموضع لا بد أن يكون أكثر حرارة وأكثر برودة فقط. المعلومة الأخيرة. لا بد أن تشعر الجماهير أنني تذكرت أبي وبكيت عليه عندما كتبته.

نابليون: توقف! أوقف عزف الأرغن!

(يتوقف العزف)

(يتقدم بوشنر إلى مقدمة المسرح)

(لويس يأتي من الباب رقم ١ ويبدأ في غلق الأبواب)

بوشنر: لقد تأخر للأسف عازف الأرغن في الفصل الأول، لم يعزف إلا مع المارش الجنائزي حيث لم يعثروا على مفتاح زنزانته المطاطية في الوقت المضبوط. إنه عازف أصم وأبكم من كونيجسبرج، واليوم من لينينجراد. ويجن جنونه من حين لآخر ويتخيل أنه رئيس الفرقة الموسيقية يوهانس كرايزلر الذي ابتدعه أيه تي آه هوفمان. لا تخافوا. كرايزلر

يكون خطرًا فقط عندما لا يكون جالسًا أمـــام آلـــة موسيقية.

(يدخل بلون بلون من الباب رقم ١)

لـــــــويس: لقد استوليت عـــلى السلـــطة بدعم من الجيش، يا عمى العزيز.

بلـــون بلـــون: كاتب سياسى لم يهتم به أحد أبدًا. أطلق على هـــذه السياسية اسم البونابرتية...

نـــــــابليون: ماذا كان اسم هذا الكاتب؟

لـــــــويس: كارل ماركس.

بلـــون بلـــون: واليوم أيضا لا يقرأ أحد أعماله.

نـــــــابليون: لقد أدركت أخيرًا لماذا أنا أمثل نابليون، وماذا عن الشعب يا لويس؟

لـــــــويس: احتجاجات.

نـــــــابليون: ونقابة العمال الحرة؟

بلـــون بلـــون: إضراب عام.

نـــــــابليون: وماذا عنا؟

بلـــون بلـــون: الجيش يتقدم بالعربات المصفحة وخراطيم المياه.

لـــــــــويس: المعسكر محصن ضد أى هجوم.

نـــــــابليون: إننى أمارس مهام الحكم من داخل مقبرة.

لـــــــــويس: طبعة خاصة.

بلـــون بلـــون: صورة لجين وروبسبيير فى الفراش.

(يعطى نابليون نسخة من المجلة)

نـــــــابليون: قام اللورد تونى بتصويرهما.

لـــــــــويس: سيكون وقعها كقنبلة.

نـــــــابليون: الآن سيزحفون.

لـــــــــويس: نحن مضطرون أن نبعد عنهم يا عمى العزيز.

بلـــون بلـــون: عن اقتناع تام.

لـــــــــويس: لقد عملنا دائما من أجل الشعب. وخاصة عندما كنت نابليون الثالث. ولكن لا أريد أن أشاهد ثورة ثانية.

بلــون بلــون: إن كامبرون سيتخذ موقفنا.

(يخرج بلون بلون من الباب رقم ٢ ولويس إلى الباب رقم ٥)

نـــــابليون: هل تعطنى مسدسى من فضلك.

لـــــــويس: إنه محشو بالرصاص الحى.

نـــــابليون: هل تعدنى بذلك؟

لـــــــويس: أنت ستطلق رصاصة واحدة فقط على جبهتك.

نـــــابليون: هذا شأنى.

لـــــــويس: للأسف ما زال عليك أن تنتظر. يجــب علـــىّ أن أدخل قبل ذلك فى دور كارل ماركس.

(لويس يخرج من الباب رقم ٥، ويعود بلون بلون من الباب ٢)

بلــون بلــون: من؟ أنت؟

لـــــــويس: أنا كارل ماركس.

بلــون بلــون: أنا الذى سأمثله.

لـــــــــويس: لنر ذلك. أنا سأمثل كارل ماركس.

بلـــون بلـــون: من أين أتيت باللحية؟

لـــــــــويس: إن تفكيرى المعتمد على الحواس لم يخنى. لا بـــد من وجود شخص بين هؤلاء المجانين يعتقد انـــه الإله العزيز.

(بلون بلون يقسم له اللحية إلى نصفين)

بلـــون بلـــون: والآن أتريد أن تمثل كارل ماركس؟

لـــــــــويس: أنا فى دور لويس أقل أهمية.

بلـــون بلـــون: دور عظيم.

لـــــــــويس: ألا تعرف من أنا؟

بلـــون بلـــون: بروفيسور هانس لوفل.

لـــــــــويس: بروفيسور زيجموند فرويد.

بلـــون بلـــون: لقد فتشت كروت المرض. هل أنت على اســـتعداد أن ألقى بالحقيقة فى وجهك.

لـــــــــويس: اقذف.

(يجلس على كرسى الحلاقة)

بلـــون بلـــون: أنت لست مدير أخترلو، يا بروفيسور هانس لوفل، كما تريد أن توهمنا.

لـــــــــويس: وماذا بعد؟

بلـــون بلـــون: ولا أنت أيضا كارل جوستاف يونج، كما تريد أن توهم الجماهير.

لـــــــــويس: هات ما عندك.

بلـــون بلـــون: أنت فنى الأسنان الصناعية جان بيير لـــويلى مـــن معهد طب الأسنان زيمباخ، الذى يقع على بحيـــرة زيمباخ[1].

لـــــــــويس: إلى جانب ذلك ألقى إليك بحقيقة أنك فى شخـــصية كارل ماركس خطأ القرن فى تمثيل الأدوار.

بلـــون بلـــون: لا بد أن أسألك من تعتبرنى؟

لـــــــــويس: زيجموند فرويد.

---

(١) منطقة فى قلب سويسرا تكثر بها المناطق السياحية والفنادق على ضفاف البحيرة.

بلــون بلــون: جان بيير لويلى.

لـــــــويس: أنا أيضا قمت بتفتيش كروت المرضى. هل أنــت مستعد لأن ألقى بالحقيقة فى وجهك؟

بلــون بلــون: ألقِ.

(يجلس على كرسى الحلاقة)

لـــــــويس: أنت لست زيجموند فرويد كما تريد أن توهمنا.

بلــون بلــون: هاتِ ما عندك.

لـــــــويس: ولست أيضًا صورة من فرويد، هل تريد أن توهم الجمهور.

بلــون بلــون: ماذا بعد؟

لـــــــويس: أنت خياط السيدات إيجناس شفنتسل من أوبرهوفن المطلة على بحيرة التون.

بلــون بلــون: إلى جانب ذلك أنت فـــى دور شخـــصية كـــارل ماركس خطأ القرن فى تمثيل الأدوار.

لـــــــويس: يا سيد شفنتسل، ألم يكن ينبغى على أن أسحبك إلى الأريكة إذا كنت تريد أن تمثل دور كارل ماركس.

بلــون بلــون: يا سيد ليولى، لو أن ماركس مكث علىّ أريكتى لما أعلن نظرياته الاقتصادية المعقدة.

لــــــــويس: وأنت؟ إن أعظم ما تستطيع عمله هــو أن تخــيط فستان حمل للينشن ديموت) التى ضحت بنفسها فى إدارة منزل ماركس)

(لويس يخرج من الباب رقم ١)

نـــــابليون: ليلة، نهار ثم ليلة أخرى كما كان آنذاك، بين اثنين متوحشين يراقبان بعضهما، بلا نوم. كما لو أننــى ما زلت وزير خارجية. وعلى الأقل كان رئيــسى ينام.

(يأتى فويتسك، يعرج ومعه محفظة أوراق من الباب رقم ١)

فويتــــــسك: شفرتى. شفرتى.

(يندهش)

فويتــــــسك: يا سيادة الجنرال، هل ترى الشريط الأحمــر هنــا فوق الأرض حيث تنمو حيوانات الإسفنج؟ هنالــك تقطع الرقبة فى المساء. ومرة رفعها أحدهم وقــال إنها قنفذ. إنه يمشى خلفــى وتحتــى. إن الأرض

تتأرجح تحت أقدامنا. جوفاء، يا سيادة الجنـــرال، كل شيء تحتنا أجوف. الماسونيون. لقـــد أخـــذوا شفرتى إلى أسفل.

بوشـــــــــنر: هنا. من ابنتك.

(يعطيه شفرة الحلاقة)

نـــــــابليون: يا فويتسك! كيف تبدو؟ أنا أشـــعر بـــدوار كامـــل مثلك. أنا أكره ذلك. إن الإنـــسان الطيـــب يـــشعر بالامتنان، يبدو فى حالة جيدة ويحب حياته.

(يجلس على كرسى الحلاقة)

فويتـــــــــسك: لقد تعدوا على يا سيدى الجنرال.

نـــــــابليون: من؟

فويتـــــــــسك: الشعب.

نـــــــابليون: لماذا؟

فويتـــــــــسك: أنت تعرف يا سيادة الجنرال.

نـــــــابليون: لأنك لم...؟

فويتسك: أحلق لي يا فويتسك.

بوشنر: يا بروفيسور. هذا ليس مكتوبًا في نصي.

نابليون: اكتبه في النص.

بوشنر: ولكنني أعدت إليه الشفرة. لقد أردت أن تقتل نفسك بالرصاص.

نابليون: وبعد؟

(يربط فوطة الحلاقة حول رقبة نابليون)

نابليون: أنك بذلت أمس جهدا كبيرًا يا فويتسك. ستقام لفوشيه جنازة رسمية، اذهب إلى المكتب.

(فويتسك ينفذ الأمر)

نابليون: ابحث على مكتب عن وسام الوفاء الأحمر وعليه المنجل والمطرقة.

(فويتسك ينفذ الأمر)

نابليون: ضعه على سترتك.

(يضع فويتسك الوسام علىّ سترته)

فويتسك: سمعًا وطاعة يا سيادة الجنرال.

نابليون: ضع الصابون على ذقني.

فويتسك: في الحال يا سيادة الجنرال.

(يقلب رغاوي صابون الحلاقة)

فويتسك: شكرا على الوسام يا سيدي الجنرال.

نابليون: إنه من أجل الإعدام، وليس من أجل الحلاقة.

فويتسك: سأضع ذلك في اعتباري، يا سيدي الجنرال.

نابليون: أنت تتقلد الوسام الذي تقلده فوشيه من قبل. لقد كان أمس السكرتير العام، واليوم أن أنا السكرتير العام.

فويتسك: لم يكن أمام فوشيه إلا أن يجلس إليّ، ولم يكن في وسعي إلا أن أذبحه يا سيادة الجنرال. وأنت الآن جلست إليّ أيضًا يا سيادة الجنرال.

(يضع صابون الحلاقة)

نابليون: أنت تتفلسف من جديد يا فويتسك.

فويتسك: لقد كان هذا مسلكًا خاطئًا يا سيادة الجنرال. كذلك

كان مسلكى مع مارى مسلكًا خاطئًا، منذ عشرين عاما، كان ينبغى علىّ أن أقطع رقبتى النقيب والرائد عازف الطبول كما قلت أنت بنفسك يا سيادة الجنرال. كان علىّ أن أقطع رقبتيهما، لا رقبة فوشيه المسكين. لقد فرغت من وضع صابون الحلاقة يا سيدى الجنرال.

نابليون: هل ما زلت تخدم الدكتور فى تجاربه؟ يا فويتسك. هل ما زلت تأكل البسلة؟

فويتسك: إننى كجلاد أصبح إنسانًا نباتيًا يا سيادة الجنرال.

(فويتسك يبدأ الحلاقة ويغنى)

فويتسك: "فانية هى الدنيا. والموت يدركنا جميعًا".

(يحلق)

فويتسك: لقد وصل كارل ماركس.

نابليون: لقد أصبح الموقف جادا.

فويتسك: وكم هو جاد!

نابليون: ماذا عن جين؟

فويتـــــــــسك: تم القبض عليها.

(يحلق)

نـــــــابليون: كان هذا متوقعًا.

فويتـــــــــسك: هل ستساعد جين يا سيدى الجنرال؟

نـــــــابليون: لا.

فويتـــــــــسك: إذن. ستساعدها السماء.

نـــــــابليون: ستساعد هى نفسها.

فويتـــــــــسك: والآن نأتى إلى الموضع الحساس فى رقبتك.

(يحلق)

نـــــــابليون: هل تحلق بالشفرة التى استخدمتها مع فوشيه ؟

فويتـــــــــسك: مَن على شاكلتى ليس لديه سكين آخر يـــا ســـيادة الجنرال.

(يرتعد للوراء)

فويتـــــــــسك: إن الإنسان القويم يحب حياته، والإنسان الذى يحب حياته لا يفتقر إلى الشجاعة، ومن لدية الـــشجاعة فهو وغد وحقير.

(دفعة إطلاق رصاص)

فويتـــــــسك: إنهم يطلقون الرصاص، يا سيادة الجنرال. إطلاق رصاص فى فناء المعسكر.

(دفعة إطلاق رصاص)

نــــــابليون: انتهى صمت القبور.

(دفعة إطلاق رصاص)

نــــــابليون: بم، بم، بم! دائما وبلا انقطاع.

(يدور حول نفسه)

فويتـــــــسك: هذا ما قالته مارى وهى ترقص مع الرائد عــازف الطبول. ما الإنسان؟ إنه عظــام وتــراب ورمــل وقذارة، ولكن هؤلاء الأغبياء. هؤلاء الأغبياء. إن الإنسان يضرب ويطلق الرصاص ويطعن ثم يفجر ويفسق.

(دفعة إطلاق رصاص)

(يلقى بموس الحلاقة على الأرض)

فويتـــــــسك: لقد انتهيت من الحلاقة يا سيادة الجنرال.

(يفتح له قميص المجانين)

فويتـــــــسك: هل تريد لوسيون بعد الحلاقة يا سيادة الجنرال؟

نـــــــابليون: دانهيل.

(يدلك فويتسك ذقن نابليون باللوسيون)

فويتـــــــسك: لابد وأنه شيء جميل يخص الفضيلة.

نـــــــابليون: إننى أتكلم لصالحك، كان ينبغى عليـك أن تقطـع الرقبة.

فويتـــــــسك: لقد كنت أرتعش.

نـــــــابليون: من البسلة، يا فويتسك من البسلة.

(دفعة إطلاق رصاص)

(يختبئ)

فويتـــــــسك: حبات زرقاء يا سيادة الجنرال، حبات زرقاء بـم، بم، بلا انقطاع.

(دفعة إطلاق رصاص)

(فويتسك يرجع للخلف ويضع أدوات الحلاقة فى الحقيبة)

فويتـــــــسك: ليست لدى شجاعة، يا سيادة الجنرال. أنـا لـست

وغدا. وداعًا يا سيادة الجنرال.

(ينصرف مسرعًا)

نــــــابليون: فويتسك.

فويتـــــــسك: ماذا تريد يا سيادة الجنرال؟

نــــــابليون: الشفرة.

(يعود ويرفع الشفرة)

نــــــابليون: أعطنى إياها.

(فويتسك يناوله الشفرة)

فويتـــــــسك: هل لا مذنب فى حق نعم أم نعم مذنبة أمام لا؟ سأعمل تفكيرى فى ذلك يا سيادة الجنرال.

(يركل نابليون فويتسك بقدمه جعلته كاد أن يقع)

نــــــابليون: إذا لم يكن المرء وغدًا فهو رجل فاضل، وأنت رجل فاضل يا فويتسك. عندما أقول أنت فإننى أقصدك أنت، وعندما أقول أنت فإننى أقصد الشعب.

(يلقى الشفرة بجانب الأرغن)

فويتسك: إن دمى يسيل.

نابليون: اخرج من هنا! إنه لمن الوقاحة أن تطلب الشجاعة من الشعب.

(ينصرف فويتسك جهة اليمين وهو يعرج)

فويتسك: انظروا كيف تطلع الشمس من بين السحب، كأن وعاء قضاء الحاجة قد انقلب.

(يخرج من الباب رقم ٥)

نابليون: فرانكلين. ادخل.

(يجب علىّ أن أحضر عصاى)

(يضرب رأسه فى المكتب)

نابليون: إن الدم يسيل من جبهتك يا فرانكلين. والدم يسيل أيضًا من فويتسك، ويسيل منك أيضًا. صباح دامى.

(بوشنر يؤدى دور فرانكلين)

فرانكلين: إصابة لا تستحق الذكر يا بونابرت. لقد اصطدمت دبابة بمقدمة سيارتى الكاديلاك.

نـــــابليون: إننى مستاء من ذلك.

فـــــرانكلين: لقد مات سائقى، إنه زنجى.

نـــــابليون: أشاطرك الأحزان.

فـــــرانكلين: "الأسود جميل" هذه عبارة مناسبة للدعايـــة. لقـــد أقلتنى الدبابة إلى جراجك.

(نابليون يعطيه المجلة)

فـــــرانكلين: ممتازة هذه الطبعة الخاصة.

نـــــابليون: لقد تم طبعها فى وقت قياسى.

فـــــرانكلين: كيف سيكون انطباع السكرتير العام؟

نـــــابليون: لقد وصل. وجين تم القبض عليها.

فـــــرانكلين: وماذا عن هوس؟

نـــــابليون: أنا قبضت عليه.

فـــــرانكلين: أنت خننته.

نـــــابليون: كان لا بد أن أفعل الذى تمليه مصلحة الدولة كمـــا

فعل الامبراطور زيجيموند.

بوشـــــــنر: التليفزيون ...

(يدخل روبسبير فى شخص الإمبراطور زيجيموند من الباب رقم ٥ ويرتدى حلة سهرة ونظارة بعين واحدة وقبعة رسمية، يرفع موسوعة ويتصفحها)

زيجيمونـــــد: هل تعلم أين الأباطرة؟ أين هم موجـودون؟ أنـا موجود فى موسوعة "ماير" لـسنة ١٩٨٧، بـين زيجماير، مكان مقفر تابع لساكسونيا بالقرب مـن زفيكاو، وبين زيجفورس، انظـر نباتـات الثـوم والبصل، وأنا الإمبراطور الرومـانى زيجيمونـد والابن الثانى للإمبراطور كارل الرابع مَن زوجته الرابعة إليزابث بومر. ولا أعرف من من هـؤلاء السادة. ربما كانوا فى النادى الملكى فـى سـانت موريتس عندما ظهرت هناك فـى دور مـارلين ديتـريش، ولكننـى لا أكـاد أصـدق ذلـك لأن الإمبراطور كارل الرابع مات بالفعل عام ١٣٧٨. وأنا أظهر دائما فى دور مارلين ديتريش.

(يتقدم ومعه كرسى إلى الأمام، يغنى)

زيجيمونـــــد: "أنا لو لا الأنيقة ..".[1]

(يجلس)

زيجيمونـــــد: أحيانا يخلطون بينى وبينها، ولكننى أفعل ذلك فقط فى دور النساء الشواذ فإنهم يحدث لهمــن إلهــام عندئذ. أنا بالأحرى مخنث. وقبل الراحـــة قمـــت بتمثيل دور فوشيه وروبـــسبيير. لحـــسن الحـــظ وضعت بسرعة دمية من المخزن على عربة يـــد، وفيما عدا ذلك، أجلس فى مقصف المصحة ألعـــب لعبة الصبر بينما يعكف موللر الأول وموللر الثانى على نصوص أدوارهم ماركس الأول ومـــاركس الثاني ولا يعرفان أنها ألغيت من مدة، كما أننـــى مطالب أن أمثل دور الإمبراطور زيجيموند. شىء سيئ. أنا سأظل كما أنا. أنا أرتدى دائما حلة سهرة الرسمية ونظارة بعين واحدة وقبعة ولا يوجد شىء أكثر من ذلك معبر عن الأنوثة. ويمكننى على هذه الهيئة أيضا أن أقـــوم بتمثيـــل دور الإمبراطـــور

---

(١) أغنية للفنانة الألمانية مارلين ديتريش.

زيجيموند، والذى عرف عنه فقط أنه وعد هــوس بالحفاظ على حريته وأنه مات فى زنيم. من يموت فى زنيم[1]؟ أين هذا المكان أساسًا. وما كتب عنى من أشياء أخرى فى موسوعة ماير، أنا لم أقرأ هذا ولأى غرض أقرأه؟ أنا لا أفهم لماذا الشخص سليل الخنازير الذى يعتقد أنه شاعر الذى مات من وقت طويل، يضعنى فى دور الإمبراطور زيجيموند. لا يوجد مبرر لذلك. فأنا لا أمثل أى قيمة فــى فــن المسرح. أنا أستطيع أن أقر ذلك. لقد أردت يومــا أن أصبح ممثلا وكان المسرح يستهوينى. ولكــن من هذا الذى يهب نفسه لفن لا يتخــذ إلا مــصحة عقلية مكانًا له. ولذا أصبحت مخنثا.

(يضع ذراعه حول كتف بوشنر)

زيجيموند: المسكين جورج بوشنر. لقد قبلت دور زيجيموند من أجله فقط. إننى أشعر كأنها أختى، بالطبع كأنه أخى. إنه يكتب ويكتب. ربمــا هــو لــم يكتــب

---

(١) كانت الهدنة فى زنيم الاتفاق على وقف إطلاق النار بين الدوق شارلز ونابليون الأول فى ١٢ يوليو ١٨٠٩ بعد معركة زنيم وإنهاء الأعمال العدائية بشكل فاعل بين النمسا وفرنسا فى حرب التحالف الخامس.

المسرحية التى نمثلها. وربما توجد أخترلو أخرى خلف أخترلو هذه، يكتب فيها مجنـــون مـــسرحية ويمثلها مجانين. ربما يقصد هذا المجنـــون الـــذى يتدحرج إلى القبر تـــدريجيًا نفـــسه وهـــو يكتـــب شخصية مجنون يكتب.

(يحدق نظره فى الجمهور)

زيجيمونـــــــد: إننى متدين لدرجة قوية. بكل أمانة. إننى أفكر فى اللـــه. إذا كان اللـــه هو الذى خلق العـــالم فمـــن الذى خلق اللـــه ومن الذى خلق الإله الذى خلـــق اللـــه الذى خلق العالم وهكذا يستمر سؤالى دائما. ودائما يوجد اله وراء اله ولقد توصلت إلى مائـــة ألف إله أو مليون، أنا لا اعرف بدقة ولكن تقريبـــا ودائما يوجد إله وراء إله. ولأنني دائم التفكير فى اللـــه حبسنى البابا فى أخترلو غير أنى لا أعرف من هو: جريجور الثانى عشر، بنـــديكت الثالـــث عشر أم يوحنا الثالث والعشرون. تم إلغاؤهم كلهم ولم يعد بإمكانى أن أسألهم.

(ينهض)

زيجيموند: باى باى جريجورى.

(يغنى)

زيجيموند: "قل لى أين الزهور"[1].

(يخرج من الباب رقم ٥)

نابليون: لماذا يقطعون علينا من دون سبب كل حوار نجريه نحن الاثنين؟

فرانكلين: المفروض على المخنث أن يظهر فقط قرب النهاية. كلمة التذكير هى الإمبراطور زيجيموند. والمفترض أن هوس سيقولها. وأنت قلتها الآن.

بوشنر: أنت لم تقرأ نصى فعلاً.

نابليون: إنه ليس جاهزًا.

بوشنر: هذا المشهد جاهز.

نابليون: لنواصل التمثيل.

بوشنر: أنا سأعلق الآن.

---

(١) أغنية للفنانة الألمانية مارلين ديتريش.

(نابليون يتناول ورقة ويقرأ)

نـــــــابليون: التليفزيون ...

فــــــرانكلين: التليفزيون...

(يعلق)

نـــــــابليون: لقد أعلن التليفزيون فى الجهة الأخرى.

فــــــرانكلين: لقد أعلن التليفزيون فى الجهـــة الأخــرى موتــك وعرض الرئيس التأييد العسكرى لفوشيه.

نـــــــابليون: لقد أمكن إفشال مساعى جين لإثارة الحرب فقــط من خلال حكم عسكرى ديكتاتورى .

فــــــرانكلين: لا أستطيع أن أفهم مدى تعطش هذه الفتاه للدماء.

نـــــــابليون: من يعتقد فى خلود الروح بالنسبة لـــه فـــإن زوال العالم بالنسبة له ليس بالأمر الـسيئ. مـــاذا عــن الرئيس؟

فــــــرانكلين: إنه غاضب.

نـــــــابليون: لماذا؟

فـــــــراتكلين: يجب عليه أن يسحب يد المساعدة. لو كان قد فعل هذا، لكان هذا تحالفًا مع حكم عسكرى ديكتاتورى آخر. يجب علىّ أن أسلم احتجاجًا يحتل المرتبة الثانية من الشدة بين الاحتجاجات التى كتبها الرئيس.

فـــــــراتكلين: الخطاب الأكثر شدة سيسلم لكارل ماركس.

نـــــــابليون: حسنا، وأنت ترى الآن أن الرئيس قد اهتدى أخيرًا إلى فكرة باهرة.

(دفعة طلقات رصاص)

فـــــــراتكلين: طلقات رصاص.

نـــــــابليون: إعدام رميًا بالرصاص.

فـــــــراتكلين: من الذى يعدم؟

نـــــــابليون: قيادات الحزب.

(دفعة طلقات رصاص)

نـــــــابليون: إننى أنتهز هذه الفرصة السانحة، حيث إن الكل مشغول بنقابة العمال، ولا أحد يفكر فى الحزب؛

وهذا سبب كاف لنقوم بتنظيف الحزب.

(طلقة رصاص)

فـــــرانكلين: ومن الآن؟

فويتــــــسك: نابليون

فـــــرانكلين: الجلاد؟

نـــــابليون: إنه لم يعد يعمل طبقًا لمـــا نريـــد. هـــل تتنـــاول الإفطار؟

فـــــرانكلين: حسنًا. سأتناول الإفطار معك.

(نابليون يصفق على يديه)

(يظهر فى الباب رقم ٥ كامبرون ومعه صينية عليها خنزير رضيع وشنبس وكأسان)

كـــــامبرون: ال- ال...

نـــــابليون: الإفطار.

كـــــامبرون: خذ ... خذ ... خنزير رضيع مشوى.

فـــــرانكلين: لا بد أن يكون قد زارنى أحد.

كـــــــامبرون: وبراندى .

نـــــــابليون: خنزير رضيع مشوى؟ .

فــــــرانكلين: الأفضل لا.

نـــــــابليون: براندى؟

فــــــرانكلين: نعم، بكل سرور.

(يصب لنفسه. نابليون ينقل الخنزير الرضيع جهة اليمين بجانب الأرغن)

فــــــرانكلين: من أجل كرايزلر[1] غدا سيكونون قد زحفوا.

(فرانكلين يشرب ويحملق فى نابليون فى ذهول)

فــــــرانكلين: سيكونوان؟ لقد وصل كارل ماركس.

نـــــــابليون: وماذا بعد؟ سيهنئنى على نظامى العسكرى الديكتاتورى وسيطير فى المساء عائدًا إلى بلاده

---

(١) فريتس كرايزلر (ولد فى ٢ فبراير ١٨٧٥ وتوفى فى ٢٩ يناير ١٩٦٢) عازف كمان ماهر له نبرة جميلة أسطورية وقدرة على التعبير وموهبة طبيعية، وكان طفلا موهوبا. فاز بالجائزة الذهبية من كونسرفتوار باريس، استمر عمله كعازف لمدة ٥٠ عاما.

ويبقى قواته فى بلده.

فرانكلين: لقد أصدر أوامره بالقبض على الآنسة.

نابليون: يمكننى أن أتصور ماذا ينوى أن يفعل بها.

فرانكلين: أريد كأسا أخرى من البراندى.

(يصب لنفسه)

فرانكلين: هل تعتقد ...

(يفرغ الكأس)

فرانكلين: هل تعتقد يا نابليون أنه لن يقوم بالزحف؟

نابليون: لو اعتقد الرئيس بالفعل أن حكمى الديكتاتورى يستند على ماركس فلن يزحف، وماركس سيعرض نفسه للسخرية لو قاموا بالهجوم.

(يضحك)

فرانكلين: أريد كأسا أخرى من البراندى.

نابليون: المهم أن تبقى الآن واعيًا، ويمكنك أن تشرب حتى السكر فى الطائرة.

(يضع فرانكلين مطيعًا الكأس فى الصينية)

نابليون: فلقد تتسبب فى قيام حرب عالمية ثالثة، إذا ما اعتقد الرئيس أننى أقمت ديكتاتورية عسكرية بدافع شخصى. هات العربة.

(يضع كرسين فى المقدمة ويعرض بهما سياسته)

نابليون: هناك كتلتان عظيمتان: كتلتكم وكتلتنا، وكتلتكم عبارة عن تحالف بين بعض الدول وكذلك كتلتنا، وكتلتكم تهيمن عليها قوة عظمى وكذلك كتلتنا.

فرانكلين: من المستحيل أن تستطيع المقارنة بين هاتين القوتين.

نابليون: بل إن فكرتى تقوم على أساس المساواة بينهما.

فرانكلين: الفروق فروق.

نابليون: إن كلاً من القوتين العظميين تعتقد أن الأخرى تسيطر على حلفائها سيطرة تامة.

فرانكلين: وكذلك الحال فى معسكركم.

نابليون: إن اعتراضك هذا يؤكد أن تفكيرى لم يكن خطأ تمامًا، فأنت تسقط على معسكرنا الصورة التى تريد أن تراها له. وهناك دليل آخر على صحة فكرتى، وهو أننا نقع فى الوهم نفسه عندما نتصور معسكركم على الصورة التى نريدها نحن. إن أى محاولة للتغيير السياسى فى مجالى القوتين العظميين تنسب إلى تدخل القوة العظمى الأخرى. أى أن نقابتنا الحرة أنتم السبب فيها، وحركة السلام عندكم نحن السبب فيها.

فرانكلين: أمور عادية جدًا.

نابليون: إن أساسيات المنطق كذلك أمور عادية جدًا، قضية التطابق وقضية استبعاد العامل الثالث إلى آخر ذلك؛ ولكن ما أهم ما يمكن استنتاجه من هذه الأمور الأساسية العادية جدًا. حسب رأى الرئيس لا يحدث أى شىء فى معسكرنا دون إرادة ماركس، ولا حتى استيلائى على السلطة. ولأن الرئيس يعتقد ذلك فإن السكرتير العام لا يفعل أى شىء يمكن أن يهدم اعتقاد الرئيس. وفى اللحظة

التى يعتقد فيها الرئيس أننى تصرفت حسب إرادتى الشخصية، سيزول السبب الذى من أجله لا يتحرك ماركس ضدى، وبالتالى فإننى لن أستطيع أن أمنع الحرب بين جيشنا وقواته، ولا بد للرئيس أن يتدخل.

فـــــراتكلين: لعبتك فيها كثير من المجازفة.

نــــــابليون: إننى أعتمد عليك فى أن تؤكد للرئيس اعتقاده، بأننى تصرفت حسب الأوامر وإلا نشبت الحرب الذرية.

(يصب لنفسه)

فـــــراتكلين: نابليون

نــــــابليون: فرانكلين؟

فـــــراتكلين: يجب أن أعود إلى سفارتى.

نــــــابليون: الدبابة تحت تصرفك.

فـــــراتكلين: فتكون تلك حكاية عجيبة.

(يشرب. يضع الكأس على الصينية)

نـــــــابليون: انصرف يا كامبرون.

(كامبرون سكران، يخرج من الباب رقم ٥)

فـــــــرانكلين: لقد دعوت دائمًا فى كتاباتى للحياة البسيطة، وكنت أومن بالنجاح فى الحياة عــن طريــق الاجتهــاد، واتباع الحق، وجهــاد الــنفس، والاقتــصاد فـــى المعيشة.

نـــــــابليون: وبعد؟

فـــــــرانكلين: على الرغم من التقاط صور لى وجـــين بواســطة جهاز مخابراتك؟

نـــــــابليون: مقبول.

فـــــــرانكلين: لقد تأسست الولايات المتحدة الأمريكية باسم اللــــه وباسم العقل. إننى، بجانب واشنطن وجيفرســـون ولنكولن، أمثــل فـــى نظــر الأمــريكيين رمــز الديمقراطية ونموذجها الحى.

نـــــــابليون: لقد كنت كذلك أنا أيضًا فى يوم من الأيام، وأهدانى بيتهوفن سيمفونية البطولة.

فـــــــــراتكلين: لقد ألغى الإهداء بعد ذلك.

نـــــــــابليون: المؤلفون الموسيقيون متقلبو المزاج.

فـــــــــراتكلين: عندما تعرض صورى على حوائط مطعم الجنود، وأنا عارٍ فى الفراش مع العذراء فسيشطب اســمى من كتاب التاريخ.

(نابليون ينهض واقفًا)

نـــــــــابليون: الصور والنيجاتيف وصلوات بالفعل فى ســفارتك، ومرسلة إليك شخصيا. وداعا يا ينجامين.

(هوس يدخل من الباب رقم ٥ وفى يديه كلبشات ويرتدى قبعة الزنديق)

هـــــــــوس: ألا يوجد أى شىء للأكل فــى هــذه الثكنــة. إن الفلاحين يتحفظون على المواد الغذائية. إن بعــض المخللات التى حصلت عليها عندك أمــس كانــت آخر وجبة تناولتها. عندما أرجــع بالــذاكرة إلــى الوراء وأفكر فى العصيدة التى كانت تحشى فــى فمى أنا والبابا فى جوتليبين عندما كنا معًا فى نفس السجن، كان الماء يتجمع فى فمي. أى غرابة فــى

أننى لا أجمع أى شئ للأكل. يا بوشنر، تول قراءة النص.

(يخرج مسرعا من الباب رقم ١)

بوشـــنر: كيف وجدتنى؟

نـــابليون: أنت أعطيتنى العنوان بنفسك. لقد وجدت فى المكان حيث ينبغى علىّ أن أختفى.

بوشـــنر: هل سيزحفون؟

نـــابليون: لا.

بوشـــنر: ولماذا قبضت علىّ إذن؟

(هوس يأكل)

نـــابليون: حتى لا يزحفون.

بوشـــنر: أنت مع من حقيقة؟

نـــابليون: أنا مع الحل الوحيد.

بوشـــنر: ما عساه؟

نـــابليون: فى الأيام القادمة سأعطى أوامرى بالقبض على

الآلاف منكم.

بوشـــــنر: لا يمكنك أن تقهر الإضراب العام.

نـــــابليون: سيقع قتلى.

بوشـــــنر: كثير من القتلى.

نـــــابليون: سيتقبل الشعب شيئا فشيئا حالته الميئوس منها.

بوشـــــنر: وأنت تسمى هذا حلا؟

نـــــابليون: الحل الوحيد.

بوشـــــنر: وماذا أنت فاعل بى؟

نـــــابليون: سيتم التحفظ عليك فى فيلا فوشيه.

بوشـــــنر: دعهم يقتلوننى بالرصاص.

(يعود هوس من الباب رقم ٨)

نـــــابليون: هناك آخرون لهذا الغرض هنا.

هـــــوس: لم أجد أى شيء. صالة الطعام والمطبخ مملوءتان بالذباب. وفى المخزن تلتهم فئران ميتة.

بوشنر: أفضل أن يحرقونى.

هوس: من أين لك بهذا؟

بوشنر: هذا نصك.

نابليون: أنت لم تعد فى كونستانس. اسكب بنفسك البنزين على جسدك وولع فى نفسك بدلا من الغليون: سيضعون الزهور والشموع لبضعة شهور ثم ينسونك. إن عدد الشهداء قد تجاوز اليوم الحد. وتجاوز الحد عدد الذين يحرقون أنفسهم بأنفسهم.

هوس: لقد كنا أصدقاء.

نابليون: وما زلنا أصدقاء.

بوشنر: الإمبراطور زيجيموند تخلى عنى أيضا فى كونستانس.

نابليون: غباء.

(يدخل الإمبراطور زيجيموند، يغنى)

زيجيموند: "هل تعلم أين الأباطرة؟ أين مكثوا؟" أنا أوجد فى موسوعة ماير لعام ١٩٨٧، بين زيجماير من

زفيكاو- وزيجفورس. مكان مقفر تابع لساكسونيا بالقرب من

(هوس يتناول كرسيًا، ويسرع نحوه)

هوس: زيجيموند.

(يهرب زيجيموند من الباب رقم ٥، هوس وراءه)

(يدخل من الباب رقم ٧ من الخلف ريشيليو. يرتدى ثوبًا أسود وأبيض للرهبان الترابيستين. يحمل على ذراعيه كلبة صغيرة رملية اللون ومغطاة بفوطة بنفسجة)

ريشيليو: بونابرت.

نابليون: ريشيليو! أنا فى حاجة إلى بركة الكنيسة.

(يرتمى تحت قدميه. يندهش.)

نابليون: ما هذا الثوب الفظيع الذى ترتديه؟

ريشيليو: سأدخل فى دير (الترابستيين).

نابليون: وما الداعى لهذا؟

ريـــــــشيليو: حتى أغلق فمى فى نهاية الأمر.

نــــــابليون: إنك مبتلٌ تمامًا. ٠

ريـــــــشيليو: مدفع مياه من مدافع رشاشات المياه التى تخصك.

نــــــابليون: ألم تكن جالسًا فى سيارتك المرسيدس؟

ريـــــــشيليو: لقد كنت واقفًا فى المكان الخلفى لسيارة الكابورليه لكى يرانى المؤمنون، أنا المذنب الدنىء. عنـــدما وصلنا لمعسكرك، كنت كمن يقف فى بانيو الحمام، لقد تجمدت أوصالى من البرد.

نــــــابليون: اخلع عنك هذه الثياب المبتلة بأسرع ما يمكن.

ريـــــــشيليو: أنا أخلع ملابسى؟ أبدًا.

(يعطس)

ريـــــــشيليو: لقد أمر ماركس بالقبض على جين.

نــــــابليون: لديه جميع الأسباب لذلك.

ريـــــــشيليو: إذا أمر ماركس بإعدامها ستعلن الكنيسة قدســيتها للمرة الثانية.

نـــــــابليون: نادرًا ما يكون ماركس عديم الحرص إلـــى هـــذا الحد.

ريــــــــشيليو: وماذا عن يان هوس؟

نـــــــابليون: سآمر بالقبض عليه.

ريــــــــشيليو: اقبض عليّ بدلاً منه.

نـــــــابليون: لن أجعل نفسى عرضة للسخرية.

ريــــــــشيليو: وهذه إجابتى.

(يضع جثة الكلبة أمام قدمي نابليون)

ريــــــــشيليو: كلبة ميتة داستها دبابة أمام قصرى. ما ذنب هـــذا الحيوان. ما علاقة هذا الكائن الضعيف الذى يشبه عجينة من اللحم والعظم، والجلد ذى اللون الرملى بخططك يا بونابرت؟

(ينهض نابليون ويحدق عينيه فى الجثة)

نـــــــابليون: إذا لم أقض على ثورة الشعب الآن فستحدث حرب أهلية، فإذا قامت الحـــرب الأهليـــه فـــسيقاومونهم بالهجوم. السكرتير العـــام موجـــود فـــى البلـــد،

والكردينال ريشيليو يضع كلبة ميتة أمام قدمى. أنا لا شأن لى بهذه الجثة.

ريـــــــشيليو: لا شأن لك بها؟ وإذا كانت الجثة لطفل، لا يكـــون لك شأن بها. وإذا كانت هناك جثث مائة طفـــل. لا يكون لك شأن بها؟

(يلقي الفوطة البنفسجية في وجهه)

ريـــــــشيليو: وخطط يان هوس الذى نفـــذ مخططاتـــك، وكـــذلك خططى أنا التى قامت على خططك أنت، تقول إنـــك لا شأن لك بها؟ وهل ليس لك شأن بخطط مـــاركس التى تحاول أنت أن تؤثر عليها. لا شأن إذن لخططنا كلها بهذه الكلبة المقتولة؟ بتاتًا. بتاتًا؟ إننى أرتعد.

نـــــــابليون: هل تشرب شايًا بالبراندى؟

ريـــــــشيليو: لا تهتم بصحتى ولا بخيرى فى الدنيا.

نـــــــابليون: أسنانك تصطك.

(يحضر معطف الإمبراطور)

ريـــــــشيليو: إنها رعشة الحمى.

نــــــابليون: سآمر بإحضار الطبيب.

ريــــــشيليو: حذار من التدخل فى إرادة اللــه.

نــــــابليون: دفئ نفسك على الأقل.

ريــــــشيليو: لقد فقدت وعيك.

نــــــابليون: إن يديك وثوبك ملطخة بالدماء.

ريــــــشيليو: أيزعجك هذا يا بونابرت؟

(يتحسس نبضه)

ريــــــشيليو: إن نبضى يشتد سرعة.

(يسعل)

ريــــــشيليو: الحمد للــه ربنا. السعال مؤلم. وينــذر بالتهــاب رئوى، ليتنى أصاب بما أسوأ من ذلك، هــل مــن سيجار قوى؟

نــــــابليون: اللــه وحده يعلم كل ما بسلة الغسيل هذه.

(يبحث)

(يعطى ريشيليو ما طلبه)

ريـــــــــشيليو: بل إننى أريد الآن معطف الإمبراطور.

نــــــــــابليون: تفضل.

ريـــــــــشيليو: لو سمحت لى بأن التصق بجانبك

(يدخن)

نــــــــــابليون: بالطبع.

(يلتف كلاهما بالمعطف ويجلسان على السرير)

ريـــــــــشيليو: إن رعشة الحمى تجمد أفكـــارى ويتـــصاعد مـــن جسدى صقيع جهنم.

(هوس، وكرسي يتأرجح بيده يلهث أنفاسه وهو يطارد زيجيموند على المسرح من الباب ٩ إلى ٣)

ريـــــــــشيليو: يدفئ.

(يدخن)

ريـــــــــشيليو: كتب أحد العلماء وكان يبحث فى موضوع الزمان والمكان ذات مرة، إذا ارتبطت نظريات الرياضـــة بالواقع كانت غير يقينية، وإذا كانت يقينية فإنها لا

تنطبق على الواقع.

(يسعل)

ريشيليو: أنا متشوق، هل سأصل يا ترى إلى الدير في حالتي الميئوس منها.

نابليون: الإسعاف جاهز.

ريشيليو: إن الوخز يزداد، وشيء رائع أن ينتشر مرض مميت في الجسم.

(هوس يطارد، كما سبق، زيجيموند من الباب ١ إلى ١٠)(ريشيليو يدخن)

ريشيليو: وما كتبه هذا المفكر المجهول ينطبق أيضًا على علم اللاهوت والأيديولوجيات، فإن نظريات اللاهوت والأيديولوجيات إذا ارتبطتا بالإنسان أصبحت غير يقينية، وإذا كانتا يقينيتين فإنهما لا ترتبطان بالإنسان. علم اللاهوت والأيديولوجيا لايصدقان إلا في مجال خال من البشر. وكان يجب عليّ وأنا قسيس أن أدرك ذلك. لا كمال للمسيحية لها إلا من دون المسيحيين.

(يظهر كامبرون من الباب رقم ٥)

كامبرون: أنا أنا.

ريشيليو: ماذا تريد يا بيير جاك إتيان دى كامبرون؟ أيها النبيل الفرنسى؟

كامبرون: لقد نسيت كلمتى.

ريشيليو: إننى أعرفها، إنها تناسب حالة الكنيسة. انصرف إلى حيث أتيت.

(يخرج كامبرون من الباب رقم ٤)

ريشيليو: أنت يا نابليون وأنا وكارل ماركس جلبنا جهنم إلى الأرض، ولولانا لبقى الإنسان كالقرد البسيط بصفات إنسانية لا يستهان بها، كما خلقهن الله. الذى جعل من الإنسان شيطانا هو تمسكنا بالمنطق. لقد اخترعنا عالمًا من دون الإنسان؛ لأننا لم نحبه بكل صفاته الطيبة والشريرة، بكل ضعته وكل عظمته. أنت تحلم بإعادة بناء الإمبراطورية الرومانية وأنا كنت أحلم بالدولة المطلقة، دولة المنة الإلهية. وصديقنا الطيب كارل ماركس كان يحلم باليوم المستحيل، يوم الثورة العالمية، ولكننا لم نحلم فقط بل خططنا أيضًا، لا بل نفذنا وأقحمنا الإنسان الناقص فى تهيؤاتنا عن الكمال.

(يسعل)

ريشيليو: لقد اكتشفت ذلك عندما وجدت هذه الكلبة التى سحقتها الدبابة. لقد خيل إلىّ أن البشرية كلها سحقت.

(يدخن)

ريشيليو: إن رحمة الرب دائمًا إلى الأبد. لقد بدأت أحس وخزات الألم فى الصدر. التدخين يعجل بالنهاية. إن أى تجديد للحزب مستحيل تماما، مثل تجديد الكنيسة أو تغيير الرياضيات. هناك بالتأكيد إضافات إلى ما سبق، فمثلا انضمت الهندسة غير الإقليدية إلى الهندسة الإقليدية، ولكن لا الشعب كله يتكون من رجال الدين، ولا تلاميذ المدرسة كلهم من علماء الرياضة، كما أن الماركسيين يعتبرون هؤلاء الذين يريدون تطوير أفكار الماركسية بمثابة مجانين.

(يسعل فى المنديل)

ريشيليو: سيل من الدم. وأنا الآثم ناديت بالكنيسة الماركسية

الكاثوليكية العالمية التى تستأثر وحدها بسعادة البشر. رائع هذا السيجار ماركة مونت كرستو نمرة واحد.

(هو سيعود وهو يعرج من الباب رقم ٥)

هوس: الآن قضيت عليه.

(ريشيليو ينهض. يسعل فى المنديل)

ريشيليو: الآن يمكننى أن أتذكر متى رأيتك لأول مرة يا يان هوس، عندما أحرقوك فى كونستانس، كنت فى فلورنسه أناقش مبادئ المنظور مع برونيلليسكي، وأضعت على نفسي فرصة مشاهدة الإعدام حرقًا. ولكنك ظهرت مرة أخرى بعد أكثر من مائتى عام تحت اسم جيتون عمدة المدينة الهوجينوتية البروتستانتية لاروشيل التى فرضت أنا عليها الحصار أكثر من عام حتى مات أهلها من الجوع، فلم يتبق من خمسة وعشرين ألفا إلا خمسة آلاف فقط عند الاستسلام. وأنت تمر أمامى تجر جسدك المتثاقل وهو أقرب إلى الهيكل العظمى من جسد إنسان. واعتقدت أننى انتصرت عليك، ولكننى

كنت مجنونا يا بونابرت وبقيت حتى الآن مجنونًا. إننى أريد أن أسب وألعن ولكن عملى هو أن أصلى وأدعو.

(يصلى)

ريشيليو: يا إلهى. يمكننى أن أنسى المكان وامتداده اللانهائى إلى المجرات السماوية والزمن بالثوانى المنقضية هنا وهناك. يمكننى أن أنسى نفسى، إنسان حقير يحاول أن يعرف نيَّاتك. يمكننى أن أنساك، وأن سبب وجودك لم يعد يقنعنى لكن فقط هذه الكلبة التى دهستها الدبابة، فلا.

(يركل جثة الكلبة بقدمه)(يرفع جثة الكلبة إلى أعلى، يضعها على كتفيه. نابليون يضع معطف الإمبراطور كسجادة أمام قدميه. ينصرف ريشيليو من الباب رقم ٧)

هوس: من هزم من ومن هو أكبر مجنون فى بيت المجانين هذا؟ لقد قمت بتمثيل دور فويتسك ودور هوس. واعتقدت أنه يمكننى تمثيل دور فويتسك وخفت أن ألعب دور هوس. والآن لم أعد أخاف. لقد كان كلانا فويتسك. وكنا نحن الاثنين

متواضعين لدرجة كبيرة. طلبنا فقط الممكن وتم استغلالنا. لقد كنا ضحايا طيبتنا غير المكتملة. إن فويتسك لم يجرؤ عليّ أن يغمض عينيه وأنا كنت متمسكًا بالنظام القديم.

(يحضر حقيبته الصغيرة من خلف بوابة المسرح ويجلس عليها)

هـــوس: عنما كنت ما زلت قسيسًا فى كنيسة الزهاد الصغيرة قرأت عن عالم فلك يدعى تيخو برايى[١]. كان يريد أن يجدد النظام البطلمى الذى تؤمن الكنيسة به وكان يعلم أن الشمس والقمر يدوران حول الأرض وباقى الكواكب تدور حول الشمس. كان أعظم علماء الفلك فى زمانه. ولم يكن هناك أحد آخر يراقب السماء بنفس الدقة مثله، كان يريد أن ينقض نظرية كوبرنيكوس وترك معلوماته

---

(١) تيخو برايى عالم فلك ولد فى ١٤ ديسمبر ١٥٤٦ فى سكانيا بالسويد وتوفى فى ٢٤ أكتوبر ١٦٠١ فى براج. كان معروفًا بمواقفه الدقيقة والشاملة الفلكية والكواكب وكان معروفًا بأنه عالم فلك وكيميائى. وقد وصف بأنه أول العقل المختص فى علم الفلك الحديث لاهتمامه بضبط الحقائق التجريبية.

ليوهانس كبلر[1] على أمـــل أن يثبـــت نظريتـــه، نظرية برايى ولكن بهذه المعلومات أثبت كبلـــر أن كوبرنيكوس[2] على حق. أثبت مـــا لـــم يـــستطع كوبرنيكوس أن يثبته بنفسه ولا حتى جـــاليليو. إن أردت ما أراد برايى: إصلاح فقط. ولـــم أدرك أن إصلاح نظام خـــاطئ إنمـــا يـــساعد فقـــط علـــى استمراره خلال الأزمنة. إنـــه الاحتـــرام اللعـــين للسلطة الذى تعلمناه من الرسول بطرس. يطالبنـــا به هؤلاء الـــذين يمتلكـــون الـــسلطة، والدولـــة، والحزب، والكنيسة التى تتحالف مع الذين يمتلكون السلطة وتواسى الذين يعانون القهر. سأذهب إلـــى فيلا فوشيه وأزداد سمنة مثل لوثر فى فيتنبرج.

(يبدأ يعزف الناى من جديد)(ماركس الأول يظهر من الباب رقم٥)

كارل ماركس: أنا كارل ماركس، ولدت فى الخامس من مايو عام

---

(١) يوهانس كبلر عالم رياضيات وفلكى وفيزيائى ألمانى ولد فى ٢٧ ديسمبر ١٥٧١ وتوفى فى ١٥ نوفمبر ١٦٣٠. كان أول من وضع قوانين تصف حركة الكواكب من قبل كوبرنيكوس وجاليليو.

(٢) كوبرنيكوس فلكى بولندى ولد فى ١٩ فبراير ١٩٧٣ وتوفى فى ٢٤ مايو ١٥٤٣. أول واضع لنظرية دوران الأرض والكواكب حول الشمس التى على أساسها أسس علم الفلك الحديث.

١٨١٨ فى ترير وتوفيت الرابع عشر من مـــارس عام ١٨٨٣ فى لندن. إننى غيرت العالم غير أنـــه لم يذكر اسمى موسوعة تاريخ العالم العام الصادرة فى ليبتسج عام ١٨٨٢. أنا يهودى وحفيـــد لأحـــد الأحبار. وقد اعتنق أبى المسيحية لكـــى لا يظـــل يهودى ولكى يتفادى الإهانة والاحتقار، أصـــبحت أنا مفكرًا لكى ألغى الإهانة والاحتقار اللتين يعانى منهما الناس من قبل الناس. وفى المكتبة البريطانية فى لندن اطلعت التاريخ العالمى وألفت كتاب رأس المال مدفوعًا بتهديد الناشر الألمانى بأنه ســيوكل كتابته إلى شخص آخر. وتمكنت فقط من الانتهاء من كتابة الجزء الأول. وكتـــب صـــديقى أنجـــل الجزءين الثانى والثالث. وكرهت الأديان وأسست دينًا جديدًا. وكما اختار يهوه شعبه اخـتــرت أنـــا البروليتاريا، وكما سلم موسى الـــشعب المختـــار قوانين يهوه سلمت أنا قوانين التاريخ العالمى.

(يقع نظر ماركس الأول على هوس)

ماركس الأول: أيها الرفيق.

(يمد ذراعيه للعناق)

هـــــــوس: أيها الرفيق.

ماركس الأول: فلنتعانق.

هـــــــوس: لا أستطيع.

(يتأمل ماركس الأول هوس بنظرة فاحصة)

ماركس الأول: هل أنت مقيد بالكلابشات؟

هـــــــوس: إن هذه موضة بيننا اليوم نحن البروليتاريين.

ماركس الأول: غريب. أيها الرفيق بونابرت.

هـــــــوس: أيها الرفيق ماركس.

ماركس الأول: هناك عفريت يحوم حول أوربا.

هـــــــوس: وإلى أى مدى.

ماركس الثانى: تاريخ المجتمع حتى الآن هـو تـاريخ الـصراع الطبقى.

(ماركس الأول ينظر إلى يان هوس بنظرة ناقدة)

ماركس الأول: أنت ترتدى قبعة غريبة. أيها الرفيق بونابرت.

هـــــــوس: هذه أيضا موضة.

ماركس الأول: أهى بين المجموعات الموالية للحزب؟

هـــــــوس: بين طوائف العمال.

ماركس الأول: هذا أمر مشكوك فيه. أيها الرفيق بونابرت. وماذا عن ملابسك؟

هـــــــوس: طبقا لوضعنا الاقتصادى.

ماركس الأول: تبدو كملابس من العصر الوسيط وعلى أى حـــال لقد أصبحت أخيرًا قصير النظر لدرجة كبيرة جدًّا.

هـــــــوس: هذا يؤسفنى.

(ماركس الأول ينظر إلى هوس بنظرة فاحصة)

ماركس الأول: ألست الرفيق بونابرت؟

هـــــــوس: ومن أكون غير ذلك. أيها الرفيق ماركس..

ماركس الأول: لقد أصبحت مهملاً فى مظهرك كل الإهمال أيهـــا الرفيق بونابرت. كمـــا أنـــك لـــم تعـــزف نـــشيد

الاشتراكيين على الناى.

هـــــوس: باخ. مقطوعة موسيقية للناى على السلم الموسيقى.

ماركس الأول: إننى أصدرت المنشور الشيوعي عام ١٩٤٨ لكى تعمل حركة البروليتاريا. واعتقــدت أن الحركــة المستقلة للأكثرية العظمى تمثــل آراء ومــصالح الأكثرية. وقلت: " إن البرجوازية لم تــضع فقــط ظهور السلاح الذى سيقضى عليها، بل إنها أيــضا أنجبت الرجال الذين يــستخدمونه. وهــم العمــال المحدثون البروليتاريون". ولإيمــانى بــأن علــى تعاقب العصور ينشأ ذاتيا دائما وحتما نظام عالمى متعقل فإننى وضعت السلاح للأكثرية العظمى من الناس ومكنتها من أن تحكم أكثرية عظمى.

(يضع نفسه بمساعدة يان هوس على الفراش. ونابليون يغطيه بمعطف الإمبراطور)

هـــــوس: سيكون من الأفضل لو كان من الممكن أن أعــود الآن إلى كنيسة الزهاد على ناصية شارع أويجــن موزر وحارة بفتسنر، إلى الخمس عشرة امــرأة. سأعلن لهم الموعظة على الجبل التى لو اتبعوهــا

ستنفجر ثورة لا يقدر عليهـــا كنيـــسة ولا حـــزب ولا نظام، وأثناء ذلك النـــسوة ســـيغزلن ويخلـــدن إلى النوم.

(هوس يسير ببطء عازفا على الناى إلى الخارج من الباب رقم ١٠)(فى نفس اللحظة يأتى ماركس الثانى من الباب رقم ٧)

نـــــــابليون: وها هو السكرتير العام يأتى أيضًا.

ماركس الثانى: أيها الرفيق.

نـــــــابليون: أيها الرفيق.

ماركس الثانى: فلنتعانق. فليقبل بعضنا بعضنًا.

نـــــــابليون: فلنتعانق. فليقبل بعضنا بعضنًا.

(يأتى هوس من جهة اليمين، يأخذ حقيبته الصغيرة ويختفى مرة أخرى)

ماركس الثانى: ألم يكن هذا هوس؟

نـــــــابليون: لقد أصدرت أوامرى للتو بالقبض عليه.

ماركس الثانى: إنه يعزف موسيقى على الناى.

نـــــــابليون: باخ. مقطوعة على السلم الموسيقى.

ماركس الثانى: وأصدرت أمرًا بالقبض على شريكته جين دارك.

نـــــــابليون: هذا ذكاء منك.

ماركس الثانى: يقال إنها قديسة.

نـــــــابليون: إن البابا لا يؤمَن جانبه.

ماركس الثانى: نحن نتفاهم معه دائما بصورة أفضل. ولكـــن مـــا فعلته مع روبسبيير العجوز الهرم في الفراش...

نـــــــابليون: موتة جيدة.

ماركس الثانى: إن خياط السيدات هو الوحيد الذى أصابه الذهول.

(يلكم نابليون مداعبًا)

ماركس الثانى: إنه ذكاء منك أن تعلن الأحكام العرفية فى البلاد.

نـــــــابليون: إنه المخرج الوحيد.

ماركس الثانى: أنت تتجنب زحفى، أليس كذلك؟

نـــــــابليون: إننى أريد أن أمنع أى تصرف خطأ يمكن أن يؤثر على مصالحنا المشتركة.

ماركس الثانى: أنت أذكى من أن تخطئ مثل مـــا فعـــل هـــوس الطيب. وأنا أذكى من أن أزحف.

(يغرق مرة أخرى فى النوم)

ماركس الأول: إن هوس على حق.

ماركس الثانى: ومع ذلك.

(يضحك)

ماركس الثانى: السؤال عما إذا ما كان هوس على حق أم لا ليس مهما تماما مثل سؤالنا عما إذا كان المنشقون على حق أم لا. فالموضوع هو الصراع بـــين قـــوتين عالميتين، وهذا من خلال انقلاب فـــى الاقتـــصاد العالمى مـــن خــلال تكنولوجيـــا تقـــضى علـــى ديكتاتورية البروليتارى من خلال القـــضاء علـــى البروليتاريا فلن يكون هناك حاجة إلـــيهم وأيـــضا عندنا. وسيدهش الرفقاء من ذلك. وتجتاز أراضينا أعداد لا حصر لها من منظفى الشوارع لم يكونوا

موجودين. هذا هراء بلا جدوى. يا إلهى. يا إلهى. أين الأقراص؟ أين وضعت أقراصى التى تساعد على استعادة ذاكرتى عافيتها. يجب علىّ أن أهتم بذاكرتى قصيرة المدى.

(يحضر كرسي هوس ويجلس)(بوشنر يصرخ)

بوشـــــنر: لو أخذ الكرسى منى فلن ينتهى الفصل الأول أبدًا.

(مارك الأول يستيقظ)

ماركس الأول: إن النظام الاقتصادى الاشتراكى لا يمكن أن يربح إلا عندما يزدهر النظام الرأسمالى. والنظام الرأسمالى لا يمكن أن يزدهر إلا عندما يتسلح، ولا يمكن أن يتسلح إلا عندما يدعى أن النظام الاشتراكى متقدم عليه فى التسلح، والنظام الاشتراكى يجب أن يتسلح لكى يواكب تقدم النظام الرأسمالى فى التسلح، وعندما يتقدم النظام الرأسمالى فى التسلح فإن النظام الاشتراكى لا يمكن أن يهاجمه لأن النظام الرأسمالى لن يكون قادرًا على الازدهار عندئذ، وإذا تفوق النظام الاشتراكى ذات مرة فى التسلح فلن يهاجمه النظام

الرأسمالى لأنه سيفلس فى هذه الحالة.

(يأخذ وقفة تفكير علىّ الفراش)

ماركس الثانى: لقد كتب بوشنر هذا النص لى.

نـــــابليون: قاله بسرعة وإتقان.

ماركس الثانى: يقال إنك عملت فى وقت ما وزيرا للخارجية.

نـــــابليون: ذات مرة.

ماركس الثانى: لقد نسيت ما كنته فى يوم من الأيام.

نـــــابليون: أنت الآن السكرتير العام.

ماركس الثانى: أى سكرتير؟

نـــــابليون: ليست لهذا أهمية.

ماركس الثانى: علىّ أن أعمل فكرى.

(ماركس الثانى يأخذ وقفة تفكير بجانب الهيكل العظمى)

(تأتى جين من الباب رقم ١، فى قميص المجانين المفتوح، سيجارة فى الفم)

(يأتي كامبرون من الباب رقم ١٠)

كـــــامبرون: هل أنت جين؟

جــــــين: أنا جين.

كـــــامبرون: أنت رأيت القديسة كاتارينا والقديـسة مارجريتـا ورئيس الملائكة ميشائيل؟

جــــــين: لقد رأيتهم وتحدثوا معي.

كـــــامبرون: لقد نسيت كلمتي المشهورة. لقد تذكرتها ثانية ذات مرة. فجأة تمامًا. كما لو كان نورًا مضيئًا. ولكنني نسيتها الآن من جديد. أنت قديسة. هل تـستطيعين أن تقوليها لي؟

جــــــين: لن أستطيع أن أساعدك. عليك أن تنتظـر حتـى يساعدك القديسون.

كـــــامبرون: إذن فلن يستطيع أحد أن يساعدني. كمـا أنـه لـم يقدمني أحد بطريقة صحيحة. ولكنني الآن لم أنسَ كلمتي المشهورة بل إنني نسيت من أكون ولـيس فقط من أكون، بل نسيت أيضا من كنت. إنني لـم أعد أي شيء.

(ينصرف وهو حزين من الباب رقم ١)

جـــــين: نابليون بونابرت.

نـــــابليون: ماذا تريدين؟

جـــــين: لقد أعدم أبى رميًا بالرصاص.

نـــــابليون: إنه أعدم فوشيه.

جـــــين: تنفيذا لأوامرك.

نـــــابليون: إننى لم أعرض عليك أن ترفعى الكلفة فى حديثك معى.

جـــــين: إنما ترفع الكلفة عندما نتحدث إلى الخونة.

نـــــابليون: أعطنى سيجارة.

(يتبادلان السيجارة بصعوبة من خلال الأكمام الطويلة لقميص السجن)

جـــــين: سيجارة إنجليزية.

نـــــابليون: أنت كريمة.

جـــــين: وماذا عن كليهما؟

(تومئ برأسها إلى ماركس الأول والثانى)

نــــــــابليون: لقد ألقوا القبض عليك.

جــــــــــين: مولوتوف ألقى القبض علىّ.

نــــــــابليون: نيابة عنهم.

جــــــــــين: ألا يزالان على قيد الحياة؟

نــــــــابليون: لقد أصبحا آثارا تذكارية.

جــــــــــين: هل يسمح بلمسهما.

نــــــــابليون: أعتقد نعم.

جــــــــــين: الأفضل لا.

نــــــــابليون: الأفضل لا.

(ماركس الثانى ينهض واقفا)

ماركس الثانى: أنا أحتاج إلى الإنسان الجديد الذى هو أمين ومجتهد وواع وأنبل من ذلك. لا بد من برنامج جديد. إن العمل الذى ينتظرنى يتطلب مجهودًا جبارًا.

(يسير إلى بوشنر، ثم إلى الأمام)

ماركس الثاني: إن صعودي للسلطة كان بلا إراقة دماء في وقت تطاحن فيه وطني في حرب دامية ونهش جسده. وقد انحصر في أنني كنت أستمع إلى الخطب وألقي خطبًا وأكتب تقارير عن الخطب التي استمعت إليها وألقيتها، ومع أنه بدا لي أخيرًا أنها نفس الخطب التي استمعت إليها من قبل وأنها نفس الخطب التي ألقيتها، وأن التقارير التي كنت أكتبها عنها هي نفس التقارير السابقة، وأنه على الأكثر كان لا بد من وقت لآخر تبديل أسماء بأسماء أخرى، فإن هذه الخطب كانت خطواتي للصعود وهذه الخطوات كانت تبدو واحدة وكل مرة بعد ألف من الخطب المتساوية التي كنت أستمع إليها وألقيها وأكتب تقريرا عنها كنت أضع خطة برنامج. وكلما كنت أستمع كنت أكثر قربا من القمة وكتبت تقارير ووضعت خططًا التي وصلت إليها الآن، قمة التدرج الوظيفي للحزب، كلما تكدست البرامج بكثرة. ولكن كان عليّ دائما أن اجلس هنا وأستمع إلى نفس الخطب وأن أبقى جامد الوجه وأستمع إلى نفس الخطب وألقي نفس الخطب لساعات، وأضع خططًا جديدة تنتج برامج

جديدة، برنامجًا تلو الآخر، كلها لا تعمل لأنه لا يوجد برنامج واحد يعمل.

(يجلس على كرسى الحلاقة ويصبح عجوزًا طاعنا فى العمر)

ماركس الثانى: فقط لم يعد واجبًا علىّ أن أكتب تقارير عن سبب أن جميع برامجى لا تعمل.. وسرعان ما ستكتب عنى لأننى تقدمت فى العمر وسأموت عما قريب، وسوف يقوم الرجال الذين يقتربون من عمرى بحمل نعشى أمام الأسوار وسيدفوننى تحت برامجى وتحت جميع برامجى للبرامج.

(يسير ببطء للخلف)

نابليون: أيها الرفيق ماركس. من فضلك أعطنى مسدسى.

ماركس الثانى: مسدسك؟

نابليون: الذى أخذته منى.

ماركس الثانى: ها هو لك مرة أخرى.

(يسحب المسدس)

نابليون: محشو بالرصاص الحى.

نـــــــابليون: يا بروفيسور يونج. لقد أديت دورك ببراعة.

ماركس الثاني: إن تمثيلية الأدوار تعلن عـــن نجاحهـــا الأول. إن ذاكرتي قصيرة الزمن تعمل من جديد. بشفائي من وهم أنني كارل جوستاف يونج سأعرف من جديد من أنا من حيث القوة ثلاثة أضـــعاف الإنـــسان، الكمبيوتر الذي يحل محل ما فوق الكمبيوتر الـــذي يستبدل الكمبيوتر الذي يجعل الإنسان شيئًا ليـــست له أهمية. أنا الجزء الصناعي للأسنان الـــصناعية، أسنان العالم. إن البرنامج العالمي قد انحل. يجـــب أن تتم تغذيتي من جديد.

(يسقط ماركس الثاني من الباب ٧)(ماركس الأول ينهض)

ماركس الأول: إن الثورة العالمية كانت في فكري فقـــط. لأننـــي فطنت فقط إلى آثار الإنـــسان ولـــيس الإنـــسان، أصبحت فيلسوف القهـــرة بـــدلا مـــن فيلـــسوف المقهورين. لأن قهر القهرة يحتاجون أيـــضا إلـــى حجة لكي يقهروا المقهورين من جديـــد. وبـــذلك وباسمي فإن المجتمع الديمقراطي الشعبي الذي نشأ

عن سقوط المجتمع البورجوازى لم يلغ الفـوارق الطبقية. لقد أنشأ فقط طبقات جديدة وقواعد جديدة للاضطهاد وأشكالاً جديـدة للـصراع بـدلا مـن القديمة. وفى وحل التبلد العقلى الإنسانى تواصـل عجلة التاريخ بلا جدوى دورانها حول محورهـا. لقد ثبت أن التاريخ العالمى جنـون، وبهـذا، لأن ناقص مضروب فى ناقص يصبح زائدًا، ثبـت أن الإنسان المجنون الذى يجرى يترنح وراء الفكـر العالمى من دون تفكير، هو إنسان عادى بحيث إن عقلى الباطن منطلق إلى الوعى، وأن هذا الـوعى عندما ينطلق إلى أسفل عمق الوعى الباطن، يذوب باحتكاك ظاهر مع الوعى الباطن المنطلـق إلـى أعلى، كليهما يحرك بقوة الغيرة وعقـدة أوديـب زيجيموند فرويد وشبيهه جميعا إلى فراغ الجنون، ومجموعات خياط السيدات كوكو وشبيهته كوكـو شانيل يمارسون التدمير بدافع الموت، واتضح لى من خلاله جليا بسرعة ضوء قوى غيبية من يتحكم فى شهوتى: أنه الدافع الأصلى للإنسان فى قـديم الزمان الذى لم تلوثـه الحـضارة واضـطراباتها

العصبية وأمراضها النفسية الخطيرة وانفصامها النفسى، الإنسان المولود فى وادى النياندر بالقرب من دوسلدورف، وأكثر من ذلك إلى الوراء إلى محاسب عصر الرومان، وأكثر من ذلك إلى الإنسان القرد الذى قرر فى جزء من تاريخ العلم، نقن مركب على فم عريض، أن يصبح بلا تردد إنسانًا قردًا. ولكونى زيجيموند فرويد كنت أعمى مثل أوديب، ثم تكشف لى كما ينقشع الأذى عن العين من خلال أفكارى الثابتة أننى العقل الباطن للعقل الباطن للإنسان، تكمن فى داخلى الأعمال الفنية للبشرية بجميع مبدعيها مثل النطفة داخل الحوت: هرم خوفو، الأكروبوليس، الموناليزا، ناطحات سحاب مانهاتن، ولكن أيضا هومير وشكسبير وكارل ماركس والكلاس(١) وآينشتاين، وسلالة الخنازير نفسها التى تحاول أن تنشد شعرًا عنى. أنا محاسب عصر الرومان وأسرع مطلقا

(١) كالاس: موجة من موسيقى وأغانى الروك لشباب المغنيين عن الحب والحماس والعاطفة اجتاحت مسارح العالم ومنها ألمانيا فى القرن العشرين ومن أشهر المغنيات ماريا كالاس.

الصرخة الأولى إلى الإنسان الهمجى الأول لنشأة البشرية.

(يجرى وراء ماركس الثانى من خلال الباب رقم٧)

نابليون: الآثار تتبدد إلى اللا شىء.

جين: شبحان.

نابليون: كلنا أشباح. لقد أمر مولوتوف بإلقاء القبض عليك بينما أنت هنا.

نابليون: لقد أطلقوا سراحى مرة أخرى.

ثابليون: هل وضعوا شرطًا لذلك؟

(تصمت عن الكلام، تركع على ركبتيها فى المقدمة)

نابليون: خذى المسدس!

(تركع على ركبتيها جهة اليسار، وتحرك المسدس ناحيتها)

نابليون: أنا أنتظر.

(جين تحدق عينيها فى نابليون)

نـــــــابليون: لقد نزع صمام الأمان منه.

(جين تحدق عينيها فى نابليون)

نـــــــابليون: أتصمت السماء؟

(جين تحدق عينيها فى نابليون)

نـــــــابليون: لا إجابة من أعلى؟

(جين تحدق عينيها فى نابليون)

نـــــــابليون: هل تتخلى عنك القديسة كاتارينا والقديسة مارجريتا ورئيس الملائكة ميخائيل؟

(تدخن)

(تحرك المسدس ناحيته)

جـــــــين: دعهم يقودننى إلى السجن.

نـــــــابليون: أنت ما زِلْتِ ترفعين الكلفة بيننا.

جـــــــين: أسرع.

نـــــــابليون: بماذا؟

(تدعك السيجارة بقدمها)

جـــــــين: بإطلاق الرصاص عليّ.

نـــــابليون: ولماذا؟

جـــــــين: ناولنى كأس كونياك.

(بوشنر يحضر لجين زجاجة كونياك)

(تشرب بعشقة من الزجاجة)

جـــــــين: الآن سأنتظر.

جـــــــين: ما زلت أنتظر.

(صمت)

جـــــــين: عندى وقت.

نـــــابليون: أنا نفسى لا تطاوعنى على قتلك. فأنا أحتاج إلـى مساعدتك. أحتاج إلى معلومات.

(يحرك المسدس إليها)

جـــــــين: أتريد أن تحارب؟

نـــــــابليون: أريد أن أتجنب الحرب.

(جين وقد خاب أملها)

جـــــــــين: كان ينبغى علىّ أن أقتلك.

نـــــــابليون: هل كنت تفضلين الحرب؟

جـــــــــين: لقد حققت انتصارات فى مارينجو وبينا وفـاجرام وأوسترلتس.

نـــــــابليون: هل تجلت لك السماء فى بهائهـا وأوهمتـك بـأن تذكرينى بانتـصاراتى؟ إنهـا ليـست جيـدة. ألا تخجلين؟ لماذا سقطت فى الدور البطولى الفاشـل بصورة بائسة.

جـــــــــين: لقد أردت أن أكون أكثر من أمى.

نـــــــابليون: أكثر من أمك؟ هل تقصدين أن الجنود كانوا سعداء فى مورينجو وفى بينا وفاجرام وأوسـترلتس؟ لا كانوا سعداء فقط لأنهم مع أمك. إن انتصاراتى لم تكن إلا قيئًا ودمًا وقـاذورات ومـاذا الآن؟ أنـا المصيبة الأصغر التى تمنع الضرر الأكبر وهـو الكفاح البطولى لشعب بملايين القتلى.

(نابليون وجين ينتفضان واقفين، يغلقان الأبواب، هو من اليمين وهى من اليسار، يتقابلان عند الباب ٧ ويغلقانه معا)

نـــــــابليون: لقد فضلت أن أتجه لأبطال المصارعة الحرة حيث متفق على كل ضربة وكل حيلـــة. إن المـــصارع الحر يمثل تأثير الضربة عليه. فإذا تلقى ضـــربة انقلب ليس بسبب الضربة وإنما ليمثل أنـــه انقلـــب متأثرًا بها. مسرحية قديمة. ليس الأهم هو البطـــل وإنما الشخص الجبان. والجمهور يـــصفر عنـــدما يأتى. وهو يسب الجمهـــور وينـــزل مـــن حلبـــة المصارعة ويهاجم من الخلف. إن هذا التـــصرف المتجنى يكون دائما مدعاة للتصديق وبدرجة مبالغ فيها بدرجة كبيرة. يشتاط الجمهور غضبا. وهكذا يكون الأمر فى السياسة. غير أن الاختلاف فقـــط فى أن الضربات حقيقية ولا تضطر إلـــى تمثيـــل التأثر ولكن دور الشخصية، لا بد لأحدهم أن يلعب دور الجبان وأنا أؤدى هذا الدور.

(جين توجهت منذ فترة إلى الأمام جهة اليمين وهى جلسة القرفصاء تترقب)

نـــــــابليون: أنت لا تشربين.

(يجلس على الأرض، ويضع رأسه فى حجرها)

جـــــــــين: أنا أشرب.

(تشرب، تجعل الكونياك يجرى فى فمه)

نـــــــابليون: يوديت أيضا جعلت هولوفرنس يسكر. يوديت امرأة استطاعت أن تقتل، وهولوفرنس رجل يُقتَل من أجل شيء له معنى كبير. عندما قتلت يوديت هولوفرنس أصبح بلدها حرًا. أما أنت فلو قتلتنى ستزداد حماقة اللا حرية وتستفحل.

(جين تنهض واقفة، تصرخ)

جـــــــــين: أنا لست يوديت.

(نابليون يشدها إلى أسفل، إليه بعنف)

نـــــــابليون: أنا هولوفرنس. لقد كنت دائما هولوفرنس. لم أكن أبدًا بروفيسورًا، لم أكن أبدا وزير خارجية، لم أكن أبدا نابليون. كنت دائما هولوفرنس.

(يشده فى وسط المقدمة)

نـــــــابليون: لقد كنت تعرفين دائما كما كنت أنا أعـــرف دائمـــا أنك لست جين وأنك يوديت، يوديت.

جـــــــــين: نعم، أنا يوديت

نـــــــابليون: إذا كنت أنت يوديت وأنا هولوفرنس، فيجب علينا أن نتصرف كيوديت وهولوفرنس.

(يبعدان عن بعضيهما زاحفين وهما يراقبان نفسيهما)

بوشـــــــــنر: نحن أمام وجهتى نظر أساسيتين يواجه بعـــضهما بعضًا. الأولى تعتبر جميع ظواهر الطبيعة تدرس جميع ظواهر الحياة العضوية من منظـــور العلـــة الغائية، وتجد حل اللغز فى الغاية، وأن الإنـــسان لديه الدافع لكى يقتل. ولكن الطبيعة لا تتبع مـــنهج الغاية فى أفعالها، وهى لا تتعب وتهلك نفسها فـــى سلسلة لا نهائية من الغايات، كـــل غايـــة تتطلـــب الأخرى، ولكنها مكتفية بذاتها فى جميع تعبيراتها. إن كل شىء موجود لذاته. والبحث عن قانون هذا الوجود هو الهدف الأساسى للفكر الفلسفى. الإنسان يقتل لأن له يدين. وما يبدو أنه غاية هـــو التـــأثير

والنتيجة. أنا لست أهتم بغاية الأفعال الإنسانية ولكن بأسبابها. ونحن نسمى الإنسان حرًا أو غير حر، عادلاً أو غير عادل، فاضلاً أو غير فاضل أو حتى مجرم، ولكن كل هذه الصفات عبارة عن تقييم يلقيه إجماع المجتمع الإنسانى مثل الشبكة علىّ الإنسان فيحبس داخلها. ولكن التقييم لا يصنع الإنسان، فالإنسان هو الذى يقيم. فإذا بحثنا عن أسباب لماذا يحبس الإنسان نفسه إما مرغمًا أو بإرادته فى سجن قيمه التى يصنعها بنفسه؟ فإننا سنصطدم بطبيعة الإنسان.، بهوة مختبئة تحت مجموعة من المفاهيم ليس لها معنى. ولذلك حاولت أن أكتبت "أخترلو"، المأساة الكوميدية لثورة لم تتم لأنه من خلال الجبن تم تجنب حرب كانت ستؤدى إلى فناء البشرية، لا لكى ينقذ سلامًا تهلك البشرية بسببه داخل نسيج من الأسباب تصبح أفعالاً تتحول بدورها بالمصادفة مرة أخرى إلى أسباب لأفعال جديدة، عبارة عن بساط يمتد إلى بداية الكون الذى يمكن تخمينه بالافتراضات فقط، ويصل أصله إلى لا نهائية اللا شيء. ولذلك

فقد اخترت نماذج من أزمان أخرى مختلفة تمامـا لأحاكي مجموعة الأحداث التي حدثت يومي الثاني عشر والثالث عشر من ديسمبر ١٩٨١، لأن كـل نموذج من البساط اللا نهائي يساوي الآخرين. ولكن النماذج تتحدث كما ينبغي عليهم وليس كما اعتقدت أنا أنه سيكون عليهم أن يفعلوا، والآن يهوى الحدث بالزمن كغرزة ناسلة لجورب رخيص الثمن، ٦٠٠ عام قبل الميلاد تقريبًا، إلى يوديت وهولوفرنس. إنني لن أكتب أي شيء من الآن فصاعدًا.

(يخرج بوشنر من الباب رقم ٥)

نـــــابليون: أنا هولوفرنس.

جـــــين: أنا يوديت.

نـــــابليون: إنني أعتى طغاة ملك نينوى[1] وبابل[2] نبوخذ نصر[3] الذي كان يأكل الحشائش كما يأكل

(١) نينوى مدينة آشورية قديمة أسسها سين-أحي-إريبا (٧٠٤-٦٨١ ق.م) المسمى في التاريخ سنحاريب، كانت تقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة شرقي جنوب مدينة الموصل.

الثيران، الذى كان يرقد تحت ندى السماء حتى أصبح طول شعره مثل ريش النسر، وأصبحت أظفاره كمخالب الطيور.

جين: أنا أرملة ماناس الذى كان يجمع محصول الشعير فى حقول مدينة بتوليا، وقتلتنى أشعة الشمس الحارقة. أنا وسيم وغنى وعندى الكثير من الخدم وعزب مليئة بالثيران والأغنام.

نابليون: عندما اشتد جنون الملك بختنصر امتعض وقال لى أنا أعتى طغاته: تحرك بجيشك ضد جميع الممالك التى تقع تجاه الغرب ودمر مدنهم ومعابدهم وعندئذ ستقتل أيضا الإله الذى أذلنى.

جين: لقد حزنت على زوجى ثلاث سنوات وستة أشهر.

نابليون: لقد أعددت شعبًا مسلحًا للحرب، مائة وعشرين ألفًا على الأقدام وعشرين ألفًا من الرماة على الخيل.

---

(٢) بابل مدينة عراقية كانت عاصمة البابليين أيام حكم حمورابى.

(٣) نبوخذ نصر (القرن السادس عشر) الاسم الأكادى لنبوخذ نصر هو تيو كودورو أوسور، ومعناه نابو يحمى ذريتى، ونابو هو إله التجارة عند البابلين وهو ابن الإله مردوخ، أطلق عليه الفرس اسم بختنصر ومعناه السعيد الحظ.

جـــــــين: كنت ارتدى جوالاً وكنت أصوم كل يوم تقريبًا.

نـــــابليون: أنا تحركت بجيشى فى عناد وإصرار مثـل نجـوم السماء ضد جميع الممالك التى تقع تجـاه الغـرب، وعملت على محاصرة مدنهم وتسيير أبراج الحصار أمام الأسوار وإشعال النار فى المنازل بإلقاء الكرات المشتعلة، ومات الجميع الرجال والنـساء والأطفـال وعندما اشتعل المعبد بالإله المعبـود فـى المدينـة انطلقت هبة من اللـهب إلى السماء.

جـــــــين: وهنا صليت ودعوت الرب، عاقـب هولـوفرنس بسيفه الخاص به واجعل عينيه بنفسها توقعه أسيرًا لى عندما يرانى، واجعله ينخـدع عنـدما يـسمع كلماتى الجميلة. وعندما انتهيت من صلواتى خلعت جوالى واغتسلت ودهنت جـسمى بميـاه جميلـة، وأسدلت شعرى وراء ظهرى ولم أرتد إلا قميـصًا أبيض يمتد حتى قدمى.

نـــــابليون: والآن يقبع جيشى ثلاثة أسابيع أمام مدينة بتوليا.

جـــــــين: لقد أتيت إليه قبل ثلاثة أسابيع فى حرارة الظهـر

لإنقاذ المدينة.

(يلتفتان لبعضهما ويبدآن يخلعان لبعضهما الآخر قميص المجانين)

نـــــابليون: لقد تفحصتها بنظرى. كانت أجمل من نساء بختنصر.

جـــــين: لقد تفحصته بنظرى ونسيت زوجى الذى حزنت عليه ولبست الجوال وصمت.

نـــــابليون: قلت لها لأنها أتت لتقتلنى.

جـــــين: قلت له إننى جئت لأقتله.

نـــــابليون: ثم شربت معها الخمر فى حرارة الظهر.

جـــــين: ثم ضاجعته فى الفراش فى حرارة الظهر.

نـــــابليون: وعندما انخفضت الشمس عادت إلى بتوليا.

جـــــين: فى اليوم التالى ذهبت إليه مرة أخرى وضاجعته فى الفراش مرة أخرى. وعدت مرة أخرى إلى بتوليا، وعندما يسأل أهالى بتوليا متى تقتلينه لكى نتحرر منه، أجيب: غدا.

نـــــــابليون: وهكذا أنا أضاجع هذه المرأة ولا أفهم لماذا علـــى أن أقتلها وأحرق بتوليا. إن تـــدمير بتوليـــا لـــيس بالأمر المهم ولكن من المهم أن تعيش يوديث.

جـــــــــين: وهكذا أضاجعه ولا أفهم لماذا على أن أقتله وأنقــذ بتوليا. إن إنقاذ بتوليا ليس بالأمر المهم. إن الرب والقانون أرغمانى أن أحزن ثلاث سنوات وســـتة أشهر على رجل لم أكن أحبه، وبعثـــا بـــى إلـــى الرجل الذى أحبه لكى أقتله.

نـــــــابليون: سأمارس الحب مع يوديث مرة أخرى ثم أجعلهـــا تعود إلى بتوليا وأنسحب بجيشى.

جـــــــــين: سأعود ومعى رأس حبيبى إلى بتوليا، وسوف تمد أبراج الحصار فى الليـــل للانتقـــام لهولـــوفرنس وسوف يشعلون النار فى بتوليا. وسيموت السيدات والرجال والأطفال فى النار المشتعلة، وسأمـــضى فى فخار فى مواجهة الدروع حاملة رأس حبيبـــى أمامى، وعندما تنطلق شعلة إلى السماء ســـتخترق الأسهم جسدى وتدفن فيه.

(تأتى السيدة سيمزن من الباب رقم ١ فى ملابس كما فى البداية، تجلس على طرف الفراش)

السيدة سيمزن: أنا الرب العزيز وجدت من اللا نهائي في زمن ما، ولأن بين نقطتين زمنيتين لا نهائيتين يوجد زمن كثير لا نهائي مهما اقتربا من بعضهما بعضًا فإنه من الممكن أنه لم يعد لي وجود، وأنني وجدت لمدة لا نهائية قصيرة، ولكنها أطول من أي حقبة زمنية، لأنه يمكن قياس أي حقبة زمنية بينما لا يمكن قياس زمني. لقد خلقت عالمًا يفني نعمة مني حيث إن عالما لا نهائي سيكون جهنم ورحمة مني، لأن في الفناء ستفنى الفظائع، بحيث إن كل ما خلقته في هذه الحقبة الزمنية اللا متناهية في القصر والتي خطر فيها ببالي فكرة خلق العالم، ثم اختفت، ما زال موجودًا في فكري الذي نشأ فيه العالم وامتد وذهب أدراج الرياح، لم يكن شيء آخر إلا الحب لأنه الوحيد الممكن في العالم الزائل.

جـــــــين: هل جننت؟

السيدة سيمزن: كنت الإله العزيز.

(تطفأ الأنوار)

توديع المسرح

تعقيب على أخترلو (٤)

١٩٨٨

في حقيقة الأمر كان ينبغي تسمية أخترلو ٤ بأخترلو ٥، الصياغات كثيرة جدا على أقل تقدير. أخترلو ٤ هي وداعي لمنصة العرض، للمسرح. لا عن انعدام رجائي في مستقبل لوسيلة التعبير هذه. فالعروض المسرحية ستتواصل دائما وأبدا. إلا أنه لم يعد وسيلتي في التعبير. حاولت طيلة ما يزيد على أربعين عاما كتابة مسرحيات عالمية. وصفت مسرحياتي بأنها مسرحيات كوميدية. تخليدا لذكرى أريستوفان، من حول عصره إلى مسرح عالمي. ووضع التناقض في مقابل الأسطورة. ولم يعد بمقدوره أن يجد مغزى في الحاضر القاتل، قد يكون ما صاغه هو الجنون بعينه. التراجيديا تتخذ الموقف المناهض للعالم وتتصدع، أما الكوميديا فتتم الإطاحة بها للوراء، فتسقط على الأرداف وتطلق الضحكات. كان لبريشت منذ ما يزيد على ثلاثين عاما رأى آخر، رغم أن العالم لم يكن أقل جنونا عنه في عصر أريستوفان. على أن السؤال الذي طرحته عام ١٩٥٥ في مناقشة ببادن بادن، هل لا يزال من الممكن تصوير عالم اليوم من خلال المسرح بشكل ما، أجاب قائلا فقط

عندما يتم إدراكه بشكل مغاير. وفى عصر يمكن علومه أن تغير الطبيعة بشكل يجعل العالم يبدو صالحًا [غير صالح] للإقامة عليه، لم يعد من الممكن الاستمرار فى وصف الإنسان بأنه ضحية، بأنه هدف بيئة غير معروفة، متجمدة. يتعذر رصد قوانين الحركة من موضع ألعوبة القدر. لكن الإنسان إما ضحية أو جانيًا، فقط فى مجتمع مثالى غير طبقى قد يكون مجرد جان، بالأحرى، ولعدم تجاوز مثال بريشت، منتهك لألعوبة القدر. وقد اعتقد أفلاطون فى إمكانية تغيير العالم، ونبه نط إلى أن العالم يتغير بشكل حتمى، ولا يسعى للفناء، وبداية من هيجل ظهرت الفكرة المحزنة، أن تغير العالم يحدث على أساس منطق متسام مكون للعالم من موضوع، ونقيض الموضوع، ومركب من الموضوع ونقيضه، ويحدث التغيير عند ماركس بشكل متأصل فى الذات طبقا لنسق مماثل من خلال صراع الطبقات. وإذا كان من الممكن وصف هذا الأمر، فإنه سيصير قابلاً للعرض أيضا علىّ خشبة المسرح، وكل مسرحية يمكن معايرتها ماركسيا. هذا النشاط المسرحى، الذى سماه بريشت العمل العلمى، يصوغ حتى اليوم بشكل بالغ ممارسات الإخراج، التى يتم إنجازها على منصات العرض، إلا أنه أيضا أحد أسباب تقوقع فن المسرح فى عزلة عن الواقع. فهو لا يمثل هذا الواقع، بل يمثل أيديولوجيته. والمسرح الحالى لنفس السبب غير قادر بشكل عام على تقديم الكلاسيكيين، لأن هؤلاء يتم تقييمهم من وجهة نظر، لم يتبنوها. ويثير التساؤل أيضا،

هل هؤلاء تبنوا وجهات النظر حقيقة التى نُسِبت إلــيهم. إن قــضية الالتزام بالعمل تطرح نفسها. والمفهوم تشوبه عتامة ما. فلا بد غالبا تحديد، لا تعتيم ملامح الكلاسيكيين. وقد تدخل الحــرص الــسياسى باستمرار فى الكلاسيكية الألمانية. قرن ليسينج هيتــورى جونزاجـــا، أمير جواشتالا فى مسرحية إميليا جالوتى، التى ترجم فيهـــا اللفظـــة الإيطالية "principe" التى تعنى (حاكمًا، صاحب سمو ملكـــى) إلـــى "أمير"، بلقب يقترن به فى الألمانية دائما شيء ما خيالى، نبيلاً، لذلك يتم غالبا تصوير جونزاجا بأنه المُغَرر بـــه ومـــارينيللى المُغـــرر، "الأمير"، نبيل، شاب، إلا أنه ضعيف، مارينيللى غادر، شرير، كمـــا لو كانت عبارة جونزاجا الختامية "يا إلهى!، يا إلهـــى! - ألا يكفـــى سببا لتعاسة الكثيرين، أن أصحاب سمو ملكى من بنى البشر: أيجـــب أيضا أن تتخذ الشياطين منهم مكانة الصديق" هى مغزى المـــسرحية، كما لو كانت مأساة أصحاب السمو الملكى أنهم ليسوا آلهة. فى حقيقة الأمر عبارة جونزاجا الختامية هذه، التى يطرد بها مـــارينيللى مـــن البلاط، هى أكثر العبارات الختامية تهكمًا، حـــدث أن انتهـــت بهـــا مسرحية: فمارينيللى ليس سوى الموظف، الذى يكـــافح مـــن أجـــل وظيفته؛ فهو ينفذ ما يتمناه جونزاجا أن يحدث، وجونزاجا يؤكد أنه لم يود ذلك، ويُلمّح إلى ما يتمناه الآن وهلم جرا، لكى يترك مـــارينيللى فى النهاية يسقط مذنبا. العلاقة بارشل/بفايفر. بنهاية معكوسة فحسب: ترك بفايفر بارشل يسقط، الموظف ترك الـــرئيس؛ نُكـــست أعـــلام

ألمانيا. حتى شيللر هون مال للتقليل من الوضعية. فرانز فون مور ليس ريتشارد، أمير جلوستر، مرة أخرى ليس ريتشارد الثالث، بل ابن الأمير الحاكم ماكسمليان فون مور. ليس بمقدورنا أن نُعلِق على النزاع الأخوى فى إمارة مور أى أهمية سياسية، هذا تمخض عن "ضد الطغاة"[1]، فرانز أخ شرير، ليس طاغية، ليس بالمرة الأمير كارل أويجن أمير فورتمبرج. إذا كان الكلاسيكيون قد مالوا للتخفيف فى إطار الأرستقراطية بسبب الحرص السياسى، اليوم يتم التخفيف من قيمة الكلاسيكيين بسبب الالتزام النقدى الاجتماعى ومن داخله – كما لو كان موجودا – إلى ما هو بورجوازى، مشروع عبثى مسرحى على نحو خاص. لذلك يظهر قاضى القرية آدم بشكل مأساوى فى أحد عروض "الجرة المحطمة" ومستشار المحكمة فالتر باعتبارهم ممثلين لحكومة فاسدة. وقد برر المخرج اكتشافه بأن، مجىء آدم الأعزب المتقدم فى السن إلى حجرة إيفا بحجج واهية، ومجرد إعرابه عن رغبته فى مضاجعتها، بعد أن أغلق الباب بالمزلاج، وفتح الصديرية، ووضع الباروكة فوق الجرة، وجلوسه وإمساكه بيدى إيفا وتطلعه إلى البنت بجمود لـ"دقيقتين معياريتين"، يثبت حبه غير العادى، الذى داهمه لأول مرة فى حياته. بذلك خفف المخرج من خطب الحدث وأفسد حجم المسرحية. تمثل إيفا هدفا

---

(1) باللاتينية فى الأصل in tyrannos ظهرت على غلاف الطبعة الثانية لمسرحية شيللر "اللصوص".

لميول آدم الحسية فحسب، كسجقه وجبنته الهولندية، فهو يتخذ فى كل الحالات موقفا مناقضا لما كان يجب أن يكون عليـه. كقـاض هـو فالستاف؛ تصويره كعاشق، يظهره مثيـرا للاشـمئزاز، ومستـشار المحكمة، إذا ما يفقد وقاره الذى أضفته عليه المسرحية. يفقد إمكانية، عدم أخذ العدالة مأخذ الجد على النحو الذى ينتهجـه البورجـوازيين والطغاة: تساهله يصير خسة أيضا. إنها الفكاهة عند كلايست، التـى تعطل العدالة. يخمن فالتر مستشار المحكمة، أن آدم كـسر الجـرة، ويعرف فى نهاية الأمر، لكن لهذا السبب بالذات يـضحكه آدم، فلـو أدرك فكاهة الموقف، لن يكون مغاليًا فى الشدة، طبيعة وظيفته علـى أية حال. تنعكس فى العلاقة فالتر/آدم علاقة الإله بالإنـسان بـشكل آخر غير فى المأساة: فى مسرحية أوديب يجبر إلهًا عـديم الـشفقة بريئا غير واع لبراءته أن يكون قاضى نفسه، فى مـسرحية الجـرة المحطمة إله مرح مذنب واع لذنبه. الاختلاف مجرد ظل لونى، لكن أى ظل! عندئذ تبدأ كوميديا إيفا. محاها كلايـست، وعُرضـت فـى سالزبورج، إلا أنها لم تُفهم، بل عُرضت بشكل نقدى اجتماعى بـالغ الجدية. ما محاه كلايست بشكل مبـرر بـسبب مقتـضيات الإيقـاع المسرحى، مقطع فائق الإبداع من الناحية النفسية حقيقة، إلا أنه زائد على الحاجة، إيفا، التى تصدق آدم، روبرشت، خطيبهـا، يجـب أن يتوجه إلى باتافيا، ويطلب من روبرشت، أن يصدق براءتها بـشكل مطلق، برغم أن الكثير من القرائن تدحض هذا، لا يصدق مستـشار

المحكمة أن الخطاب المزعوم، الذى يستدعى روبرشت إلى باتافيا الذى قرأه قاضى القرية عليها، مزور: هى فقط المُصدقة. يُنزل مستشار المحكمة الفتاة من غلوها. يعرف الفلاحين. يمنح إيفا عشرين جولدن، تفتدى بها روبرشت، عندما كان عليه أن يتوجه إلى باتافيا، بشرط أن تعيد إيفا دفع المبلغ وأربعة بالمائة فوائد "يا لا الرخص" لمستشار المحكمة، لو لم يكن على خطيبها أن يتوجه إلى باتافيا: بناء على هذا العرض تُصدق إيفا مستشار المحكمة فى الحال فى أمر بقاء روبرشت فى القرية، وترفض العشرين جولدن. مخاطرة دفع أربعة بالمائة فوائد تغلبت على عدم تصديقها، والمطلب المفاجئ لمستشار المحكمة: "اسمعى، سأعطيك قبلة الآن. تسمحين لى؟" هو التعبير المتحرر عن أن إيفا أصبحت من جديد من فتاة ريف بسيطة، لا جين دارك. كانت قبلة مستشار المحكمة فى سالزبورج تعنى أنه أسوأ من آدم؛ لو كان قد أحب، لكان فالتر مستشار المحكمة داعرًا. المخرج، بميله مرة أخرى لأن يكون ناقدا اجتماعيا، وصل لمستويات أعمق فى المسرحية. مات بريشت منذ أكثر من ثلاثين عاما وأعلن هيلموت كاراسك وفاته بشكل بعدى. امتدت حياة بريشت لما بعده. يسار رجعى، لا يزال موجودًا فى المسرح فقط، لا يزال يخرج ضد اليمين التقدمى، الذى لا يرتاد المسرح، منازلات وهمية لتهدئة الجمهور. ما من أحد يصاب أو يستهدف. الأمر مختلف فى النمسا فقط: وقعت فى غضب برنهارد كما وقت مصر فى غضب يهوه. جاء عصر بيمان،

تظهر كل فأرة براثنها. بفضل مطبوعة البرنامج التى ستُطرح للبيع لا يحتاج المشاهدون لحسن الحظ تخمين أى مسرحية أخرجها المخرج، وبمقدورهم أن يقرؤوا فيها أيضا ما يزعم المخرج استهدافه فى إخراجه، وحتى ما اعتقده ناقد مسرحى ما، بشأن ما قد يكون المخرج أيضا استهدفه، وفى النهاية يمكنه أيضا مطالعة، ما كان على المؤلف أن يفكر فيه عند كتابته للمسرحية، بدلا من مطالعة كارل ماركس، ولماذا لم يكن بمقدور المخرج إخراج المسرحية على النحو الذى كتبها به المؤلف، بل على النحو، الذى كان على المؤلف أن يكتبها به، إذا كان قد قرأ كارل ماركس، السبب، الذى يبرر أن العديد من المخرجين من جمهورية ألمانيا الديمقراطية: بمقدورهم العمل هنا، كما لو كانوا قد قرأوا كارل ماركس، لأنهم على يقين من أنه ما من أحد قرأ كارل ماركس فى جمهورية ألمانيا الاتحادية، وهو حقيقة الحال أيضا فى جمهورية ألمانيا الديمقراطية، حيث يسود رأى رسمى بأن، ما كان على كارل ماركس أن يكتبه، سيقرأه شخص ما. إلى جانب ذلك يبرز اتجاه آخر: الحنين للماضى. تشيكوف، شنيتسلر، أدباء مجتمع لم يعد موجودا، تملكوا مسرح مجتمع، اجتاح العالم الثالث بسرعة الطائرات النفاثة وأحب أن يكون مثل ذلك، المتغلغل حتى الملل فى الحرب العالمية الأولى، الذى لم يعد موجودًا؛ إلا أن النجاح يحالف ذلك المجتمع، الموجود، فى أن لا يكون منهارًا بالمرة، فليس لديه وقت ولا طاقم عمل لذلك. يبقى بذلك السؤال عن إمكانية

تصوير عالمنا على المسرح مفتوحا. للأسف، يمكنني فقط تخمين سبب طرحي لهذا السؤال في بادن بادن عام ١٩٥٥، لكن "أثناء المناقشة، التي أخذت مكانها على خشبة المسرح، تعجبتُ من أنْ قاعة المسرح كانت تدور بشكل متواصل وتتوقف أحيانا، السقف لأسفل، والمشاهدون لأعلى، لدرجة أنني تخوفت من إمكان السقوط المدوي للناس على السقف بأسفل. سمعت شركائي في الحوار بشكل غير واضح، بشكل ضبابي، في مكان ما... بالتأكيد كان رأيي تعذر تصوير العالم من خلال المسرح، رغم انعدام معرفتي السبب، إلا فإن هذه مجرد استنتاجات لاحقة عليّ تصرفي المحتمل في ذلك الوقت". لا ينبغي الوقوف عليّ خشبة المسرح أثناء الإصابة بالحصبة. هل غابت عني الإجابة عن سؤالي، هل صارت إجابة بريشت عليه عبثا: تمكن العلم من تغيير الطبيعة على نحو يحمل تهديدا بعدم صلاحية العالم لأن يكون مأهولا. صار الإنسان ألعوبة نفسه. انهيار الاشتراكية في مواجهة النصر باهظ التكلفة للرأسمالية، ونهب الجميع للعالم الثالث. انتشار الذعر. رفع شعار محاربة الطبقية كمدينة فاضلة، ويتم التأسي في نفس الوقت على انعدام المدن الفاضلة. القلق على خلاص النفس الخاص، على إشكالية الزواج، بل على صراع الجنسين المشتعل من جديد، أحيانا ضد بعضهما بعضًا، أحيانا تحت بعضهما بعضًا، وأحيانًا خلال بعضهما بعضًا، كل آراء الرخاء الضارية هذه لمجتمع مصدوم بالإيدز ويكبحه الوباء من جديد لا

أهمية لها فيما يخص عالم، تمثل الآخرة لمعظم الناس فيــه العــزاء الوحيد عن ويلات الحياة والمرأة آلة إنجاب فحــسب. الـــلا مبـــالاة بالمستقبل كبيرة جدا، لن يَجدَّ شيء على أية حال بالغ الــضرر، وإذا جد شيء بالغ الضرر، فالأمر مع ذلك سيان. الأديب المسرحي فـــي موقف متناقض في مواجهة هذا الأمر. انتقل مركز الثقل في داخــل الثقافة. فلو كان ذلك أمرا أدبيا فلسفيا دينيا، فقد أخذ مكانه الآن ما هو أمرا جوهره الرياضيات والعلوم الطبيعية. ويتم التمويه علـــيّ هــذه الحقيقة بالحديث عن ثقافتين، ثقافة إنــسانية وثقافــة علــوم طبيعيـــة محكمة. مطلب إحكام ضبط العلوم الإنسانية أيضا غيــر مستــساغ، الكثير جدا من منظري ونقاد المسرح يهيمون فيها، لا عاصم لهم من الذاتية الخاصة ومن العاصفة الرملية لمـــألوف المعـــايير. المـــسرح موجود في قطاعهم، غائر في المناطق المنخفضة المسطحة من ثقافة الإخراج، حيث يسود الاعتقاد بفوتان(١). ليس اعتباطا أن يأمل كـــل مخرج إخراج "الخاتم"(٢) ذات مرة: فيه ترى ألمانيـــا نفـــسها دائمـــا صورتها كألمانيا العظمى. كلهم فاجنريون(٣). سحره يعيد ربـــط مـــا

---

(١) كبير الآلهة وإله الحرب والموت في الأساطير الشمالية وعرف بأسماء أخرى مثل أودين، أودان فودان وفوتان في أوبرات فاجنر التي تناولت موضوعات من التراث الأسطوري الجرماني.

(٢) المقصود مجموعة الأوبرات الشهيرة لريتشارد فاجنر "خاتم النيبلونجن".

(٣) تسمية ألمانية لمعتنقي فكر وعقيدة ريتشارد فاجنر القومية والفنية.

فرقته الموضة بشدة. يمين ويسار، جرماني ويهودى. لم يتغلب المثقفون الألمان بتقديسهم لفاجنر على هتلر، بل لم يواروه الصمت. لن يلموا بمعرفته أبدا. هتلر حدث أن صادفهم، كمصادفة الحظ العاثر في نوبة الحماس، وهو ما يمكن أن يحدث لكل شخص، وأعيدت صياغة الانهيار في الحال ليصبح أفول الآلهة، على أية حال أخذ وجود الإنسان حقا شكل آلهة، ويُخرِج إيفردينج بالفعل "الخاتم" في بولندا. هاجن يطعن في كل مكان. من الخلف. يأتي على معيار فاجنر، ما يتسق مع الفن: غيم العقلانية والإثارة الحسية، شبقية الأدباء. أمر مفهوم. هل العقل بارد، هل النقد الفنى خاو كمقولة إميل شتايجر فيما يخص الأسلوب المسرحي: إثارة. من لا يقفز برأسه باتجاه أفضل أروع معشوقة[1]، أو يصرح كبرامز، عندما زار الماخور، أنه يذهب إلى جمعية ريتشارد فاجنر. مع ذلك فالثقافت ان يمكن الجمع بينهما معا ببساطة، كما يتمنى اللاهوتيون وحملة جائزة نوبل. فصورة عالم العلوم الطبيعية المحكمة يزعج اللاهوت والفلسفة وبالتدريج أيضا علم النفس، بشرط اعتبار علم نفس الأعماق من العلوم الإنسانية. العلوم الطبيعية المحكمة تتغلغل حتى المخ الإنسانى، في بنية عضوية معقدة بشكل يفوق التصور، لها القدرة، على تحويل العالم إلى مشاعر، وصور وأفكار، على تفسير الواقع. التطور، الذى جعل الإنسان يتفوق، يواصل مسيرته في فكره. يصبح الإنسان

(١) فى الأصل Dulcinea وهى شخصية مبتدعة يهيم فيها دون كيشوت حبا.

حيوانا، يفكر: مأساته. التفكير بالنسبة للتطور هو المأزق، يضل فيه، هو مُنتَج جانبي وليد المصادفة، يُكمِل التطور بوسائل نفسية، بشكل أسرع للغاية، مما كان بمقدور منتج التطور النفسي: كما لو كان تطور الثدييات قد انتهى بالإنسان، ربما لا يزال تطورها موجودا في الفيروسات. كان التطور يحتاج لثلاثة ملايين سنة، لتشكيل الإنسان من الحيوان وخلق مقتضيات تفكيره، تطور في الخمسة آلاف سنة الأخيرة، زاد في السرعة، اكتسب صفة الاندفاع، انفجر، حتى أبلى الواقع: لو تمثل لنا الكون الكلي كتواصل زماني مكاني غريب (*)، طارد، ناشئ عن انفجار مهول، لرفض الكون الدقيق تماما، إتاحة صورة لنا. العالم الذري غير ضبابي، لم يعد طيعًا للوصف. وهكذا الكل. يمكن تصوير عالمنا فقط رمزا بالكلمات. لذلك فالأمر بالضرورة متعدد التفسيرات، مثل مقولات الفيزياء، فهي ضبابية بالضرورة. لكن أيضا عالم سلوكنا. فنحن منسوجون في بساط، لم نعد نراه في كليته. عندما وُلِدت في عام ١٩٢١، لم يكن يبلغ عدد سكان العالم مليارين، الآن تخطى الخمسة مليارات: إنه ينفجر مثل الكون. بماذا يفيدني فوتان؟

(*) Averroes auf der Suche, Gesamnelte Werke, Bd. 3/II, Erzählungen 1949-1970, Hanser, München 1981 = (ابن رشد باحثا، الأعمال الكاملة. المجلد الثالث / الجزء الثاني. قصص ١٩٤٩ – ١٩٧٠، هانز، ميونخ ١٩٨١).

في إحدى أجمل قصص بورجيه لويس بورجيس يحاول الفيلسوف العربي الكبير ابن رشد أن يكتشف ما يمكن أن تعنيه كلمتي تراجيديا وكوميديا: "قال لنفسه (مجردًا من بالغ الأمل) إن ما نبحث عنه، لهو في غالب الأمر قريب المنال جدا... ألق نظرة عبر قضبان الشرفة؛ أسفل، في الساحة غير المبلطة الضيقة، كان بعض الصبية نصف عراة إلى حد ما يلعبون. كان أحدهما وهو واقف على كتفي الآخر يحاكي الأذان بشكل واضح؛ كان يؤذن بعينين مغمضتين عن أخرهما: "لا إله إلا الله". الآخر، من حافظ عليه ثابتا في حالة اتزان، كان يؤدي دور المئذنة؛ واحد ثالث، جثا في التراب بكل خشوع، ممثلا جماعة المؤمنين. استغرقت اللعبة وقتا قصيرا؛ أرادوا جميعهم أن يكونوا المؤذن، لا أحد أراد أن يكون الجماعة أو المئذنة".

لا يزال ابن رشد لا يعي معنى الكلمتين الغامضتين. فيما بعد أصغى ابن رشد في بيت معلم القرآن فرح للرحالة الكبير أبي القاسم الأشعري فيما يحكيه عن الصين. يقول أبو القاسم: "قادني التجار المسلمون ذات مساء من زنجلان (مقاطعة) إلى دار من الخشب المطلي، كان يعيش فيه أناس كثيرون. كيف أقيمت هذه الدار، أمر يتعذر وصفه، لأنها كانت مكونة حقيقة من قاعة وحيدة ذات مجموعات من الغرف أو المقصورات المفتوحة إحداها على الأخرى. كان يجلس في هذه المساحات الغائرة أناس، يأكلون

ويشربون، وأيضا على الأرض وأيضا فى الشرفة. كان الأفراد فـــى هذه الشرفة يدقون الطبول والناس، باستثناء نحو خمـــسة عــشر أو عشرين شخصا (ذوى أقنعة قرمزية اللون)، كانوا يــصلون، يغنــون ويتبادلون أطراف الحديث. كانوا يعانون من الحبس، لكن لم يكن ثمة سجن ماثل؛ كانوا يمتطون جيادا، لكن ما من فــرس ماثــل؛ كــانوا يبارزون، لكن السيوف كانت من المواســير؛ كــانوا يموتــون ثــم ينهضون بعد ذلك من جديد"... لم يفهم أحد، لم يبد أن أحـــدًا أراد أن يفهم... سأل فرح، "هل هؤلاء الأشخاص كانوا يتكلمون" وقال أبـــو القاسم، من شعر فجأة أنه مضطرا لحماية عرضا، كان يتذكره بالكاد وأصابه فى ذلك الوقت بالملل إلى حد بعيد، "معلوما. كانوا يتكلمـــون ويغنون ويلقون خطبا". قال فرح، "فى هذه الحالة لــم يكــن هنــاك ضرورة لعشرين شخصا. متحدث وحيد يكفى لقــص مــا يمكــن أن يكون، حتى لو كان معقدا للغاية". أيد الجميع هــذا القــول. كانــت مميزات العربية، اللغة، مصدرا للزهو، تلك التى اســتخدمها إلههــم لتعليم الملائكة". لم يفهم ابن رشد بالمرة، وتوجه للبيت مستغرقا فـــى التفكير" .أذن المؤذنون لصلاة الصبح، وقت دخول ابن رشـــد مـــرة أخرى لمكتبته. (فى الحرملك كانت القينات ذوات الشعر الأسود قـــد قمن بتعذيب واحدة حمراء الشعر، إلا أنه تهيات له معرفة ذلك بعـــد الظهر فقط) . شيء ما كشف له معنى الكلمتين الغامضتين. أضـــاف

للمخطوط بخط جميل واثق ومنمق الأسطر التالية: "يصف أرسطو (أرسطوطاليس) الخطب الاحتفالية (أغانى المديح) بأنها تراجيديات والمقطوعات الهجائية والمقطوعات التى تخلو من موضوع (الحبكات) بأنها كوميديات. وتكمن فى فيض السرد القرآنى تراجيديات وكوميديات رائعة ومعلقات القداسة". شعر بثقل النوم، ارتعش قليلا. ما إن حل العمامة، نظر إلى نفسه فى مرآة معدنية. لا أعرف، ماذا رأت عيناه، لأن ما من مؤرخ أورد لنا ملامحه. أعرف فقط، أنه اختفى فجأة، كما لو كان شعاع نارى معتم قد أصابه، واختفت معه الدار والنافورة الخفية والكتب، والمخطوطات، والحمام والقينات الكثيرة ذوات الشعر الأسود، وتلك المرتجفة ذات الشعر الأحمر، وفرح وأبو القاسم وشجيرات الورد وفى النهاية حتى الوادى الكبير". ثم يختم بورجيس: "أردت فى القصة المثبتة بأعلى تصوير عملية فشل. فى أول الأمر فكرت فى كبير أساقفة كانتربرى، من قرر أن يثبت وجود الله؛ ثم فى الخيميائيين، من كانوا يبحثون عن حجر الحكماء؛ ثم فى التثليث غير المجدى للزاوية وتربيع الدائرة. ثم فكرت، أنها واقعة إنسان تنطوى على مزيد من الخيال، يضع نصب عينيه هدفا تحقيقه غير متعذر على آخرين، بل عليه هو. فكرت فى ابن رشد، من طوق نفسه بدائرة الإسلام، ولم يتمكن من معرفة معنى كلمتى "تراجيديا" و"كوميديا". قصصت الواقعة؛ كلما استرسلت، كلما

شعر(ت)، أن ابن رشد، عندما حاول أن يتصور، ماهية الدراما، دون أن تكون لديه فكرة عن المسرح، لم يكن عبثيا أكثر منى أنـا، مـن حاولت تصوير ابن رشد لنفسى، دون مادة أخـرى سـوى بـضعة كتابات مهملة لرينان، ولين وأسين بلاثيوس. شعرت فى آخر صفحة، أن حكايتى كانت رمزا للإنسان، الذى كنته، وقت كتابتى لها، وأننى، لكى أكتب هذه الحكاية، كان يجب أن أكون هذا الإنسان، ولكى أكون هذا الإنسان، كان علىّ تأليف هذه الحكاية، وهكذا إلى ما لا نهايـة. فى اللحظة، التى أتوقف فيها عن الإيمان به، يختفى "ابن رشد".

أردت أيضا شـيئا غيـر مـألوف: أردت كتابـة مـسرحية موضوعها الزمن. عن أحداث بولندا، التـى أدت إلـى ديكتاتوريـة عسكرية. رسخ فى مفهومى، أنه لم بمقدور ياروزالسكى التـصرف بشكل آخر. شغفت دائما بحتمية الخيانة فـى عـالم الـسياسة. فـى مسرحيتى الثالثة، رومولوس العظيم، صورت خائناً. قام رومولـوس بدور إمبراطور سيئ جدا، لدرجة تجعل فى مقدور الجرمـان غـزو الإمبراطورية الرومانية. سؤاله الموجه إلـى اميليـان الـذى سـلخ الجرمان فروة رأسه وعذبوه وإلى جميع من رأوا فيه خائنا، وظلـوا مختبئين فى حجرة نومه لكى يقتلونـه: "اعتـرى رومـا الـضعف، صارت عجوزًا مترنحة، إلا أنه لا يُبَرّأ من الذنب، ولا يُمْحَى عنـه الجرم. حل الوقت بين عشية وضحاها. تحققـت لعنـات ضـحاياه.

ستسـقط الشجرة الجدباء. وقع الفأس في الساق. الجرمان قـادمون. أرقنا دمـاء أجنبية، علينا الآن وفـاء الدين بدمـائنا. لا تتملـص، يا إميليان. لا بتراجع أمام عظمتى، التى تترفع أمامك، غارقة بالذنب الأزلى لتاريخنا، بشكل أبشع من جسدك. إنها قضية العدالـة، التـى شربنا عليها. أجب عن سؤالى: "ألا يزال من حقنا الدفاع عن أنفسنا؟ ألا يزال من حقنا أن نكون أكثر من ضحية؟" لم يتم التعامل مع هـذا السؤال فى عام ١٩٤٩. هاجمت ألمانيا العالم وجعلت منـه ضـحية، وعندما انهزمت، كانت هى نفسها ضحية. هـذا التقلـب الـسياسى العالمى غير المعتاد أربك الكثيرين. ما إن وضعت الحرب أوزارها، حتى بدأت الحرب الباردة، تقلب غير معتاد طوى تقلبًا غير معتـاد. صارت الحرب العدائية ضد الاتحاد السوفيتى فجأة من جديد حـرب دفاعية للغرب المسيحى ضد التوجه البلشفى، وهـو رأى، لا يـزال يلوح فى الأفق للكثيرين. ظهر فى الغسق رجال ٢٠ يوليـو ١٩٤٤ علىّ وجه الخصوص، اعتبرهم الكثيرون من جديد خونة. توصـلت من النقاش الذى دار بشأنهم إلى فكرة ابتداع إمبراطور، يخون بوعى إمبراطوريته هو، الخيانة كالتزام سياسى، إجابة، أعطيتها لجنشر، فى صيف ١٩٨٢ وقت زيارة كارستنز رئيس جمهورية ألمانيا الاتحادية لسويسرا عندما سألنى، ماذا أكتب، وكنت أكتب أخترلـو. لا يوجـد الآن ما هو أصعب من إعادة بنائى نشأة مسرحية. أطلـق مـاركس

على إقامة ديكتاتورية عسكرية اسم التوجه البونابرتى، وبذلك ربطت بين ياروزالسكى ونابليون، فى حقيقة الأمر ليس نابليون الثالث هو من قصده ماركس، بل نابليون الأول. من ناحية أخرى ليست للربط علاقة بالسبب المباشر لبدنى فى كتابة أخترلو، السبب الذى رأيته فى أن الخيانة أساسًا من لوازم السياسة. يحدث هذا علىّ ثلاثة مستويات، على المستوى الأيديولوجى، وعلىّ مستوى الواقع وعلى مستوى السلطة، التى تُستَخدَم إما لفرض الأيديولوجيا أو للتوفيق بينها وبين الواقع أو حتى للحفاظ على السلطة بالقوة، دون خيانة لا فلاح للسلطة. ولا لسلطة ياروزالسكى أيضا. كانت الجيش قوته ونشد الحزب الشيوعى لبولندا العون من قوة ياروزالسكى، للإبقاء على سلطته. إلا أن هذا كان مجرد أحد أوجه الموقف السياسى فى ذلك الوقت. تولى ياروزالسكى للسلطة أوقف زحف الروس ومنع إمكانية النزاع بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية. كانت المرة الأخيرة للنذير بحرب عالمية ثالثة. باستبدالى ياروزالسكى بنابليون، وضعت الشخوص من جديد واستهللت مسرحية جديدة، بدلا من مسرحية موضوعها الزمن حاولت كتابة مسرح عالمى: حرب عالمية ثالثة سيكون معناها فناء الإنسانية، يمكن فقط تلافيها بالخيانة. لكن لن تكون أخترلو بذلك تصويرا للتاريخ، بل اقتحام مجال آخر(١)،

---

(١) باللاتينية فى الأصل Metabasis eis allo genos.

خطوة فكرية، غير جائزة حقيقة فى المنطق، "قفزة إلى مجال آخـــر"، تحتمها مع ذلك قواعد الكتابة المسرحية للمسرح العالمى. بقدر ما إن ياروزالسكى ليس نابليون، بقدر ما إن فاليسا ليس هوس، والكاردينال جلمب ريشيليو، وروبسبيير سوسلوف، ومـــاركس الأول ومـــاركس الأول وماركس الثانى بريجنيف. إنهم حالات تغريب، شخوص على لوحة شطرنج أخرى، ممثلو مسرح عالمى. يؤدون الفقرة، التى وقع عالمنا فى شراكها، بشكل جديد من خلال: شخوص من الخيـــال، لا من الواقع. يظهر الكثير بشكل متعمد. سبب مجىء يوديـــت / جـــين دارك إلى نابليون، أمر موضع تخمين. ربما لأجل عبثيـــة الاغتيـــال السياسى. حقيقة أن جين دارك فتاة تليفون، ظهرت صورها العاريـــة فى جريدة النقابة الجديدة، تمثل محاكاة ساخرة من مغالاة المعـــسكر الشرقى فى ذلك الوقت فى الاحتشام، من التجارة السرية فـــى مجلـــة "بلاى بوى". عند تكوين جزىء، سيكون فيما بعد نواة لمـــسرحية أو رواية، فإن ما يتم نسيانه ليس المنطق فقط فى المسرحية، بل أيـــضا اللا وعى (وهذا له منطقه أيضا)، والتلاعب بالأفكـــار، والإيحـــاءات الخارجية والداخلية، لذلك ربما دفعتنى معـــضلة الموقـــف الـــسياسى لبولندا، لإبرازها من خلال اغتيال عبثى. مـــصدر مـــادتى تنـــاقض العصر، لا أكتب هجاءً، أكتب تناقضات. رسخ فـــى مفهـــومى منـــذ انكبابى على مادة أخترلو، أننى قمت بشىء غير ممكن، برغم أن ما

أغوانى هو غير الممكن، لا الممكن: تعذر كتابة مسرحية موضوعها الزمن، سببه فى المقام الأول فى طبيعة الزمن، إنه الماضى، الـذى يُقَدَم، ويجب تقديمه، علىّ المسرح كزمن راهن، لأن المسرح تـألف فقط الوقت الراهن. إلا أن تعذر مجرد التعرض له، أغـوانى لكـى أجعل منه أساسا نظريا للمسرحية: "المسرحية، التى أصـوغها، تـم تجاوزها منذ وقت طويل، القدر، الذى تتقاسمه مع كل مسرحية، يـتم حبكها، هو الزمن، الذى تحدث فيه، إزاحته لزمن زواله مـر عليـه وقت أقل، لزمننا الراهن إن أمكن، هو الزمن الأكثر زوالا فى جميع الأزمنة". وبشكل أكثر تطرفا: "واقعية المسرح، الذى نؤديـه، هـى أيضا واقعية بشكل غير واقعى كتلك الواقعية، التى تكونون عليها أنتم فى أخترلو كمرتادى مسرح فـضوليين: كلاهمـا مـاض، ندركـه، غارقين فى حالة لا وجود بعدى".

بذلك تصبح المسرحية التى موضوعها الزمن تلاعبا بالزمن، تلاعبا على الزمن، مسرحا على المسرح، أيضا مسرحا عالميا، لأن ما يحدث اليوم، يتلاعب بمصير عالمنا، ولذلك يجب أيضا أن يظهر المؤلف المُبتَدَع، الذى يكتب هذا المسرح العالى: "ليوم بطولـه أقـوم بتشريح سمك، وضفادع مائية وضفادع جبلية فى البنايـة رقـم ١٢ بحارة شبيجل، للإعداد لمحاضرتى فى جامعة زيورخ عن التـشريح المقارن للأسماك والبرمائيات، لكنى أكتب طيلة الليل فى مـسرحيتين

جديدتين، واحدة عن بيترو أرتينو أديب عصر النهضة الفاسد والشرير، من خلال إهمال أسرتي، التي رأت فيَّ مجرد عالم طبيعة، ضائع، والأخرى تحدث في صباح الثاني عشر وصباح الثالث عشر من ديسمبر ١٩٨١ في وارسو، في وقت إذن، فيه أنا، من يكتبه، لست أنا. مشروع مضاعف الجنون، ستقول وتتساءل، ضالا إلى هذا الحد بدافع الفضول، ماذا يمكنني أن أعرف عن الزمن على المسرح، الذي يُعرَض عليه الحدث، وعن حاضركم، الذي ما زلتم تلمسون جيشانه... الوجوب إحدى كلمات اللعنة، التي عُمِدَ بها الإنسان. ما هذا الذي يكذب ويسرق ويقتل بداخلنا؟ ولأنكم تخضعون أيضا لهذا الوجوب، فإن زمانكم أيضا يمكن رؤيته من زماني، بشكل تنبؤي. لذلك عليّ أن أبدأ في كتابة هذه الكوميديا، ولذلك يجب أن أكتبها حتى نهايتها" لكن في النهاية يقر مذعنا: "إلا أن النماذج لا تصمد أمام نصي، هي تتحدث بما تحتم عليها، والآن ينزلق حقا الحدث في الزمن كغرزة غير محكمة في جورب رخيص نحو ستمائة عام قبل ميلاد المسيح إلى يوديت وهولوفرنس. من الآن فصاعدا لن أكتب شيئا" ينضم للتعذر الخاص بنظرية المعرفة في أمر عرض واقع تاريخي على المسرح، تلك الإشكالية الكامنة في وسيلة المسرح، التي تنعدم أهميتها عند الكثيرين، ممن يكتبون مسرحيات، كانت تلك بالنسبة لي باستمرار هي السبب في كتابة مسرحيات. أريد تسمية هذه

الإشكالية جدلية المسرح، عندما ينظر ابن رشد فى المرآة، لا يعرف بورجيس، من الذى رآه ابن رشد، لأن صورته لم ترد، إلا أننا نرى شيئا أكثر لا واقعية من العدم: ممثلا، هو ليس ابن رشد، بل يمثل ابن رشد. تظهر فى مرآة ابن رشد صورة بديلة. لم يكن بمقدورى وضع ابن رشد على خشبة المسرح، بل ممثلا فقط، يؤدى دور ابن رشـــد. تتطابق بذلك جدلية المسرح مع جدلية الممثل، فلم يكن بحاجة ليكـــون هو نفسه على المسرح، بل يجب أن يؤدى دور شخص آخــر، فـــى مثالنا لابن رشد. إلا أن هذه الجدلية تفاقمت مع مرور الوقت. لفظـــة شخصية[1] اللاتينية تعنى قناع الممثل. كان الممثل متواريـــا تحـــت القناع، تعذر التعرف من القناع على المُمثِل، بل على المُمَثَل، علـــى أوديب، أياس، إتيوكليس أو كريون وغيرهم. لذلك أمكن لأرسطو فى حديثه عن التراجيديا زعم أنها تحاكى الأساطير، لأن الممثل خلـــف القناع، بحركته المتثاقلة فى تكلف، كان ملقيا أكثر منه ممثلا. بإسقاط الممثل لقناعه، تحول من ملقٍ للأدوار إلى ممثـــل لـــلأدوار، جدليـــة المسرح، هى التى تغيرت بين الممثل والدور. صار الدور أهم مـــن المسرحية، هاملت ولير أهم من حبكتهم المسرحية، فقوام المسرحيات الأدوار، لا الحدث. إنه عصر مسرح الممثل. وأنا ابنه. كان الحـــدث بالغ الأهمية دائما عندى، كتبته فقط، عندما رأيته كمسرحية، كإمكانية

---

(١) Persona فى الأصل.

لممثل. مكمن التناقض ليس فى القصص أساسا، التى أقصها، بل فى الشخصيات، التى أبدعها، تُولِد التناقض بشكل متناقض. هذا يـؤدى إلى أننى انتظر الكثير فى الغالب من الممثلين. كتـب أحـد النقـاد المعروفين، دور الممرضة مونيكا فى مسرحية علماء الطبيعة يتعذر على الأداء، عليها الظهور لأداء مشهد غرامى ثم تستسلم للقتـل. لا أزال أدرك، أية مخاوف انتابتنى وأنا أعتمد البروفات لإحدى جولات مسرحية علماء الطبيعة. قام شارل رنيه بدور موبيوس، ودينا هنتس بدور الممرضة مونيكا. كنت مضطرًا بسبب الظروف أن أبدأ بمشهد الاثنين. نجح من أول مرة. ومن وقت قصير رأيت فى تسجيل قـديم ريناتا شروتر فى هذا الدور. كانت تؤديه بتلقائية خالـصة. ولـذلك أتذكر عديدًا من الممثلين، من كانوا فى جعبتى الفنية، تمكنـت مـن الكتابة لهم، استوفوا كتابتى، هل المسرح بالنسبة لى مع ذلك حـدث فى المقام الأول، قاصر على الالتقاء بممثل ذى دور، كتوليفـة مـن ممثل مع نص: أفكر فى كورت هورفيتس كرومولوس العظيم، بـل وأيضا فى جلالة عدم التمكن من النص لإروين كـالزر فـى نفـس الدور، رأيت بيتر لور وإرنست جنزبرج فى دور الأمير بودو فـون أو بلوهى تسابرنزيه يترنحان فوق خشبة المسرح، الظهور الطيفـى لتيو لينجن فى دور آينشتاين فى مسرحية علماء الطبيعة، الكمان فـى يده: "استيقظت" أتذكر جدل تريزة جيهزة فى دور أوتيلى فرانك مـع

ماری بیکر فی دور فریدا فورست فی اجتماع البنك، السيدة جيهـــزه رابطة الجأش، شامخة وتنذر بالخطر: "أعلم، يا آنسة فريدا فورست. تزاولين لاثنين وعشرين عاما مهنتك فی مؤسستنا. إلا أننی لو كنـــت مكانك ما زهوت بذلك. يؤسفنا اضطرارنا للبحث عن عمالة أحـــدث عمرًا. أُرسل الإعلان بالفعل"، ترد السيدة بيكر بزهو، يداخلها شعور الانتصار وبحزم: "سيدة فرانك. أعلم ما يعنيه تسريح من العمل فـــی هذا البنك. أنت تريدين إيداعی للموت، كموت جميع من لم يعد هناك احتياج لهم. سأتردى للحضيض. سيدة فرانك، لست امرأة من نوعك، لست سيدة. ما فعلته، فعلته بدافع الحب. أريد حقيقـــة الـــزواج مـــن ريتشارد إيجلی. تؤاخذينني على سنی، يا سيدة فرانك. حقيقة، أنا فی الأربعين، لكن لهذا السبب لن أسمح لك بحرمانی ساعة واحـــدة مـــن عمری أكثر من ذلك، لأننی ما زلت أريد الإنجاب، يا سيدة فرانـــك، أريد تكوين أسرة مع حبيبی ريتشارد. تعتقدين أن بمقدورك التعامـــل معی كما تتعاملين مع آخرين. أنت تخدعين نفسك للغاية، يـــا ســـيدة فرانك. أنت لا تعرفين سوى مؤسستك ومالك. لكـــن عليـــك الآن أن تعرفی سلطان الحب. سيكفل لی ريتشارد الأمان، يا ســـيدة فرانـــك. تهديدك لا يعنی لی شيئا". ، وعقب الاجتماع بعد ذلك، إدراك الـــسيدة بيكر أن رئيس شئون الأفـــراد ريتـــشارد إيجلـــی، الـــذی أدی دوره جوستاف كنوت، يضطر لقتلها، لا يمكننی نـــسيان حـــوار الاثنـــين:

بيكر: "معذرة لإزعاجك". كنوت: "الأمر صعب علـــيّ، يـــا فريـــدا. حقيقة". بيكر: "في الحضيض". كنوت: "كالمعتـــاد". بيكـــر: "علـــيّ الفور؟" كنوت: "توا". ودائما ما أرى جوستاف كنـــوت يـــؤدى دور موهايم الكبير، وهو يسير مترنحا من مرسم شـــفيتر فـــى مـــسرحية الشهاب: موهايم الكبير مسن، مسن جدا، وكنوت كان مسنا جدا فجأة. أرى إرنست شرودر وهو يؤدى دور أوجياس يحلب بقرة، لم تكـــن موجودة ومع ذلك كانت موجودة، لأن شرودر كان يعـــرف، كيفيـــة حلب بقرة: "اهدئى، أيتها البقرة". شـــاعرية خـــشبة المـــسرح. أرى شتكل، في مسرحية الشهاب مرة أخرى وهو يرقد علىّ الفراش فوق أكاليل الموتى: "رائع، يا نيفينتشفاندر! الموت يلاحق المرء كقـــاطرة، صفيرها الأزلى يطبق الآذان، وعويل المخلوقات يعلـــو، فـــى تهـــاو جماعى، خطب مهول في مجمله "؛ أو كورت بك، وهو في مسرحية شريك، جالس فوق حقيبة متاع الباخرة، الموجود بها جثة عـــشيقته، حبيبة البروفيسور في نفس الوقت، أثار بمنولوجه هياج عمالقة الفكر بزيورخ: "كانت آن فيما سبق نقطة ضعف البروفيسور. لأنـــه يُثقِـــل على ضميره. مثل جميع المثقفين. يستفيدون من العالم مـــرتين فـــى نفس الوقت: هكذا كما هو وبالشكل الذى كان ينبغى أن يكون عليـــه. من العالم، كما هو، الحياة، من العالم كما كـــان ينبغـــى أن يكـــون، يأخذون المعايير، لإدانة العالم، الذى يعيـــشون عليـــه، وبـــشعورهم

بالذنب، يبرئون أنفسهم، أعرف الدوار: الدهماء لا تـصلح لـصراع القوة". شعروا بأنهم مقصودون وكانوا يقولون، أنا فقط من يجوز لى أن أصف نفسى بذلك، فى حين أننى قلت، كان علينا جميعا أن نصف أنفسنا بذلك. أرى أيضا فى مسرحية المُعاد تعميدهم فيللى بيرجل فى دور مزدوج، كماتهيسن، باعثا فىَّ بشكل طيفى ذكرى أبى، باعتبارى كردينالاً – كان يمكن أن يتملك الحسد روما – وماتياس فيمـان فـى دور أسقف قعيد، ينهض من على كرسيه المتحرك: "يجب على هـذا العالم المجرد من الإنسانية أن يكون أكثر إنسانية، لكن كيـف؟" سـؤال، يزال يشغلنى حتى اليوم. وبالفعل أتذكر كثيرين، لا هذا الممثل فى ختـام المطاف، الذى أدى فى ستراسبورج فى مسرح جينو دور قائـد سـلاح الفرسان شبوريوس تيتوس ماما، من يريد قتـل رومولـوس ولـذلك لا يغمض له جفن أبدا: صرخته: "لمائة ساعة لم أنم"، عده اليائس للأزرار، تدريباته الرياضية، محاولاته الدائبة للصمود أمام النوم، لكى ينعس، فـى اللحظة التى يمكنه فيها قتل القيصر.

الأسس النظرية الدرامية لمسرحية أخترلو هى أسس نظريـة درامية للفشل: يمكن إخراج المسرحية كعرض مسرحى لم يـصادف نجاحا. يتوهم وريث مجموعة الخنازير الصغيرة أنه جيورج بوشنر، ويكتب مسرحية موضوعها الزمن عن الثانى عشر والثالث عشر من ديسمبر ١٩٨١ فى وارسو، لا ينهيها ونادرًا ما يوجـد متكلمـا فـى

نصه، لدرجة تستدعى التساؤل عن ماهية ما دبَّجه حقيقة وريث مجموعة الخنازير الصغيرة هذا: ينطق بنصه كبوشنر بشكل واضح، أيضا كفرانكلين، لأنه يؤدى دوره، ودور هوس، بقدر ما يؤدى دوره هو نفسه. أيضا يجب أن تكون نصوص جين له هو. بالتأكيد كانت رغبة وريث مجموعة الخنازير الصغيرة كتابة مسرحية موضوعها الزمن عن بولندا اليوم، لكن لأنه يتوهم فى نفسه بوشنر، يمثل طوع خياله ثمة شخوص فحسب، كانت تاريخا على زمن بوشنر. لذلك فإن مسرحية أخترلو من بين أمور أخرى أيضا بورتريه غير مباشر لبوشنر، لم أقم ذات مرة بإخراج مسرحية فويتسك اعتباطا، وأعمل علىّ ظهور فويتسك تكريما لبوشنر. كلمة بوشنر الختامية متضمنة فى أخترلو الثالثة (فى تقمص الأدوار). زعم أحد الأدباء، أنى أخذت كلمة بوشنر الختامية من توماس مان، من روايته يوسف. ولأننى، وإن لم أكن غير متمرس فى التعامل مع المتاهات، أحتد دائما من التلافيف الأدبية لعقلية النقاد، اشتريت طبعة الجيب للرواية؛ تأكد انطباعى الأول: للناقد كمُضارٍ بأوخم الضرر من الأدب الحق فى معاش عجز كلى. بوشنر يتمتع عنده بوجود كأديب فقط؛ لكننى أيضا بعد عرض أخترلو الرابعة توصلت إلى أن فنى صناعة الأسنان جان بيير لولى، من يعتبر نفسه كارل جوستاف يونج، وخياط السيدات إيجناتس شفنتسل، من يعتبر نفسه زيجموند فرويد، يمثلان تجسيدين لكلتا النظريتين الأساسيتين فى العلوم الطبيعية، اللتين انطلق منهما

جيورج بوشنر فى كلمة بروفة بزيورخ، التى صغت أنا منها الكلمة الختامية: يمثل يونج النظرة اللاهوتية، فهو يتقصى الغاية، والمغزى؛ أما فرويد النظرة الفلسفية، كما يسميها بوشنر، فهو يتقصى السبب. لذلك فهما أيضا الأشد جنونا بالمسرحية: تحول خياط السيدات عائدا لأصل الإنسانية هو نفسه: "أنا العقل الباطن للعقل الباطن للإنسان، ينام فى داخلى نوم الجنين فى الحوت الهائل الأعمال الفنية للجنس البشرى مع مبدعيها: هرم خوفو، الأكروبول، وموناليزا، وخط أفق مانهاتن، بل وأيضا هوميروس، شكسبير، كارل ماركس، السيدة كالاس[1] وآينشتاين، حتى وريث مجموعة الخنازير الصغيرة نفسه، الذى يحاول خداعى. فأنا القنصل السابق وأنطلق مسرعا، مطلقا الصرخة الأزلية، تجاه جماعتى الأصلية، لتأسيس الإنسانية". فى حين أن فنى صناعة الأسنان يصير "مغزى" الإنسانية. "بشفائى من وهم أنى كارل جوستاف يونج، أعرف من جديد من أنا: أنا المغزى مرفوع للقوة ثلاثة[2] للإنسان، الكمبيوتر، الذى يحل محل الكمبيوتر الأعلى، الذى يستبدل الكمبيوتر، الذى يجعل الإنسان زائدا على الحاجة. أنا تركيبة التراكيب التعويضية، طاقم أسنان العالم. بدأ البرنامج العالمى فى العرض. لا بد من إطعامى من جديد". بعد ذلك

---

(١) ماريا كالا (١٩٢٣ – ١٩٧٧) مغنية السوبرانو، أمريكية من أصل يونانى.

(٢) صياغة رياضية للتضعيف مثل ٢ مرفوعة للقوة ٣ هى حاصل الضرب ٢× ٢× ٢.

يكون الاثنان، من أديا دورى بلون بلون ولويس، ولَدى أخ نـــابليون، فى الفصل الثانى ماركس الأول وماركس الثانى. قناع يخفى قناعـــا، يخفى قناعا آخر وهكذا، ولا شىء خلف القناع الأخير: المرآة، التـــى نظر فيها ابن رشد، خاوية. مرآة من المرايا. كل من ينظـــر فيهـــا، يتحول مبتعدا، فى فزع، بسبب عدم رؤية شىء، وما إن يستدير حتى يكون له وجهًا، قناعًا، يصير شخصا[1]، يحدث حدثا داخل الحـــدث، ويأخذ ذلك شكلا، كما لو جعلت كل هذه التوقفات الحدث الفعلىّ بـــلا معنى. فهو يحدث علىّ السطح فقط، وكأنه مصادفة؛ الأهـــم ظهـــور الشخوص، الذين يمثلون هذا الحدث، يبرزون دائما من خلال الدور، الذى أنيط بهم أداؤه، فهو كغطاء جليدى رقيق، يكمن تحته الجنـــون، إلا أنه جليد أيضا، بانصهاره، تتحرر الأنا الحقيقيـــة، يقـــول خيـــاط السيدات، أثناء أداء بلون بلون لدور فويتسك، لأن الراهب، من يؤدى فيما عداه دور فويتسك، يؤدى الآن دور يان هـــوس: "كـــل إنـــسان هاوية، وينخدع المرء بالنظر من أعلى لأسفل". بذلك يستشهد فويتسك (خياط السيدات) بفويتسك جيورج بوشنر، وذلك، من يتوهم فى نفسه أنه جيورج بوشنر قائلا نفس الشىء مرة ثانية بشكل آخر: "الطبيعـــة الإنسانية بمثابة هاوية، محجوبة تحت تكوين شـــبكى مـــن المفـــاهيم الخاوية". يمكن مقارنة مسرحية أخترلو بإحـــدى لوحـــات مـــوريتس كورنليس إيشر أو قاعةِ مرايا بمرايا متنوعة الصقل. يحـــاول واحـــد

(١) Persona فى الأصل.

ما، يعتبر نفسه كامبرون، أن يتذكر بلا جدوى كلمته الشهيرة، ثم يؤدى دور البابا يوحنا الثالث والعشرين، الذى أصدر قرار حرمان كنسي ضد هوس، ولا يعرف فى النهاية ماذا كان يريد أن يتذكر ولا من عساه ظن فى نفسه، ولا من هو: "لم أعد أحدا". شخص آخر، راهب متسكع، لا يعرف ما إذا كان هو فى أخترلو راهبا أم هو أجد الرهبان فى أخترلو، يؤدى دور فويتسك، وعليه الآن مما يدفعه للضيق أداء دور هوس، "هل كان واعظا مفوها حقا"، وهو لديه "خمس عشرة امرأة شابة على الأكثر جاثيات حول منبر الوعظ" ... "كنا كلانا فويتسك. كنا متواضعين بشكل مهين". كلانا طالب بالممكن فقط وتم استغلالنا. كلانا كان ضحية التزعزع. لم يجرؤ فويتسك علىّ الإصرار، وأنا تعلقت ببالغ الشدة بالنظام القديم". المخنث البينى أكثر ثبات. لم يؤد الأدوار، لا روبسبيير ولا فوشيه، يقدم فقط الشخوص، التى عليه أن يؤديها. يبقى فى زى مارلين ديتريش، ويتحدث أيضا كالقيصر زيجبيموند عن نفسه، عن مهنته ولهذا السبب يقيم فى أخترلو: "إيمانى عميق. حقيقة. أستغرق فى التفكير فى الله. إذا كان الله قد خلق العالم، فمن خلق الله، ومن خلق الإله، الذى خلق الإله، الذى خلق العالم، وهكذا أسترسل فى السؤال بشكل متواصل". يظهر البروفيسور، ربما وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية، من حقق سلاما: "لم أعد أعرف أين وبين من. أعرف فقط أن السلام، الذى حققته، مكن من حرب، ... وأعرف أن السلطة

أفسدتنى، لأننى تصديت باسم حرية فاسدة لسلطة، كانت تعمل باسم عدالة فاسدة، وأعرف فى نهاية الأمر أننى حاولت لعب الشطرنج بشكل عقلانى على لوحة شطرنج لا عقلانية، حاولت نسج خيوط حول وحش، مزقت حشرته الشرنقة. الوحش اسمه الإنسانية. توقفت عن المحاولة"، وهو موجود بالفعل فى أخترلو: "فى أى مكان. أبواب مفتوحة ذات مصراعين ولا شىء خلفها. كما لو كان لا يوجد شيئا سوى أخترلو هذه. ربما لم يعد يوجد شيئا سوى أخترلـو"، وقررت العودة مرة أخرى "إلى العدم، الذى جئت منه». عودة إلى الوقوف أمام مرآة ابن رشد، للاختفاء المفاجئ، بالنظر فيها. أطلق الرصاص على نفسه، "كما لو أصابه شعاع نارى معتم" لكن المسدس كان مشحونا بذخيرة غير حية، يدسانه فرويد وأدلر فى سترة مُقَيِدَة وأكدا "ذخيرة حية"، وعندما شارك فى أداء الدور، وهو يؤدى بسعادة فكاهية دور نابليون، كمزحة أخيرة، كدور أخير، يمكنه بعد ذلك بالفعل إنهاء لعبة الأقنعة. ولو أراد أداء دور بنجامين فرانكلين، لاختار نابليون، لأن بوشنر يريد أداء دور فرانكلين، وبهذا يرى نفسه أمام جين دارك، بشكل غير متوقع، فى سترة مُقَيِّدَة مثله. وهى تريد الحرب كجين دارك، لتبرير مخططاتها للقتل بالوطنية، فى حين أن نابليون يريد السلام ويجرب كل شىء، لم يوفق فيه فى الواقع، على الأقل ما يمكن أداؤه فى المسرحية. هذه التركيبة وخيمة "تحت سطح الجليد". تتوهم جين دارك بوصفها حفيدة أحد مجرمى الحرب أنها

يوديت، للثأر لذنب جدها: "أحببت جدى. لم أحب من بعده أحد أكثـــر منه. لو هناك إله، سيكون كجدى". يتوصل وزير الخارجية الـــسابق المؤدى لدور نابليون إلى فكرة الظهور بشخصية هولوفرنس ليتركها تطلق عليه الرصاص: "تُسكِر يوديت هولـــوفرنس أيـــضا. يوديـــت وهولوفرنس، امرأة، تقتل بشكل متعقل، ورجل أمكـــن قتلـــه بـــشكل متعقل. ما إن قتلت يوديت هولوفرنس، حتى تحـــرر وطنهـــا. لـــو قتلتينى، ستزيد عبثية افتقارنا للحرية". تنهض جين، تصيح: "أنا لست يوديت". يجذبها نابليون إليه لأسفل بوحشية: "أنا هولـــوفرنس! كنـــت دائما هولوفرنس. لم أكن بروفيسورا أبدا، ولا نابليون. كنـــت دائمـــا هولوفرنس. علمتى بذلك دائما، كعلمى دائما أنك لست جين، كعلمـــى أنك يوديت، يوديت". تبدأ بذلك مسرحية مميتة. تتضح دوافـــع جـــين الفعلية لتكون يوديت، تحدث مرة ثانية فى مسرحية، كما لـــو كانـــت مسرحية داخل مسرحية. تذهب يوديت لهولوفرنس، لتقتله، يفصح لها به وتؤكده هى له ويتبادلان الحب. يبقى مع جنوده المائة وعـــشرين ألفا والرماة العشرين ألفا أمام مدينة بتوليـــا، وأبـــراج الحـــصار لا تتهاوى. يبقى ثلاثة أسابيع أمام المدينة، وتأتى يوديت إليه كل أربعاء "فى قيظ الظهيرة" وتضاجعه، وعندما يسأل سكان بتوليا، متى ستقتل هولوفرنس، تجيب "غدا". يجامعها هولوفرنس ولم يعد يعرف لمـــاذا عليه أن يقذف بهذه المرأة إلى الموت ويحـــرق بتوليـــا. "بتوليـــا لا تستحق الهدم، لكن يوديت تستحق أن تعيش". تضاجعه يوديـــت ولـــم

تعد تعرف لماذا عليها أن تقتله وتنقذ بتوليا: "بتوليا لا تستحق إنقاذها، إلهها وقانونها أكرهانى على الحزن ثلاث سنوات وستة شهور على زوجى، من لم أحبه، وأرسلانى لرجل، أحبه، لكى أقتله". يريد هولوفرنس مجامعة يوديت مرة أخرى، ويعيدها بعد ذلك إلى بتوليا وينسحب بجيشه. يطيح بها بقسوة بعيدًا عنه، تتناول المسدس وتطلق عليه الرصاص من الخلف. يوديت: "سأعود برأس حبيبى إلى بتوليا، وبعد ذلك فى الليل ستنهار أبراج الحصار، ثأرا من هولوفرنس، ثم سيضرمون النار فى بتوليا. سيموت الرجال، والنساء والأطفال فى النيران، وسأواجه الرماة بزهو، حاملة رأس حبيبى أمامى، وعندما يندلع لسان النار الهائل لعنان السماء، ستدفن السهام فى جسدى". بذلك يأخذ قتل هولوفرنس مغزى جديدًا. روح الجد أقوى من غرض الحفيدة، قتلت هولوفرنس، الرجل، الذي لا يجوز لها أن تقع فى غرامه ومع ذلك تهيم فيه حبًا، فقط، لأنها تثأر بموته لموت جدها والشعب، الذى أهلكه جدها، يهلك من جديد.

توديع المسرح

١٩٩٠

مضى على عرض أخترلو ٤ عام ونصف العام، وعلى ليلة الثانى عشر إلى الثالث عشر من ديسمبر ١٩٨١ فى وارسو تسع سنوات. منذ ذلك الوقت لم يعد هناك خطر متأزم لحرب بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى، على العكس، تطور ما بدأ، لم يتنبأ به أحد، دكتاتورية ياروزالسكى جعلت تدخل بريجنيف غير ضرورى، كشفت ترنح الحزب الشيوعى. مات بريجنيف، وبعده بعامين أندروبوف، وتشرنينكو بعد ذلك بعام، ويخلفه جورباتشوف، من يحاول بالبريسترويكا والجلاسنوست استهلال "ثورة ثانية" فى الاتحاد السوفيتى، بهدف تحقيق مزيد من الاشتراكية ومزيد من الديمقراطية. تنتظر دول الكتلة الشرقية من جورباتشوف تنفيذ وعوده. يبقى ياروزالسكى رئيس جمهورية، لكن الحزب الشيوعى يتمكن من عدم إعاقة انتصار حركة تضامن، وتفتح المجر حدودها على النمسا، وتبدأ حركة النزوح الجماعى من جمهورية ألمانيا الديمقراطية، ويتصدع حكم هونيكر، وإذا كان المواطنون قد هتفوا

"نحن الشعب"، فها هم يهتفون الآن "ألمانيا، وطن موحـد"، بلغاريـا تترنح، ويتراجع الحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى، ويستسلم، يـسقط النظام فى رومانيا، يتم قتل شاوشيسكو وزوجته. باسم الحرية، ولأن الحرية واقتصاد السوق الحر مرادفان عند الغرب، تـرى الأحـزاب المسيحية الغربية فى هذه التقلبـات الـسياسية نهايـة الاشـتراكية. وتشارك فى السخف، بوصف شكل الدولة، التى دعمتهـا الأحـزاب الشيوعية الحاكمة، كهذه بأنها "اشتراكية". ومع ذلك عنـدما أتمعـن فيمن يسير كمسيحى سياسى فى كل شىء، يمكننـى بـنفس الحـق التحدث عن نهاية المسيحية. الاشـتراكية داخـل نظـام الاقتـصاد الرأسمالى هى معياره التصحيحى، ممثلوه يصفون أنفـسهم بـصفة مسيحية لأغراض تجميلية فقط: "من هنا فى بلادنا لا يسمى كل شىء باسم مسيحى". اقتصاد السوق الحر يجعل مع الوقت الـسلام بـنفس خطورة الحرب، فهل هو شكله الجديد: الكارثة البيئية، الذى يعجـل باقترابها. "لذلك أحاول كتابة أخترلو، الوصف الفكاهى لانتفاضة، لـم يقدر لها الاندلاع، لحتمية تلافى حرب بالخيانة، كان مـن شـأنها أن تبيد الإنسانية، لإنقاذ سلام، سيكون سبب فناء الإنسانية". إلا أن الدافع وراء نشأة أخترلو وهو حتمية الخيانة فى الـسياسة وخطـر حـرب عالمية ثالثة، تم الزج به مؤقتا من خلال سير التاريخ إلـى الخلفيـة، وأطاح التنقيح المتزايد بمادة الحدث بعيدا لصالح الـشخوص، الـذين

يؤدون الأدوار. وباكتساب مؤديي الأدوار أهمية أكثر من أداء الأدوار، اتخذ أداء الأدوار مكانه في الخلفية. صار المهم، لا ما يؤديه مؤدو الأدوار، بل ماهيتهم وما يفكرون فيه. اكتسب التوزيع على لوحة شطرنج المسرح العالمي مغزى جديدا. لو ينقلب التاريخ بشكل متكرر في أسابيع قليلة، ستتهيأ الأسباب، التي تجعله ينقلب، فقط بالتدريج. لو بدت سياسة تعقل تسود في أوربا، فالتطرف سيزحف في كل مكان. لا في الإسلام فقط واليهودية، أيضا في المسيحية. انهيار الأيديولوجيا السياسية انتشار للدين. تفتت الأيديولوجيات السياسية بسبب الحتمية الاقتصادية، بسبب "ثورة الاقتصاد العالمي القائمة على تكنولوجيا، تحقق ديكتاتورية البروليتاريا بمحو البروليتاريا... جيوش منظفي الشوارع لشوارع غير موجودة، ستزحف سهولنا. عبث! لا جدوى!"، لو تتقارب الأيديولوجيات الدينية من النقيض، الذي يؤول فيه الإيمان بقدر أقوى للعلم، بالأحرى، كأن يبدأ هذا النقيض بشكل ظاهري في الزوال، ستكون معرفتنا بشكل مباشر أقل دائما. فنحن نعلم من خلال "تراكيب صناعية" لمخنا، الكتب والآن أيضا الكمبيوتر، التي خزنت المعارف.

المعارف سطح جليدي رقيق فوق الهاوية المتأججة للمعتقدات. يغطي المعتقدات، ولا يصل إلى قوتها: الإيمان بالمعتقد يدفع طبيعته بشكل لا إرادي إلى اللا شعور. وليس هو فقط: اللا عقلاني يصعد

من الأعماق. ما يصعد من الأعماق خطير. فهو طفحى. رمز. الأمر يستحق التوقف عنده. الجليد عبارة عن حالة تجمع للمـــاء، ويطـــرح السؤال التالى نفسه، أليست المعرفة حالة تجمع للمعتقد. فأنـــا أؤمـــن بشيء وأعرف شيئًا. لكن يمكننى أيضا الاعتقـــاد بمعرفـــة شـــيء، وعندما أعتقد، اعتقد أنى أعرف على أيـــة حـــال. لا يمكـــن إجابـــة السؤال، هل أعرف أننى متيقظ، أم هل أعتقد أننى متـــيقظ. المعرفـــة والاعتقاد هنا يهدفان لنفس الشيء: الإدراك وبذلك شـــكل مُـــضَعَّف، بمقدورنا مع ذلك تصور الأمر يقظة أو حلم. لكن لأن الحلم بالنـــسبة للحالم أمر واقع، فالحالم يعتقد أنه متـــيقظ، ولأن الاعتقـــاد بالنـــسبة للمُعتَقِد معرفة، فهو يعرف أيضا بشكل حالم أنه متيقظ. وعينا أكثـــر تناقضا مما نعتقد، قبل التمعن فيه. الأمر يختلف فـــى التعامـــل مـــع مضامين وعينا. السؤال، هل أنا أكتب أم أحلـــم بـــأنى أكتـــب: "أى نقطتين مختلفتين عن بعضهما لمستقيم يحددان هذا المستقيم"، يتعـــذر إجابته، لكن عبارة النقطتين المختلفتين عن بعضهما صـــحيحة، هـــل دونتها الآن أم أحلم أننى دونتها. إنها بدهية رياضية. مع ذلك فالأمر يختلف إذا كنت أكتب وأنا أحلم أو وأنا متيقظ، الأرض تدور حـــول الشمس. هذه العبارة ليست بديهية. هل حلمت أنى كتبتها، يمكـــن أن يكون كل شيء أيضا حلمًا بالنسبة لـــى، الأرض، الـــشمس، الكـــون بأكمله، كل شيء يتكون من أنا حالمة وحيدة، تصور شوبنهاور عدم

وجودها أيضا وترك الإرادة غير المبررة، المفتقرة لهدف والمجـــردة من المعرفة، الأنا هي مجرد موجة في محيط الإرادة، مـــن الموجـــة يبدو العالم كخداع مؤلم، كحلم مفزع. لا عجب بشأن إعادة اكتـــشاف شوبنهاور. لكن أيضا في مجال أبحاث المخ - بما في ذلـــك أبحـــاث الفيزياء - يطرح هذا السؤال نفسه، هل أرى الواقع، أم هل يتجمع ما أراه فقط في عقلي كواقع، لدرجة أن الواقع الذى أعتقـــد أننـــى أراه، مجرد مظهر؟ مع ذلك لو نحيت هذا السؤال جانبا، وتناولت العـــالم، كما أراه، كواقع، وأخترقت العالم الظاهر الممكن منطقيا، أجدني أمام مأزقا جديدا: أعرف بيقين بدهية رياضية أن الأرض تـــدور حـــول الشمس، أم أعتقد معرفتي بذلك؟ جلست في وقت ما بين عام ١٩٦٠ وعام ١٩٧٠ أمام أحد البطالمة في مطعم عربي متواضع. كـــان قـــد قادنا بالتاكسي من الدار البيضاء إلى مراكش. كنا في عجلة، وقتنـــا كان يتسع فقط للذهاب إلى هناك، لتفقد المدينة والعودة مرة أخـــرى، كانت الرحلة جنونا خالصا. سائق التاكسي، من رجوناه أن ينتظرنـــا، تعقبنا، كما لو كان يريد أن لا نختفي من أمامه. لم ننجح في استبداله، ولا حتى في الحارات معقدة المسالك للسوق، حيث تتكـــاثف رائحـــة الجلد والتوابل ولا أعلم لأى شيء لتصير عطانة مستـــساغة، كـــان سائق التاكسي يظهر باستمرار، هزيلاً، أصابعه بها اصـــفرار مـــن النيكوتين. سألنا بفرنسية مشوهة، وفي فمه بعض أعقاب أسنان فقط،

أليست لدينا رغبة فى تناول طعام عربي، أذعنًا منهكين علـــى أمـــل الإفلات من رائحة العطانة، وكأنها معقودة بسحر. كل شيء قُدم لنـــا على المائدة فى هذا المحل كان لذيذا، أكداس من أطعمة غير مسموح لى بتناولها، حساء كثيف القوام بغيض تحت مسمى شاى، مياه معدنية فاترة. جلس، ما إن دخلنا المحل، على وسادة، وتناول الطعام بيديـــه، غمس رقائق الخبز فى مرقة دبقة، والتقط قطع لحم، وأصدر صـــوت مضغ باستمتاع. سأل زوجتي، هل لديها أطفال، ثم ســـألنى، مـــا إذا كنت أعتقد أيضا أن الأرض تدور حول الشمس. أجبت دون تـــوخى الحرص بأنى لا أعتقد، بل أعرف ذلك. لف سيجارة بإتقان، أشعلها، دخن وسأل، لماذا تدور الأرض إذًا حول الشمس. بعدم حرص أكثـــر من ذى قبل شرعت فى الإجابة عن السؤال، يتملكنى بشكل واضـــح الإحساس بالالتزام التنويرى، حاولت تفسير المجموعة الشمسية. لـــم يصدقنى. مهما سقت من براهين، كانت تنقصه المقومات لفهم دلائلى على مسار الأرض حول الشمس، لكن معرفتى لم تكن حقيقة معرفتى الذاتية، هى معرفة متخذة، فكرت فى كبلر، من احتاج اثنـــى عـــشر عاما، لكى يكتشف، أن مسار المريخ كان إهليجيا وليس دائريا، كمـــا اعتقد جاليليو، واعتقد أنه كان باستطاعة كبلر فقط أن يتوصل لهـــذا الاكتشاف، لأنه أخذ بيانات المريخ عن تيخو براى، من كان هو نفسه يعتقد فى دوران الأرض حول الشمس. انتابنى فجأة شعور أن ســـائق

التاكسى هذا يعرف فى أساس الأمر حقيقة أكثر منى، وأن معرفتى كانت مجرد اعتقاد معرفة. انطوى رفضه العدول عن رأيه على شيء رائع. ما اعتقده، كان محل اعتقاد لآلاف السنين. من يعرف، هل يجب الإقدام على المجازفة بالخطأ، فالمعرفة تتطور من خلال الأخطاء، الشك عدو الإيمان، دحض. يعرف العارف أنه يعرف بقدر قليل للغاية عما يعتقد معرفته. معرفتنا عن العالم تمثل نسيجًا معقدًا من حقائق تم اكتسابها غالبا من طرق ملتوية اجتيازها ينطوى علىّ مغامرة، من أخطاء لم يتم التعرف عليها بعد، من تراكيب رياضية، من تخمينات متهورة، أملاها العقل، ما نعتقده، هو نقيض المعرفة. مع ذلك يشكك موضوع المعرفة فى حقيقة الاعتقاد فى المعرفة باستمرار على نحو جعلها تصبح محل شك متواصل: كلما أظهرت محاولة اكتساب العلم حقائق وأثارت تخمينات، كلما توتر الاعتقاد فى العلم. لا يتم التشكيك فقط فى هؤلاء، من يميلون للاعتقاد فى العلم، بل أيضا فى من يريد أن يعرف: يتوغل فى أعماق بعيدة لمنطقة أضيرت بالهزات الأرضية. كلما اقترب من الحقيقة، كلما مالت بشكل أكثر للطبيعة الافتراضية، حتى تتقهقر تماما إلى ما يمكن صياغته بشكل منطقى، إلى رياضيات. بقدر علاقة المقولات الرياضية بالواقع، فهى ليست أكيدة، وبقدر ما هى أكيدة، فهى لا ترتبط بالواقع، هكذا كتب أينشتاين، للتطلع "لمزيد من الرياضيات"، عندما لم يحرز

تقدما فى نظرية الحقل العام. صار صيته مسموعا. مزيد من الرياضيات دخل فى الأمر، ومعها الكمبيوتر، الذى يعرف فقط ولا يشك: "حمرة الشفق ذات لون الدم، التى تتهادى مقتربة من الإنسانية لكى تذوب فيها متحولة لشيء زائد عن الحاجة، هى فى نفس الوقت حمرة الغسق، التى يصدر على وفرة لهيبها الإنسانية الجديدة، إنسانية العقول الصناعية تلك، متهيئة للبحث عن مغزاها، البدائل الصناعية للبدائل الصناعية، الكمبيوتر الأعلى، الذى سيحل محل الكمبيوتر كمغزى للمغزى". حقيقة لن يعى أيضا الكومبيوتر الأعلى هذا المغزى، منطوق القانون الكونى، الذى يشمل الكون الأكبر والكون الأصغر، القوة المؤثرة فى الكون، والقوى التى تعمل علىّ تماسك مكونات الذرة، الاختراق الرياضى الكامل للواقع. منطوق القانون الكونى لن يكون الواقع، بل التأويل الرياضى للواقع. بذلك ستصل الرياضيات إلى منتهاها. لكن قليلين من سيفهمون منطوق القانون الكونى وكثيرين من سيداخلهم مجرد اعتقاد فهمه، حتى يسود الاعتقاد فيه، كما يتم الاعتقاد فى الله: تعذر الفهم يصبح دليل الصحة. سيتم إبدال منطوق القانون الكونى بالحقيقة، وقلب المعرفة إلى إيمان: منطوق القانون الكونى سيصير قالبًا، أساسا لمعتقد جديد، غير مفهوم، خاضع فقط للتأويل. فالناس تميل للاعتقاد، لا للمعرفة، لأنهم يعتقدون أنهم يكتسبون المعرفة فقط كمؤمنين. سيسعون إلى المنظمة

الأوربية للأبحاث النووية CERN[1] كسعى المسلمين إلى مكة. ما زالت هناك فرصة لسويسرا.

يريد الإنسان اليقين. يجده فى بداهة الإيمان. كلما كانت المعرفة تفتقر للبداهة ومجردة، كلما زادت شدة النهم للا عقلانى، وتعاظمت فرصة التشدد. واجهنى فى فترة شبابى أصوليتان: الاشتراكية القومية والمادية الجدلية فى شكلها المميز، الستالينية. كلتاهما عقيدتان. إذا كانت الاشتراكية القومية، بتوخى الدقة فى تحليلها، قابلة للتفسير النفسى، لأن أصلها متشابك بشكل لصيق جدا مع التاريخ الألمانى، لدرجة نشأته عنه، إن لم يكن بالضرورة، بل كإحدى نتائجه المحتملة، مُطَبَخًا من أسطورة الإمبراطورية المقدسة، ومن عار هزيمة، ومن خليط من الوطنية، والهوس العرقى، ومعاداة الثقافة العقلية، ومن "إيمان عاطفى بالطاقات الكامنة فى العنصر الألمانى"، هكذا حال الاشتراكية القومية، باعتبارها معتقد شعب، محاكاة ساخرة لليهودية، التى هى أيضا معتقد شعب. حاكت اليهودية، لإبادتها، ولكى تتمكن من إبادتها، أسقط على اليهودى، ما كان عليه هو نفسه، وأسقط منه، ما كان يريد أن يكون هو عليه عقدة النقص عند الجلاد. إذا كانت جذور الاشتراكية القومية تقع بذلك فى المكون

(١) الحروف الاستهلالية لنفس المنظمة باللغة الفرنسية Conseil Européen pour la Recherche Nucléaire.

العاطفى وبناء عليه اللا عقلانى، فإنها تكمن بالنسبة للشيوعية فى المكون العقلانى. فهى على عكس الاشتراكية القومية فكرة عقلانية وبناء عليه معقولة للغاية. سحرها الفكرى يكمن هنا. ومع ذلك فهى عقيدة. كل عقلانية دوجماتية بمثابة ميتافيزيقا، لا يمكنها التدليل، يجب الاعتقاد فيها: صراع الطبقات نظرية، زرعها ماركس مفسرا لها فى التاريخ، أصولية تاريخية. "بكرهى للديانات، أنشأت دينا جديدا، ومثلما اختار يهوه شعبه، أخترت أنا طبقة البروليتاريا، وكما أعطى موسى شعبه المختار شريعة يهوه، أعطيت أنا طبقة البروليتاريا قانون تاريخ العالم". كان ماركس المنشئ الأكبر للدين فى القرن التاسع عشر.

انهارت الاشتراكية القومية عام ١٩٤٥. ولأنها كانت ذات أهمية ألمانية وبالتالى إقليمية، دخلت فى مفهوم الفاشية، التى كانت تحتاجها الأصولية الماركسية كعدو: كل أصولية مانوية. تحتاج لخصم. الاشتراكية القومية "البلشفية اليهودية"، الماركسية الدوجماطيقية الفاشية، الكاثوليكية الإلحاد، الخومينية الفكر الغربى وهكذا. تحت مسمى الفاشية فَهِمَت الشيوعية فى ذروة الحرب الباردة الرأسمالية أيضا. خطأ وبيل. الرأسمالية ليست سوى النظام الاقتصادى الطبيعى للثورة التقنية القائمة على الأنانية الإنسانية. هى ليست معتقدا، حتى لو أمكن أيضا أن تنشأ فى رحمها الاتجاهات

العقائدية الأشد تباينا. الرأسمالية تخلق لنفسها بنفسها متطلباتها. ستُظهر الصناعة الغربية كل المعالم التى نسبها ماركس للرأسمالية لو لم تنتج بضائع بالجملة. ستجد منافذ لتوزيعها لا فقط عند طبقة واحدة. ستوحد الصناعة الحديثة مستوى الطبقات، ستحل ديكتاتورية المشترى محل ديكتاتورية البروليتاريا. ستكون هناك حاجة مضاعفة للعامل: كمشتر لأفراد عمالته وكمشتر للبضاعة، التى يساعد فى إنتاجها عن طريق بيع أفراد عمالته. وبتنظيمه لنفسه، بالتهديد بالإضراب أو حتى بالإضراب ينتزع أجورًا أعلى ووقت فراغ أطول، لتلبية احتياجاته، التى تحدثها الصناعة بعونه عن طريق بضائع جديدة دائما. الرأسمالية الغربية هى الموطن الاقتصادى. سيكون هناك احتياج لكل الأطراف، سيكونون عرضة للاستغلال ومُستَغلين. الرأسمالية تخضع لأولوية الحرية. لكن لأنها تفسد هذا بالضرورة فى صراع التنافس، يبدأ المبدأ المضاد، العدالة. الاشتراكية أيضا. وهذه فى الدول الصناعية الغربية فى نزاع مع الحرية. قوة انفجار هائلة مدسوسة الآن فى مطلب الحرية، تتفاقم، إذا ما ارتبطت بالأمل فى مقومات حياة أفضل. ولأن مقومات الحياة الأفضل هذه توجد فقط فى الغرب الرأسمالى، فإن الدعوة إلى الحرية موجهة ضد نظمِ الحكم الشيوعية. لذلك ليست هناك فرصة للاشتراكية الديمقراطية، التى يطالب بها المثقفون. فقد وقعت ضحية

سوء استخدام الكلمة، الذى انتشر مع الدعوة للاشتراكية. قد تكون رأسمالية خاضعة لأولوية العدالة. الضرورة فقط ستطرحها، وتجعل التناقض ممكنا، لا نشوة الحرية. الضرورة كامنة فى المستقبل. وهى تسرع مقتربة. لأن عالم الصناعة الغربى قائم على إمكانية الانتفاع بالعلوم الطبيعية من خلال التقنيات. وإذا كان هذا قد قام حتى القرن التاسع عشر على التجريبية، على الخبرة، وكانت وسائل النقل حتى عصر جوته فى الأساس هى نفسها كما فى العصر القديم، فقد بدأت تقنيات الصناعة الحديثة فى التطور، باستنادها على معارف العلوم الطبيعية المحكمة. الرأسمالية كنظام اقتصادى طبيعى لهذه الثورة التقنية ليس بطبيعته رؤية كونية، فمن الناحية السياسية هى تقود إلى الديمقراطية لأنها وقعت فى نزاع مع الاشتراكية. وحيث تلاشى أو يتلاشى هذا النزاع، فقد أفاد أو يفيد الفاشية. محاولة جورباتشوف صياغة الشيوعية بشكل ديمقراطى، أدهشت فقط هؤلاء، من يرون فى الشيوعية انتصارا على الرأسمالية بدلا من استكمالها. ما يسمى بالمادية الجدلية يقوم على الاعتقاد فى أن النظام الاقتصادى الرأسمالى الطبيعى يتحول إلى شيوعى فكرى، يلغى التناقضات الطبيعية للرأسمالية، وأيضا النزاع، الذى يطوق الحرية والعدالة. هذا الاعتقاد نشأ أيضا فى رحم الرأسمالية. الشيوعية هى اكتمال الرأسمالية بالمفهوم الهيجيلى، صياغة مفاهيم: الفكرة الميتافيزيقية،

القائمة على عقيدة كونية، لكن أيضا على اعتقاد حزب، يرى نفسه أداة لتحول الرأسمالية إلى الشيوعية. من أجل هذا الاعتقاد ضحى آلاف الشهداء بأنفسهم، وسقط ملايين ضحية له. من أجل هذا الاعتقاد، من أجل مبدأ الأمل، لقي يجل العديد من المفكرين باستمرار تروتسكي، من وقع ضحية لستالين، وفي ذلك تفسير كراهية الشيوعية للديمقراطية الاشتراكية. نزاعهما مع الرأسمالية كتب لها الاستمرارية. أيضا جورباتشوف شيوعي عن قناعة. لم يرد هدم متاهة اعتقاده، بل تجديدها فقط، جعلها مأهولة، أكثر ودا، وأكثر حداثة. حاول وضع خطة جديدة، بسيطة، عملية للمتاهة، خطة، يمكن الوصول فيها للمخرج بسهولة. حاول إدخال متاهة ديمقراطية. متاهة، ليست سجنا. قال القائمون على المتاهة، ما من مخرج لمتاهة، مدخل فقط. أكد جورباتشوف قائلا، المتاهة دون مخرج سجن، وأسرع بعد ذلك عبر المسالك والمكاتب، حيث كان يجلس القائمون على المتاهة. في كل مكان كان يجلس قائمون على المتاهة. قال له القائمون على المتاهة، المتاهة ليست سجنا، مدخلها هو مخرجها، هذا يتوقف على تعريف المتاهة. مخططنا طريقه مرة أخرى في مكتب جديد، طالب جورباتشوف بأن يكون إيجاد المخرج أمرا يسيرا بالفعل، بحيث يمكن الخروج بسهولة أيضا. أجاب القائمون على المتاهة، العثور على المخرج أمر يسير، لكن من دخل، لن يجد

المخرج، وإلا فالمتاهة لن تكون متاهة، وظيفتها كفل الأمان، وهـذا ممكن فقط بتعذر إيجاد المخرج، لذلك فالإنسانية آمنة فقط فى متاهة. اعترض جورباتشوف قائلا، إذن فالمتاهة سجن بالفعل. دمدم قائمون على المتاهة متقدمون جدا فى العمر فى أحد المكاتب الموغلـة فـى عمق المتاهة قائلين، المتاهة ليست سجنا. مدخلها غير مراقب، ولأن مدخلها هو المخرج أيضا، فإن مخرجها غير مراقب أيـضا، وهـو مراقب فى كل سجن. أصر جورباتشوف قائلا، مخرج، يتعذر العثور عليه، هو نفس الشيء كعدم وجود مخرج. هز القائمون على المتاهة فى أبعد المكاتب بالداخل رؤسهم رافضين، قائلين: أمر غير منطقى. ما له مدخل، له أيضا مخرج: هذه الحقيقة لا ترتبط بالعثور علـى أو تعذر العثور على، وما لا حاجة للعثور عليه، لا حاجة للبحث عنـه. أكد جورباتشوف أنه سيجد المخرج، وضل طريقه بعد ذلـك عبـر المسالك والمكاتب. تنبأ بعض القائمين على المتاهـة، بأنـه سـيهدم المتاهة، تمطع آخرون فى كراسى الاسترخاء وبدأوا فـى النعـاس، وكانوا يظنون: "المتاهة أبديـة، إنهـا متاهـة معتقـدنا". وبهرولـة جورباتشوف بعد ذلك عبر المتاهة وإعلانه فى كل مكان أنه لا بد من تدبر أمر المتاهة من جديد، وجعل الشفافية والديمقراطيـة تـسودها، بمخرج لكل فرد، بمخرج يَسهُل العثور عليه، فكر السكان فى أمـر المتاهة: "فيما نحتاج إذًا لمتاهة ولماذا هناك قائمون علـى المتاهـة؟

فنحن لا نجد المخرج على أية حال، وعندما نبحث عنه، يعوق بحثنا القائمون على المتاهة. سواء كانت المتاهة متاهة أم لا، هذا أمـــر لا يعنينا. هى بالنسبة لنا سجن. هيا نهدم المتاهة". وهدموها. وبدخولهم رحاب الحرية، صاروا قوميين أرمينيين وأذربيجـــانيين وجورجيـــان وأوزبك وليتوان واستونيين ولاتفيين وأوكرانيين وروسًـــا وغيـــره. المادية الجدلية أصولية، تقوم على الاعتقاد فـــى عـــصمتها. بتنـــاول عصمتها فى الفهم الأيديولوجى فقط لا العملى، فإنها تطلـــق العنـــان للقومية. شيوعية ديمقراطية بمثابة تناقض قلبا وقالبا. جورباتـــشوف شيوعى، كما كان شتراوس مسيحيا. وكما كان من غير الممكـــن أن يكون شتراوس مسيحيا كسياسى، لم يتمكن جورباتشوف كسياسى أن يكون شيوعيا. على العكس من ذلك دفعت الرأسمالية الحالية كاقتصاد للسوق الحر بالقومية إلى ما هو قيمى، فى حين أن مهمة الدولة فـــى المفهوم العملى هى كفل اقتصاد السوق الحر وجعل رخاء الكثيـــرين جدا أمرا ممكنا؛ بحيث يقرر اقتصاد السوق الحر أمر "كم الأعـــداد". اقتصاد السوق الحر عبارة عن حلبة مصارعة. مسموح فيهـــا بكـــل ضربة وكل مسكة. هذه الحلبة دولية، من يصارع ضد من، لا يمكن التمييز، تجار مخدرات ضد مؤسسات متعددة الجنسيات، تجار سلاح ضد أعضاء عصابات المافيا، مؤســـسات يابانيـــة ضـــد مؤســـسات أمريكية، ألمان ضد هولنديين، فرنسيون ضد فرنسيين، فرنسيون ضد

ألمان، أيضا هناك سويسريون متورطون فى هذا فى كل مكان. فى بؤرة حلبة المصارعة العالمية هذه توجد الحلبات القومية. حلبات مصارعة أيضا. للسياسيين. مسموح فيها أيضا بكل ضربة وبكل مسكة. إلا أن أساس مشروعية هذا قيمية. فهم يطعنون باسم الحرية، يسددون الضربات باسم العدالة، الصلف باسم الوطن، التردى باسم المسيحية. لكن هل الحلبات القومية تؤثر فى الحلبة العالمية، وإذا كانت تؤثر فيها، كيف تؤثر فيها، أو هل الحلبة العالمية فقط هى التى تؤثر فى الحلبات القومية، أم هل كلهم يؤثرون فى بعضهم بعضًا، الغموض يسود هذا الأمر: شاهدت فى التليفزيون عالم فلك يسدى النصائح لسوق الأوراق المالية. تركت القومية الأوربية متدنية القيمة فجوة، تسدد اللاعقلانية من خلالها قذائفها. تكمن مصادرها فى الخوف من تقنية، لن يتحرر منها أحد، تخلق متطلبات جديدة دائما وتزداد باستمرار صعوبة استيعابها، وفى التشكك فى أحد العلوم المسلوبة لصالح هذه التقنية وصار أشد التصاقا بها. انفتحت أهوسة المعتقدات عن آخرها. ربما كانت العقيدة المسيحية معقدة للغاية، حتى يكتب لها البقاء، شديدة الصقل كدينات غنوصية أخرى، ألم تصر بشكل خاص موضوعا للمفكرين، لآباء الكنيسة. تشرذموا على مفهوم التثليث. الكنيسة إحدى أبرع المؤسسات، استخلصت نفسها على مدى القرون الأولى بعد المسيح كهيئة كهنوتية هرمية، صاغت المسيحية

كتعاليم فى شكل فكرى ونشرت المسيحية من خلال تقــديس مــريم العذراء وتمجيد القديسين والآثار المقدسة. مثلت عقيدة مفاهيم معقــدة كعقيدة شعور واستبدلت الإيمان بالمسيح بالإيمان بها: تمكنت الكنيسة بداية من الآن من تخليص الإنسان من الخطيئة. تم استبدال الإيمــان بسلطة ميتافيزيقية بالإيمان بمؤسسة، بررت نفسها تبرير ميتافيزيقى، ومن الإيمان نشأت طاعة الكنيسة. (تكررت هذه العملية مع مؤسسات الأحزاب الشيوعية) جمدت الكنيسة الديانة المــسيحية فــى كبــسولة بحيث صار الإيمان بها أمر مفرط العقلانية وتعقلها أمر متعذر، وفى ذلك يكمن ضعفها الحالى. يتم تصويرها فــى أخترلــو مــن خــلال الكاردينال ريشيليو. تؤدى دوره السيدة فون سيمزن. أخــذتها عــن مسرحية لتدريب الممثلين، كتبتها عام ١٩٧٠. سميتها فيهــا الــسيدة فون تسنتس، وكانت تعيش فى دار مسنين، فى التسعين، نبيلة مسنة، آخر سلالتها. الآن تؤدى دورًا أصوليًا، أمير كنيسة، يحلــم بالدولــة الكونية، بقفص منيع، مشيد من كنيسة كاثوليكية لا مراء فــى يقينهــا ماركسية. "يحتاج الإنسان للعدالة فى الدنيا وللرحمــة فــى الآخــرة. العدالة فى الدنيا ممكنة فقط بدون حرية والرحمة فى الآخرة فقط دون حرية الرب". إذا كانت السيدة سيمزن تؤدى فى الفــصل الأول دور خومينيا كاثوليكيا، فإنها تمثل فى الفــصل الثــانى ســقوطه. ييــأس ريشيليو بشأن كلبة. لا يتمكن من تحمل الواقع. أصوليته تنهار: "لــم

نكن نحلم فقط، كنا نخطط. لم نكن نخطط فقط، كنا نعمل. كنا نجبر الإنسان غير المكتمل على خيالاتنا المكتملة. بدا لي هذا كعثوري على هذه الكلبة الميتة، داستها دبابة فسوتها بالأرض. بدا الأمر لي وكأن الإنسانية ممدة أمامي". لم تصمد صياغة المفاهيم أمام الشعور، أمام التعاطف. إلا أن قوة الكنيسة تكمن أيضا في يأس ريشيليو من ضعفها مقابل العناء، في اعتراضه على نفسه، بل على الرب. كان الإنسان يدرك على الدوام أمر فنائه: كان اكتشافه العلمي الأول هو ما جعل منه إنسانا. لم يكن باستطاعته البقاء دون التغلب على الموت. ابتدع الميتافيزيقا، أبدية الروح، الآلهة السرمديين، الرب، الكنيسة في نهاية الأمر. كان الموت شيئا عدوانيا، جزاء الإثم، العبث في الخلق، يجل الإنسان الكنيسة، وإذا كان يجلها، فليس بسبب الموروث فقط. أو بسبب أنه يشعر بأنه مسيحيا أيضا. حقيقة يمكنه التوقف عن الإيمان بتعاليمها، وقد صار الرب شيئا غير محدد، شيئا مبهما. شعورا أيضا. إلا أنه شعور مسيحي. سرى من المسيحية بالعدوى. وهذا سبب معاداة السامية. هذا سبب الخوف من الموت. يهجع خلفه باستمرار الخوف من الجحيم. دونه لن يعد للكنيسة دورا. دون هذا الخوف لن تكون هناك ثقافة مسيحية. إنها ثقافة عذاب الضمير. فيما عدا الأصوليين، لم يعد أحد يؤمن بالإثم الأزلي، لكن أمر أننا نعيش بطريقة خاطئة، هذا ما يعتقده الجميع. وهي ثقافة

التفاؤل أن كل شيء لن يكون بهذا السوء لدرجة تمنع وجود الخوف؛ أن اللــه - مهما يكن - رحيم. هل لم تكن بداية الخلق الكلمة، بــل الخوف، وذاب الآن في ثقافة، كل شيء فيها مباح وكل شيء ممكن، في ثقافة عدم الالتزام.

السلوى، التي تمنحها المشاعر، الرب، الخلود، الرحمــة، بــل الوطن، الحب في آخر الأمر، شيء دافــئ. سـلوى العلـم بــاردة. والبرودة تستوعب الدفء. أيضا حتى لو بث العلم الحمــاس. أحـد أجمل الأشياء الكونية هو سديم الـسرطان، تكـوين ضـبابي أزرق رقيق، حوافه حمراء وبه شرائط حمراء متشابكة بها بيــاض. إنهــا البقايا الباقية من الطارف الأعظم، الذي يتمدد بسرعة ١١٠٠ كم في الثانية، الشمس، التي انفجرت، وتردت إلى نجـم نيـوتروني قطـره حوالي ٢٠ كم، يحتوي على ما يزيد على واحد ونصف الواحد مــن الكتل الشمسية ويدور ثلاثين مرة في الثانية حول نفسه. نرى الـسديم السرطاني من الخارج، على بعد ٥٠٠٠ سنة ضـوئية منــا، نـسيج أسطوري؛ لو كنا فيه، لانعدم وجودنا. "بتقـسيمي جمــاجم عينــاتي بمشرط تشريح بعد ذلك بثلاث سنوات، ها أنا أبدأ في التعرف علــى القوانين، التي تقوم عليها هذه الكائنات، فهي قوانين سامية، بـسيطة وجميلة مثل قانون الحتمية، نقوم عليها جميعا أيضا مثل كل الأحياء، لكني لا أتعرف فقط، بل أعايش أيضا ما أتعرف عليه، جمال الحتمية

سيتحول لشيء مفزع. يحملق في وجه ميدوزا". الإنسان العلمى مثل واحد يعرف كل شيء عن السرطان ومصاب به. أدمج العلم الحالى الموت بالفعل فى الحياة، فلا تطور بلا موت، دون الموت نكون عدما كبقعة لكائن وحيد الخلية ينقسم بشكل متواصل، مغطيا الأرض؛ الإنسان لم ينتج عن خلق، عن تحول. إلا أنه ليس هناك أصعب من دمج علمنا في وجودنا. لو قُدِّر لنا التوفيق فى هذا، سنكتشف أنه لا توجد معجزة أخرى سوانا نحن، النتيجة لا فقط عديد من الكائنات الميتة أمامنا، بل أيضا طارف أعظم منفجر كمثيله فى السديم السرطانى، الذى لوث الشمس الأقدم، والكواكب ونحن بالعناصر الثقيلة، التى بدونها لتعذرت الحياة. ولا مناص من التفكير فى أن التفجير الأقدم، الذى بدأ به كوننا، ربما كان نهاية كون منهار، كان موجودا قبل كوننا. ربما أن الموت أب لكل الأشياء، ولأننى فلحت فى الدفع بذلك حتى حمل دكتوراه شرفية فى اللاهوت، يمكننى تخيل إله طائش إلى حد ما، يبعثر كل هذا، إلا أنه لم يخلقه بشكل يخلو من الود. "أنا الإله العزيز. وُلدت من الأزلية فى وقت ما ومت فى الأزلية فى وقت ما، ولأنه بين لحظتين فى الأزلية زمن مديد لا ينتهى، حتى لو كانتا شديتى الاقتراب من بعضهما، فمن الممكن أننى لم أعد موجودا لوقت يطول للغاية، وأننى كنت موجودا لوقت قصير للغاية، وقت كان رغم ذلك أطول من أى فترة زمنية، لأن كل فترة

قابلة للقياس، ووقتي لا يقاس. خلقت عالما له منتهاه. بدافع الرحمـــة، لأن علم لا نهاية له هو الجحيم، بدافع الرأفة، لأن الفزع زائل فيما له نهاية، لدرجة أن كل شيء خلقته، في هذه الفتـــرة الزمنيـــة متناهيـــة القصر، التي تبرق فيها لدى فكرة عالم وتتلاشى مرة أخرى وتنطوى في أفكارى، التي صار إليها العالم، واتسع وملأ الأرجاء، لـــم تكـــن شيئا آخر سوى حب، لأنه هو فقط الممكن في المتناهي»، ثم يجيـــبَ عليّ سؤال جين "هل أصابني جنون؟» قائلا: "أنا كنت الإله العزيز". بخلاف ذلك تبقى السيدة فون سيمزن، امرأة مختلة عقليا، تؤدى دور ريشيليو باعتقاد أنه كان إلها. كان بمقدورى أن أضع بدلا منها ماتيلدا فون تساند من مسرحية علماء الطبيعة، هي أيضا مختلـــة عقليـــا، أو المسن الكبير من مسرحية وادى الاضطراب، من يـــضع شـــخوص المسرحية ولا يعبأ بعد ذلك بالمسرحية. جميعهم يشغل في مـــسرحي العالمي مكانة الإله، وهذا، لأنني لم يعد باستطاعتي تصور الإله، ولو تصورته، يصير السيدة فون سيمزن أو المسن الكبير أيـــضا. هنـــاك زعم الآن بأن عدم القدرة على تصور الإله شيء من طبيعتـــه مثـــل تعذر إثبات وجوده. إذا ما جدوى تسمية ذلك "إلـــه"؟ كلمـــة خاويـــة: هزل. لكن أمر أن إله المسيحيين العزيز، الأب، الكائن بالسماء، مـــن اسماه جوته بالمحيط بكل شيء، الحافظ لكل شيء، صار هزلا، هـــو خير ما يوضح أزمة عصرنا، الذي يبدأ باكتشاف معجـــزة الإنـــسان

ومغزاه فى ذاته هو نفسه. طرق الإفلات القديمـــة للإنـــسان فقـــدت فاعليتها، وها هو يبدأ فى مواجهة نفسه. كان عدو نفـــسه. عليـــه أن يصير صديق نفسه. عندئذ فقط باستطاعته أن يحب لأخيه كما يحـــب لنفسه. ربما كان يسوع أول ملحد حقيقى. لكن ماذا نعرف عنه؟

ملحق

توثيق

التوثيق التالى لتاريخ النشر والعرض وأيضا لأساس النص يستند إلى وثائق مما خلفه ومن أرشيف دورينمات فى أرشيف الأدب السويسرى ببرن.

تنشأ أخترلو (١) بعناوين عمل حلت محل بعضها (الخائن، يوديت وهولوفرنس، نابليون يريد النوم، يوديت ونابليون) من أبريل/مايو ١٩٨٢ حتى أكتوبر ١٩٨٣. الباعث ظاهريا هو إعلان الجنرال ياروزالسكى لحالة الحرب فى ١٣ ديسمبر ١٩٨١ فى بولندا. مع ذلك توجد بالفعل فى المخلفات من بدايات السبعينيات بداية مسرحية باسم الخائن. تُعرض لأول مرة فى ٨ أكتوبر ١٩٨٣ فى دار التمثيل بزيورخ من إخراج جرد هاينز (مع فريتز شديفى فى دور نابليون، يورجن شسيلا فى دور فويتسك، ديتمار شونهر فى دور بنجامين فرانكلين، ماريا بيكر فى دور ريشيليو وألفرد بفايفر فى دور يان هوس)، ولم تفرض المسرحية نفسها على برامج العرض. تظهر طبعة الكتاب بإهداء إلى زوجته الأولى لوتى المتوفاة أثناء العمل فى المسرحية عام ١٩٨٣ فى دار نشر ديوجينيس، بزيورخ.

فى ١٢ يناير ١٩٨٤ يتم بثها لأول مرة فى إذاعة ألمانيا الغربية فى معالجة إذاعية لهانز هاوسمان (إنتاج مشترك لإذاعة سويسرا DRS، والإذاعة النمساوية وإذاعة ألمانيا الغربية). يقام العرض الألمانى الأول لمسرحية أخترلو (١) فى نوفمبر ١٩٨٤ فى مسرح المدينة بفورتسبورج (إخراج يواخيم أنجل دنيس)، وتُعرض المسرحية فى نفس الشهر فى مسرح المدينة ببروانشفايج (إخراج بودان دنك)، وفى يناير ١٩٨٥ فى مسرح الدولة بأولدنبورج، وفى فبراير ١٩٨٥ بدار التمثيل القديمة، شتوتجارت (إخراج يوتا فاكسمن)، وفى أبريل ١٩٨٥ فى مسرحيات الحجرة بفستفالن، بادربورن (إخراج فريدريش بريمر).

يقوم دورينمات من يوليو ١٩٨٤ حتى يناير ١٩٨٥ بمعالجة المسرحية من جديد؛ وتظهر هذه الصياغة الثانية فى ترجمة فرنسية فى مجلة "Lettre internationale : رسالة دولية"، باريس، العدد الثامن، ربيع ١٩٨٦. وتقدمها فرقة من الطلاب فى إخراج لهولجار داور عام ١٩٨٦ فى ماينز وفرانكفورت على الراين.

الأداء الجماعى لشخوص من عصور مختلفة تظهر فى نفس الوقت، يفصح عنه دورينمات فى أخترلو (١) فقط فى نهاية المسرحية كعلاج غير موفق بتقمص الشخصيات، يتناوله فى صياغة ثالثة من البداية بشكل أكثر تشددا كعلاج بتقمص الشخصيات فى

مصحة نفسية. يطوره دورينمات بالتعـاون مـع زوجتـه الثانيـة، المخرجة السينمائية، والممثلة والصحفية شارلوتة كير (باسم قفـزات زمنية بشكل مؤقت أيضا تحت اسم العمل) فى حوار يستغرق ثـلاث سنوات تقريبا (من أكتوبر ١٩٨٣ حتـى سـبتمبر ١٩٨٦). مدونـة شارلوتة كير بتفصيلات محاولة إخراج خيالية، التـى توثـق فيهـا المراحل العديدة لتعديل وتنقيح أخترلو ١ مـرورا بـأخترلو ٢ إلـى أخترلو ٣، تظهر مع مـسرحية دورينمـات أخترلـو ٣ - تقمـص الشخصيات، مع كلمة بينية وأيضا ما تم تدوينه من تـداعيات بقلـم الترقيم السميك (لم يتم تضمينها فى هذه الطبعة للأسف بسبب أسباب تتعلق بإمكانات تهيئة الشكل) فى المجلد الذى يحمل عنـوان تقمـص الشخصيات ١٩٨٦ فى دار نشر ديوجينيس، زيورخ. الصياغة الثالثة لم تُقدم حتى الآن فى شكل عرض.

لم يترك دورينمات أخترلو بعد ذلك أيضا. يقـوم بدايـة مـن أبريل ١٩٨٨ بتنقيح المسرحية إعدادا لعـرض ضـمن مـسرحيات مهرجان مدينة شفتسينج للمسرح عام ١٩٨٨؛ كـان العـرض الأول لهذه الصياغة الرابعة (التى يصعب التعرف فيهـا علـى العلاقـات بأحداث بولندا عام ١٩٨١) فى ١٧ يونيو على مسرح الركوكو فـى قصر مدينة شفتسينج من إخراج المؤلف (مع كورت بلش فـى دور جيورج بوشنر، هيلموت لونر فى دور نابليون، شارلوته كيـر فـى

دور ريشيليو، أولريش هاوبت في دور البروفيسور هانز لوفل، نيكولاوس باريلا في دور زيجيموند فرويد، إيزابللا كارايان في دور جين دارك، مارتن ريكلت في دور كامبرون، يورجن شسيلا في دور فويتسك، جيورج برويسا في دور القيصر زيجيموند، ايجون كارتر في دور البابا جريجور الثاني عشر، توبياس ليلي في دور البابا بنديكت الثالث عشر، بيتر جرابنجر في دور الموسيقى). العرض والإخراج مدون باسم إذاعة جنوب ألمانيا، شتوتجارت (العنوان: "العالم مصحة نفسية"، التوثيق لرومان برودمان) وتاريخ إذاعته ١٤ يناير ١٩٨٩ على البرامج الثلاثة للمحطة الألمانية. يظهر نص هذه الصياغة الرابعة (شفتسينج)، أخترلو ٤ لأول مرة في أغسطس ١٩٨٨ في الأعمال الكاملة في سبعة مجلدات، نشر فرانز يوزف جورتس، في دار نشر ديوجينيس، زيورخ (طبعة كتاب الجيب دون تغيير، مع المقالة المزدوجة تعقيب على "أخترلو ٤" وتوديع المسرح، ١٩٩٣ في نفس دار النشر [detebe ٢١٧٨٩]).

بمناسبة الذكرى السبعين لميلاد دورينمات في ٥ يناير ١٩٩١ تُعرض لأول مرة بنجاح كبير على مسرح الكوميديا الجديدة في براج في إخراج لميلوس هورانسكى لصياغة معالجة جيرى ستاخ لأخترلو ٤ (مع أخذ الصياغات السابقة في الاعتبار).

توديع المسرح

نشأ التعقيب على "أخترلو ٤" في يونيو ١٩٨٨، في أعقاب العرض الأول لأخترلو ٤ ضمن مسرحيات مهرجان مدينة شفتسينج للمسرح عام ١٩٨٨. وفي عام ١٩٩٠ يقسم دورينمات المقالة إلى مخطوطين: تعقيب على "أخترلو ٤" و"توديع المسرح". ظهرت المعالجة الأخيرة للمقالة المزدوجة بتاريخ ٢١ نوفمبر ١٩٩٠ بنفس العنوان في مجلة "Göttinger Sudelblätter = صحف مسودات جوتنجن"، نشر هاينز لودفيج أرنولد، في دار نشر فالشتاين، جوتنجن ١٩٩١. أيضا في وصلة فكر، دار نشر ديوجينيس، زيورخ ١٩٩٢.

هذه الطبعة تلتزم حرفيا بنص الطبعات الأولى للكل، حتى هذه التصويبات:

في صفحة ١٤٤ من مدونة بتفصيلات محاولة إخراج خيالية تم في السطرين ٨، ١٠ في نص تقمص الشخصيات المنشور لأول مرة عام ١٩٨٦ بشكل غير متعمد استبدال الأسماء لويس وبلون بلون.

المؤلف فى سطور:

فريدريش دورينمات

ولد فريد ريش دورينمات عام ١٩٢١ فى إحدى قرى مقاطعة برن بسويسرا، وبدأ الاشتغال بالأدب عام ١٩٤٠، وكان لظهور مسرحيته "روموليوس الأكبر" عام ١٩٤٩، "زواج السيد مسيسيبى" عام ١٩٥٢، أثر كبير فى ذيوع شهرته فى أوربا. ويعتبر دورينمات أحد قطبى المسرح المكتوب بالألمانية ومن أشهر كتاب المسرح العالمى المعاصرين. كتب دورينمات فى معظم الأجناس الأدبية، فأنشأ المسرحية الكوميدية والدرامية والرواية والقصة، والتمثيلية الإذاعية، لكن الفضل فى ذيوع شهرته فى أوربا والعالم، يرجع إلى إبداعه المسرحى الذى بلغ ذروته بظهور مسرحيته "زيارة السيدة العجوز" التى عرضت على خشبة المسرح فى معظم بلدان العالم فى الستينيات والسبعينيات، كما مثلت على المسارح المصرية فى عروض اعتمدت على ترجمات مختلفة.

المترجم فى سطور:

د. محمد عبد السلام يوسف

- من مواليد القاهرة عام ١٩٥٦.
- نال الدكتوراه عام ١٩٨٩ من جامعة عين شمس، عن "استقبال مسرحية " زيارة السيدة العجوز" لدورينمات في الأدب العربي فى مصر، استنادًا إلى مسرحية " الزوبعة" لمحمود دياب .
- عمل أستاذًا ورئيسًا لقسم اللغة الألمانية بكلية الألسن، جامعة عين شمس، ورئيسًا لقسم اللغة الألمانية بالمعهد العالي للغات بمصر الجديدة (٢٠٠٤-٢٠٠٧).
- يشغل منصب عميد المعهد العالى للغات بمصر الجديدة، ورئيسًا لقسم اللغة الألمانية من ٢٠١٤/٨/٣١حتى الآن.
- له مؤلفات فى الأدب الألماني ودراسات فى الأدب المقارن والترجمة باللغة الألمانية.

من أعماله المنشورة

- صورة عالم الطبيعة في مسرحية " علماء الطبيعة" لدورينمات، ومسرحية "الإنسان الكلوروفيلي" لمحمد الجمل، مونستر، ألمانيا الاتحادية ١٩٩١.
- المشكلات النوعية لترجمة المسرحيات الكوميدية من الألمانية إلى العربية، صحيفة الألسن القاهرة ١٩٩٨ (باللغة الألمانية).
- السيرة الذاتية النسائية في الأدبين العربي والألماني في القرن العشرين، مجلة كلية اللغات والترجمة ٢٠٠١ (باللغة الألمانية).
- مشكلة الهوية في رواية توفيق الحكيم" عودة الروح " ورواية " شتيلر" لماكس فريش، مجلة كلية اللغات والترجمة ٢٠٠١.
- استقبال مادة " تل" في الأدب العربي في مصر، صحيفة فيلولوجي يونيه ٢٠٠٢ (باللغة الألمانية).
- لوحة من ثلاث صور. المركز القومي للترجمة، روائع الدراما العالمية ٢٠٤٧ لسنة ٢٠١٤.

التصحيح اللغوى: وجيه فاروق
الأشـــراف الفنى: حســـن كامل



أخترلو

كوميديا من فصلين

تأليف: فريدريش دورينمات

ترجمة وتقديم: محمد عبد السلام يوسف

" لم تشهدها خشبة المسرح حتى الآن تقريبًا، الخلفية التاريخية، التى ينسج عليها دورينمات مشاهد هذه المسرحية الهائلة: الثانى والثالث عشر من ديسمبر عام 1981 فى وارسو، عندما أعلن ياروزالسكى حالة الحرب فى بولندا، بعد أن سُمِحَ لحركة نقابة العمال الحرة - فيما سبق - بخيانة الشعب أو القيام بإجراء احترازى، للحيلولة دون زحف القوات الروسية؟ اتخذ دورينمات الفرضية الثانية، التى لم تكن هى الشائعة فى ذلك الوقت، إلا أنها مع ذلك كانت محل اعتبار، لو لم يتم الإقلاع نهائيًا عن التدبر أو عدم الدفع بالتصورات النمطية الأيديولوجية.

وشرع فى كتابة أخترلو، ليصور بالتحليل، مع التعمق البالغ فى الحقائق التاريخية، الخيانة كأداة من أدوات السياسة."

هاينز لودفيج أرنولد

"لم يرفع دورينمات يده نهائيًا عن أخترلو، 1983 فى صياغتها الأولى: قام فى عام 1986 فى الجزء الذى يحمل عنوان تقمص الشخصيات بالاشتراك مع شارلوته كير بتوثيق الخطوات العديدة لتغيير وتنقيح هذه الصياغة وصولاً إلى أخترلو 3. وتلى ذلك فى عام 1988 محاولة دورينمات لإخراج المادة الأكثر حبكة، أخترلو 4."

أرمين ايرين / جريدة شتوتجارت

تصميم الغلاف